



# وَضَائِعُ السَّبْطِ

الْبُعْدُ الْعَقَائِدِيَّةُ الْإِخْلَاقِيَّةُ  
فِي خُطَبِ الْأَمَلِ الْحُسَيْنِيِّ

تأليف  
الشيخ علي الفتلاوي

الجزء الأول

إصدار  
مجلس الشورى والفكرية والثقافية  
في العتبة الحسينية المقدسة  
وإدارة الشؤون الخاصة بالأمر الحسيني





# مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق  
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .  
(الإمام الصادق (ع))

[moamenquraish.blogspot.com](http://moamenquraish.blogspot.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمُضَىٰ إِلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

①



## رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

لسنة ٢٠١١ - ١٥٩

---

BP	الفتلاوي، علي، ١٩٦٠ - م.
٤١ / ٧	ومضات السبب (ع): البعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام /
٢ ف /	تأليف علي الفتلاوي: تقديم نبيل الحسني - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في
٨ و	العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٢ ق. - ٢٠١١ م.
٢ ج. -	(قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة: ٥٣)

### المصادر.

١. الحسين بن علي (ع). الإمام الثالث، ٤ - ٦١ ق. - الخطب - دراسة وتعريف، ٢. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ ق. - نظرية في العقائد، ٣. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ ق. نظرية في الأخلاق الإسلامية، ٤. واقعة كربلاء، ٦١ ق. - أسباب ونتائج، ٥. أهل البيت (ع) - فضائل، ٦. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ ق. الخطب - اللغة، ٧. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ ق. أصحاب، ألف. الحسيني، نبيل، ١٩٦٥ - م.، مقدم، ب. العنوان، ج. العنوان: البعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام

٨ و ٢ ف / ٧ / ٤١ BP

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

---



وَمِنْ أَهْلِ السَّبْطِ

الْبُعْدِ الْعَقَائِدُ الْإِخْلَاقِيَّةُ  
فِي خُطْبِ الْأَمَلِ الْحُسَيْنِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تأليف  
الشيخ علي الفتلاوي

الجزء الأول

إصدار  
مركز الشؤون الفكرية والثقافية  
في العتبة الحسينية المقدسة  
وحدة الدراسات التخصصية في أهل البيت (ع)

الطبعة الأولى  
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

جميع الحقوق محفوظة  
للعتبة الحسينية المقدسة



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: [www.imamhussain-lib.com](http://www.imamhussain-lib.com)

E-mail: [info@imamhussain-lib.com](mailto:info@imamhussain-lib.com)



طبع على مطابع

شركة الأعلامي للمطبوعات

**Published by Aalami Est.**

Beirut Airport Road

بيروت - طريق المطار - قرب ستر زعرور

Tel: 01/450426 Fax: 01/450427

هاتف: ٠١ / ٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١ / ٤٥٠٤٢٧

فرع ثاني: العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

## مقدمة الشعبة الدراسات والبحوث

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها،  
وسبوغ آلاء أسداها وتمام منن والاهبا، جم عن الاحصاء عددها ونأى عن الجزاء أمدّها  
وتفاوت عن الإدراك أبدّها.

والصلاة والسلام على خير الأنام وكاشف الظلام وعلى آله الهداة إلى الإسلام  
وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

لم يزل الإمام الحسين عليه السلام منهلاً عذباً لأصحاب الفكر والتأمل ومورداً  
خصباً لأهل البحث والتدقيق والدراسة، تحل في فناء روضته العلماء وتغدوا إلى درسه  
الأجلاء، فهم بين مستمع ومفكر ومتعلم قد تزاومت ركبهم في محضره وتناسقت  
الأنفاس بمجلسه حتى كأن الطير على رؤوسهم.

من هنا:

نلمس ان عطاء المعين النبوي لا ينفد والفكر الحسيني لا يتوقف حتى كان الناظر  
إلى هذا العطاء يخال نفسه واقفاً أمام نواة الحياة ومشدوداً إلى سخاء الشمس ونورها،  
فما طعم العيش والمرء معصوب العينين عن كلام ابن بنت سيد النبيين وأبو الأئمة  
الميامين.



من هنا أيضاً:

انبرى سماحة حجة الإسلام الشيخ علي الفتلاوي دام توفيقه إلى الارتحال إلى معين أبي الأئمة ومرفئ العلم، ومنبع الدفعة لترسو به الوسيلة إلى بحر من بحور النبوة ليغرف من لئالي بحر الخلق النبوي وجواهر بحر التوحيد العلوي فيضعها في كتابه الموسوم «ومضات السبط عليه السلام» كي يزدان بها المؤمن ويخترها المتأمل ويتزودها المتقي.

﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّفْوَى﴾.

وسيجد القارئ أن الكتاب مشبع بالأحاديث الشريفة والآيات الكريمة، والنكت العلمية الظريفة، ففضيلة الشيخ يميل إلى بهذا اللون من الكتابة الذي يعتمد سلاسل العبارة وغزارة المعلومة ومخاطبة كل الفئات حتى كأنك تخال نفسك في واحة من رياض علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إذ لا يخفى على اللبيب ما للبعد الأخلاقي والعقائدي من الريادة في المكتبة الإسلامية وما له من الحظوة عند علماء الإمامية حتى ملئوا المكتبات بهذا النتاج الفكري.

نسأل الله القبول والخلف على باذل هذا الجهد فإنه خير زاد ليوم المعاد.

السيد نبيل الحسني

مسؤول شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

في العتبة الحسينية المقدسة

## مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رزقنا موالاة محمد وآل محمد والذي دلنا على هداهم فأنعم علينا بنعمة ولايتهم، وأنار عقولنا بنور كلامهم، وطمان نفوسنا بإتباع فحجهم، والصلاة والسلام على السراج المنير والبشير النذير وعلى آله الأخيار والأئمة الأبرار لاسيما سفينة النجاة ومصباح الهدى سيد الشهداء ورمز الفداء الإمام الحسين عليه السلام.

أما بعد:

لقد أطلعنا على كتب كثيرة تعني بشخص الإمام السبط عليه السلام وصفاته وثورته وجهاده ومواقفه وكلامه ورسائله وخطبه وكتبه ونصائحه، إلا أننا لم نعثر بعد تفتيش وفحص دقيقين على شروح تتناسب وكثرة ما تفوه به سيد شباب أهل الجنة عليه السلام إلا أن هناك بعض المؤلفات التي تعد على أصابع اليد الواحدة قد سلطت الضوء على بعض أقواله بشكل موجز ونافع، فرأينا من الواجب علينا أن نضيف تأليفاً على ما سبق من المؤلفات، كما ندعوا أن يتصدى غيرنا لإضافة تأليفات أخرى ليتناسب ذلك مع ما صدر من كلام لإمامنا الحسين عليه السلام، سيما أن المكتبة الإسلامية بحاجة إلى إصدارات تشرح خطب ومواعظ الإمام السبط عليه السلام وتسلط الأضواء على الأبعاد الفقهية والعقائدية والأخلاقية فضلاً عن الأبعاد الأخرى في كلامه الشريف.

ومن هذا المنطلق أخذنا على عاتقنا بيان البعدين العقائدي والأخلاقي في خطبه فقط دون سائر أقواله، وبيان المعنى اللغوي في هذه الخطب ليتسنى لمن يريد الاستفادة منها منبريا أو ثقافيا.

ولكي تسهل الإحاطة بنصوص الخطبة ومعانيها، وتيسير الاطلاع على البعدين العقائدي والأخلاقي فيها ارتأينا أن نذكر نص الخطبة أولا ثم نبدأ شرح الخطبة ببيان المعنى اللغوي لكل فقرة تحتاج إلى بيان ثم نتعرض إلى بيان البعد العقائدي في الخطبة ويتلو ذلك بيان البعد الأخلاقي فيها.

الشيخ علي الفتلاوي



A decorative border in black and white, featuring intricate Islamic calligraphy and floral motifs. The border is rectangular with a scalloped top edge and a small floral ornament at the bottom center. The text is centered within the border.

الخطبة الأولى

في التوحيد



## نص الخطبة

«آتِهَا النَّاسَ، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ الْمَارِقَةَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِأَنْفُسِهِمْ يُضَاهِنُونَ»<sup>(١)</sup> قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، بَلْ هُوَ اللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّبِيعُ الْبَصِيرُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ وَهُوَ الْخَبِيرُ.

استخلصَ الوحدانيةَ والجبروتَ، وأمضى المَشِيئَةَ والإرادةَ والقدرةَ والعلمَ بما هُوَ كَانَتْ، لَا مُنَازَعَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَلَا كُفَّ لَهُ يُعَادِلُهُ، وَلَا ضِدَّ لَهُ يُنَازِعُهُ، وَلَا سَمِيَّ لَهُ يُشَابِهُهُ، وَلَا مِثْلَ لَهُ يُشَاكِلُهُ، لَا تَتَدَاوَلُهُ الْأُمُورُ وَلَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ، وَلَا تَنْزِلُ عَلَيْهِ الْأَحْدَاثُ، وَلَا يَقْدِرُ الْوَاصِفُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ، وَلَا يَخْطُرُ عَلَى الْقُلُوبِ مَبْلَغُ جَبَرُوتِهِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ عَدِيلٌ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْعُلَمَاءُ بِأَلْبَابِهَا، وَلَا أَهْلُ التَّفَكُّيرِ بِتَفَكُّيرِهِمْ إِلَّا بِالتَّحْقِيقِ<sup>(٢)</sup> إِيْقَانًا بِالْغَيْبِ، لِأَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ، مَا تَصَوَّرَ فِي الْأَوْهَامِ فَهُوَ خِلَافُهُ، لَيْسَ بِرَبٍّ مِنْ طَرِحٍ تَحْتَ الْبَلَاغِ، وَمَعْبُودٍ مَنْ وَجِدَ فِي هَوَاءٍ أَوْ غَيْرِ هَوَاءٍ هُوَ فِي الْأَشْيَاءِ كَانَتْ لَا كَيْنُونَةَ مَحْظُورٍ<sup>(٣)</sup> بِهَا عَلَيْهِ، وَمِنْ الْأَشْيَاءِ بَانَتْ لَا بَيُّونَةَ

(١) ضَاهَاهُ: شَابِهَهُ، وَفَعَلَ مِثْلَ فَعَلِهِ.

(٢) اللَّبُّ: الْعَقْلُ، وَالتَّحْقِيقُ: التَّصْدِيقُ.

(٣) الْمَحْظُورُ: الْمَنْعُوعُ.



غائب عنها، ليس بقادرٍ من قارنَه ضِدُّ أوساواه ندُّ، ليس عن الدهرِ قِدْمُهُ ولا بالناحية أَمُّهُ<sup>(١)</sup>، احتجبَ عن العقولِ كما احتجبَ عن الأبصار، وعمَّن في السَّماءِ احتجابه كَمَن في الأرضِ. فُريه كَرَامَتُهُ وبعده أهانتُهُ، لا تُحلُّه (في) ولا تُوقَّتُهُ (إذ) ولا تُؤامِرُهُ (إن)، علُوهُ مِن غيرِ تَوَقُّلٍ<sup>(٢)</sup>، وَمَجِينُهُ مِن غيرِ تَتَقُّلٍ، يُوجدُ المفقودُ ويُفقِدُ الموجودَ، ولا تَجتمعُ لغيرِهِ الصِّفَاتِ في وقتٍ، يُصيبُ الفِكرُ مِنْهُ الإيمانَ به موجوداً ووجودُ الإيمانِ لا وجودُ صفةٍ به توصفُ الصِّفَاتُ لا بها يُوصَفُ، وبه تُعرفُ المعارفُ لا بها يُعرفُ، فذلكَ اللهُ لا سَمِيَّ لَهُ، سُبْحَانَهُ ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ.

### المعنى العام

(أيها الناس، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ المَارِقَةَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللهَ بِأَنفُسِهِمْ، يُضَاهِنُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ).

وجه الإمام الحسين عليه السلام خطابه إلى عامة الناس سواء كانوا موالين أو غير موالين، أرشدهم فيه إلى التحرز والتحذر من فئة خرجت من الدين كما خرج السهم من الرمية (أي مرقت) خرجت بسرعة كما يمرق السهم من القوس، وما كان هذا التحذير إلا لانحرافهم عن التوحيد حيث إنهم يشبهون ويمثلون الله تعالى بخلقه، فقولهم هذا يشابه قول الكافرين من أهل الكتاب.

(بَلْ هُوَ اللهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ وَهُوَ الْخَبِيرُ).

ويرد في الإمام عليه السلام قوله بقوله إن الله تعالى الذي احتارت فيه عقول العقلاء لا يمكن أن يشابه شيئاً من خلقه، فهو محيط بالأسماع والمسموعات والأبصار

(١) التد: المثل والنظير. وأمه: قصده.

(٢) تَوَقُّلٌ في الجبل: صعد فيه.

والمبصرات، وممتنع على إدراك وإحاطة أبصار خلقه، وهو (اللطيف) الرفيق بعباده (الخبير) والعالم والعارف بكل صغيرة وكبيرة من خلقه.

(استخلص الوجدانية والجبروت، وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة العلم بما هو كائن).

اختص الله سبحانه بأنه قاهر منفرد بقهارته، وأنفذ الحكم والقدرة والعلم بالأشياء.

(لا مُنازع له في شيء من أمره، ولا كُف، له يُعادلُه، ولا ضِدُّ له يُنازِعُه، ولا سَمِي له يُشابهُه، ولا مِثْل له يُشاكِلُه).

لا معطل ولا مفسد ولا مخاصم لما أراد هو سبحانه في خلقه، ولا نظير له ولا مساوي يعادله، ولا مخالف له يخالفه أو يخاصمه ويمنعه، ولا يوجد من اسمه اسم الله تعالى لعدم انطباق الاسم على المسمى في المخلوق، ولا نظير له يماثله ويشابهه.

(لا تتداوله الأمور، ولا تجري عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث، ولا يتدبر الواصفون كنه عظمته، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته، لأنه ليس له في الأشياء غديل، ولا تدركه العلماء بالبابها، ولا أهل التفكير يفكرونها إلا بالتحقيق إيقاناً بالغيب، لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين، وهو الواحد الصمد، ما تصوّر في الأوهام فهو خلافه).

لا تحوّل الأحوال من حال إلى حال، ولا تقع أو تتوالى عليه الأحوال والتغيرات، ولا تهبط أو تطل عليه الأمطار، ولا يحيط الواصفون بقدر عظمته ولا يقع أو يمر في القلوب منتهى قهارته وقدرته، لأن ليس له في الخلق مثيل أو نظير، ولا تعرفه أو تعقله العلماء بعقولها وبصائرهما، ولا يحيط به الذين يفكرون أي الذين يحلون العقل في المعلوم ليصلوا إلى المجهول وهم أهل النظر والتأمل إلا أنهم يعرفونه من خلال

التصديق بالغيب والإيقان به، لأنه لا ينعت بنعوت المخلوقين، وهو الفرد الذي يقصد في الحاجات دون سواء، وما تشبه من صورة وما وقع في الذهن من خاطر فهو خلافه وليس من الحقيقة بشيء.

(الَيْسَ رَبِّ مَنْ طَرَحَ تَحْتَ الْبَلَاغِ، وَمَعْبُودٍ مَنْ وَجِدَ فِي هَوَاءٍ أَوْ غَيْرِ هَوَاءٍ).

ليس بمبدبر ومربي للخلائق من ألقى أو وضع تحت الشجر، وليس له حق العبادة من وجد في ريح أو غيره.

(هُوَ فِي الْأَشْيَاءِ كَائِنٌ لَا كَيْنُونَةٌ مَحْظُورٌ بِهَا عَلَيْهِ. وَمِنَ الْأَشْيَاءِ بَائِنٌ لَا بَيْنُونَةٌ غَائِبٌ عَنْهَا، لَيْسَ بِقَادِرٍ مَنْ قَارَنَهُ ضِدٌّ أَوْ سَاوَاهُ نِدًّا).

أي أنه سبحانه موجود وحاضر في الأشياء دون أن يكون حادثاً يحدث كما في الخلائق لامتناع ذلك عليه ولجربانه في الممكنات فقط، وهو مبتعد ومنفصل عن الأشياء لا ابتعاد غائب عنها كما في الممكنات، وليس بقادر من كان له قرين يخالفه أو نظير يساويه.

(الَيْسَ عَنِ الدَّهْرِ قَدَمُهُ وَلَا بِالنَّاحِيَةِ أَمَمُهُ، احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَعَمَّنْ فِي السَّمَاءِ احْتِجَابُهُ كَمَنْ فِي الْأَرْضِ، قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ وَبُعْدُهُ أَهَانَتُهُ، لَا تَحِلُّهُ (فِي) وَلَا تُؤَقَّتُهُ (إِذَا) وَلَا تُؤَامِرُهُ (أَنْ)).

استتر عن العيون النواظر، واستتر عن أهل السماء كما عن أهل الأرض، دنوه من العبد يظهر في إكرامه له ونأبه وبعده يظهر في احتقاره أو استضعافه، واستخدم الإمام عليه السلام أدوات لغوية، (فِي) تشير إلى رفض حلوله في الأشياء أي غير متحد مع شيء أو داخل فيه، (وَإِذَا) تشير إلى رفض جريان الزمن عليه، (وَإِنْ) إشارة إلى امتناع كونه مأموراً.

(عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنَقُّلٍ، يُوجِدُ الْمَفْقُودَ وَيُقْفِدُ الْمَوْجُودَ، وَلَا تَجْتَمِعُ لِبَعْضِهِ الصِّفَتَانِ فِي وَقْتٍ).



ارتفاعه من غير صعود، وإتيانه من غير حركة وانتقال، يخلق ما لم يكن،  
وفيني ما كان، وهاتان الصفتان لا يأتي بها أحد في آن واحد إلا الله تعالى.

يُصِيبُ الْفِكْرُ مِنْهُ الْإِيمَانَ بِهِ مَوْجُوداً وَوُجُودُ الْإِيمَانِ لَا وَجُودُ صِفَةٍ،  
لا يحصل الفكر منه إلا الإيمان به موجوداً حاضراً شاهداً وهذا الإيمان الموجود في  
الفكر حقيقة لا شك فيها.

(بِهِ تُوصَفُ الصِّفَاتُ لَا بِهَا يُوصَفُ، وَبِهِ تُعْرَفُ الْمَعَارِفُ لَا بِهَا يُعْرَفُ، فَذَلِكَ  
اللَّهُ لَا سَمِيَ لَهُ، سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.)  
بالله تعالى تنعت النعوت وليست هي التي تثبت له نعتاً، وبه تعالى تعرف  
العلوم والمعارف وليست هي التي تعرفه وتشبهه، فهذا الموجود المحير للعقول الذي  
تكلمت عنه هو الله تعالى الذي ينفرد بهذا الاسم والذي ينطبق في اسمه الاسم على  
المسمى، تنزه عن كل نقص ليس له نظير يشابهه، وهو المحيط بالمسموعات  
والمبصرات.

### التحذير من الفكر المنحرف

(أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ الْمَارِقَةَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِأَنْفُسِهِمْ، يُضَاهِنُونَ" قَوْلَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ).

حذر الإمام المعصوم عليه السلام الأمة من الانجرار وراء الأفكار الضالة البعيدة  
عن سبيل الله تعالى وأرشد إلى التحرز من ترويجها وبثها وتبنيها بل حث الأمة على  
رفض أصحاب هذه الأفكار ومقتهم وعدم مخالطتهم والاقتراب منهم لخطورة ما  
ينطقون به من ترهات إذ إنهم يجعلون الله تعالى كأحدهم من خلال تشبيهه تعالى  
بأنفسهم ومن خلال فهمهم الخاطئ والقاصر لآيات القرآن الكريم والجمود على ظواهر

هذه الآيات وتعطيل دور العقل في الوصول إلى الحقائق، فنراهم يقولون بالرؤية البصرية ويقولون بوجود يد الله تعالى أو رجل أو صورة ويجعلون له أبعاداً من طول وعرض وحجم وكتلة في الوقت الذي يرفض القرآن الكريم هذا الفهم الخاطئ كما في قوله تعالى :

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

### الشبه بين المارقين وبين الكافرين

بعد أن أوردنا جهل وكفر أهل الكتاب الذين شبهوا الله تعالى بأنفسهم، صار لزوما علينا أن نبين وجه الشبه بين قول المارقة الذين ذمهم الإمام عليه السلام وبين قول الكافرين من أهل الكتاب الذين كفروا لتشبيههم الله تعالى بخلقه، ولكي يتضح هذا الأمر نورد هذا التشابه في أقوال الفريقين :

- ورد في التوراة في سفار الملوك الأول : الإصحاح الثاني والعشرون / ١٩ :

(قد رأيت الربّ جالساً على كرسيه وكلّ جند السماء وقوفٌ لديه عن يمينه وعن يساره، فقال الربّ من يغوي أخآب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد...) (٣).

- وورد في إنجيل يوحنا : الإصحاح العاشر / ٣٨ :

(إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الأب فيّ وأنا فيه...).

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٠٣.

(٢) سورة الشورى، الآية : ١١.

(٣) الفوائد البهية : ص ١٣٤.

– وورد في صحيح البخاري:

حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُوقِفُهُ أَبُو سُفْيَانَ: (يُقَالُ لِحَبْثِهِمْ هَلْ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فَيَضَعُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ قَطٍ قَطٍ)<sup>(١)</sup>.

وورد أيضا في صحيح البخاري:

حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (يُلْقَى فِي النَّارِ).

وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، وَعَنْ مُعْتَمِرٍ سَمِعْتُ أَبِي عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – قَالَ:

(لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ قَدْ قَدْ بَعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضَلُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ)<sup>(٢)</sup>.

وورد أيضا:

حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – قَالَ:

(اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا فَقَالَتِ الْجَنَّةُ يَا رَبِّ مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضَعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ – يَعْنِي – أَوْثَرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحِمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا

(١) صحيح البخاري: ج ١٦، ص ١٥٣، ح ٤٨٤٩.

(٢) صحيح البخاري: ج ٢٤، ص ٢١٦، ح ٧٣٨٤.

مَلُؤَهَا - قَالَ - فَأَمَّا الْجِنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ فَيُلْقُونَ فِيهَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلَاثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَمْتَلِئُ وَيُرَدَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولَ قَطُّ قَطُّ قَطُّ<sup>(١)</sup>.

فبعد هذا التشابه بين أقوال الذين كفروا من أهل الكتاب وبين أقوال الشبه المارقين تبين ضرورة الحيلة والحذر التي أمر بها الإمام عليه السلام الناس من الوقوع تحت تأثير هؤلاء المارقة.

### ما هو التشبيه؟

التشبيه في اللغة: التمثيل، تشابه الشيئان أشبه كل منها الآخر<sup>(٢)</sup>.

التشبيه في الاصطلاح: هو تشبيه ذات الله تعالى بشيء من مخلوقاته.

نشأت فكرة التشبيه عند ظهور أحاديث التشبيه التي بدأت في عهد عمر بن الخطاب واشتد انتشارها في عهد الدولة الأموية لأغراض سياسية إذ إنها لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي عهد أبي بكر بدليل الروايات الآتية:

(ورد في تنبيه الخاطر: روي عن ابن عباس أنه حضر مجلس عمر بن الخطاب يوما - وعنده كعب الأخبار - إذ قال عمر: يا كعب! أحافظ أنت للتوراة؟

قال كعب: إني لأحفظ منها كثيرا، فقال رجل من جنبه: يا أمير المؤمنين! سله أين.

كان الله جل جلاله قبل أن يخلق عرشه؟ ومم خلق الماء الذي جعل عليه عرشه؟ فقال عمر: يا كعب! هل عندك من هذا علم؟

(١) صحيح البخاري: ج ٢٤، ص ٣٠١، ح ٧٤٤٩.

(٢) المعجم الوسيط: ص ٤٧١.

فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين! نجد في الأصل الحكيم أن الله تبارك وتعالى كان قديما قبل خلق العرش، وكان على صخرة بيت المقدس في الهواء، فلما أراد أن يخلق عرشه تفل تفلة كانت منها البحار الغامرة واللجج الدائرة، فهناك خلق عرشه من بعض الصخرة التي كانت تحته، وآخر ما بقي منها لمسجد قدسه.

قال ابن عباس: وكان علي بن أبي طالب عليه السلام حاضرا.. فعظم ربه وقام على قدميه، ونفض ثيابه، فأقسم عليه عمر عاد إلى مجلسه، ففعل.

قال عمر: غص عليها يا غواص، ما يقول أبو حسن فما علمتك إلا مفجرا للغم؟ فالتفت علي عليه السلام إلى كعب فقال:

«غلط أصحابك وحرفوا كتب الله، وقبحوا الفرية عليه، يا كعب! ويحك! إن الصخرة التي زعمت لا تحوي جلاله، ولا تسع عظمته، والهواء الذي ذكرت لا يجوز أقطاره، ولو كانت الصخرة والهواء قديمين معه لكانت لهما قدمته، وعز الله وجل أن يقال له مكان يومى إليه، والله ليس كما يقول الملحدون. ولا كما يظن الجاهلون. ولكن كان ولا مكان بحيث لا تبلغه الأذهان. وقولي: (كان) لتعريف كونه، وهو ما علم من البيان، يقول الله عز وجل:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٢﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿١﴾﴾.

فقولي له كان مما علمني البيان لأنطق بحجة عظيمة المنان، ولم يزل ربنا مقتدرا على ما يشاء محيطا بكل الأشياء ثم كون ما أراد بلا فكرة حادثة له أصاب، ولا بشبهة دخلت عليه فيما أراد، وإنه عز وجل خلق نورا ابتدعه من غير شيء ثم خلق منه ظلمة وكان قديرا أن يخلق الظلمة لا من شيء كما خلق النور من غير شيء ثم خلق من الظلمة نورا وخلق من النور يا قوته غلظها



كغلف سبع سموات وسبع أرضين، ثم زجر الياقوتة فما عت لهيبته فصارت ماراً مرتعداً، ولا يزال مرتعداً إلى يوم القيامة، ثم خلق عرشه من نوره وجعله على الماء وللعرش عشرة آلاف لسان يسبح الله كل لسان منها بعشرة آلاف، ليس فيها لغة تشبه الأخرى، وكان العرش على الماء من دونه حجب الضباب، وذلك قوله:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَبْثَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(١)</sup>.

يا كعب! وبحك! إن من كانت البحار تفلته، على قولك. كان أعظم من أن تحويه صخرة بيت المقدس، أو يحويه الهواء الذي أشرت إليه أنه حل فيه... فضحك عمر بن الخطاب، وقال: هذا هو الامر، وهكذا يكون العلم لا كعلمك يا كعب، لا عشت إلى زمان لا أرى فيه أبا حسن<sup>(٢)</sup>.

ففي هذه الرواية يظهر أن عمر بن الخطاب هو من سمح لأفكار اليهود أن تدخل إلى الأمة الإسلامية من خلال رواية كعب الأبحار عما في التوراة، كما أن اعتراض أم المؤمنين عائشة على من يقول برؤية الله تعالى فيه دلالة على أن الثقافة السائدة لم تكن تؤمن برؤية الله تعالى بل أن ثقافة الرؤية لم تكن سائدة أو منتشرة في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو في خلافة أبي بكر وإلاّ لسمحت بها أم المؤمنين عائشة ولبننت فكرتها ودافعت عنها، ولكن ما يظهر من الرواية الآتية لا يشير إلى ذلك.

جاء في صحيح البخاري (حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) سورة هود، الآية: ٧.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٣٦، ص ٢٢٢، ح ٦.

«ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد، ثم يعافهم ويرزقهم»<sup>(١)</sup>.

أن التشبيه والتجسيم انتشر في الشام بل عملت الشام بقوة على نشره، ومما يدل على ذلك هذه الرواية التي يذكرها الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد.

عن أسد بن سعيد النخعي، قال: (أخبرني عمرو بن شيمر، عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قال محمد بن علي الباقر عليهما السلام:

«يا جابر ما أعظم فريسة أهل الشام على الله عز وجل، يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء، وضع قدمه على صخرة بيت المقدس<sup>(٢)</sup> ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجرة<sup>(٣)</sup> فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذَه مصلًى يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظيره ولا شبيهه، تعالى عن صفة الواسفين، وجلّ عن أوهام المتوهمين، ولحتجب عن أعين الناظرين لا يزول مع الزائلين، ولا يأفل مع الآفلين، ليس كمثل شيء، وهو السميع العليم»<sup>(٤)</sup>.

### التشبيه، محال عقلاً

يتفق العقل مع الشرع على رفض التشبيه وإبطال التجسيم لما فيهما من جرأة على خالق الخلق ومدبر الأكوان ورب الأرباب، ولما فيهما من تحديد اللامحدود وإفقار للغني المطلق، وجعل واجب الوجود ممكناً ضعيفاً تعثره الحوادث والمتغيرات وتحيط به الأماكن والأبعاد، وحيث إننا نريد أن نظل على قول العقل في تشبيه المخلوق بالخالق وتشبيه الممكن بالواجب وتحويل الإله الغني المطلق إلى فقير محتاج.

(١) صحيح البخاري: ج ٦، ص ٢٦٨٧، باب قول الله تعالى: (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)، ح ٦٩٤٣.

(٢) المقدم والتالي كلاهما مزعومهم الباطل.

(٣) هو إبراهيم النبي على نبينا وآله وعليه السلام وضع قدمه على حجرة في مكة حين تفقد عن ابنه اسماعيل لتسلها زوجته فبقي فيها نقش منها، وهي الآن في الحل المعروف بمقام إبراهيم عليه السلام قرب الكعبة، وقصته طويلة تطلب من مظانها.

(٤) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ١٧٤ - ١٧٥، ح ١٣.

فنعول: اتفق أهل الاختصاص على أن العقل يدرك أن المعقول إمّا أن يصح اتصافه بالوجود الخارجي أو لا، والذي يصح اتصافه بالوجود إمّا واجب أو لا، فالذي لا يصح اتصافه بالوجود الخارجي هو ممتنع الوجود، والذي يصح اتصافه بالوجود الخارجي يكون على قسمين: واجب الوجود وممكن الوجود، وواجب الوجود ما كان وجوده واجبا بذاته لذاته أي لا يحتاج في وجوده إلى غيره بل أن وجوده من ذاته بذاته وهذا هو الله تعالى لا غير، وأمّا ممكن الوجود من كان وجوده بغيره، أي يحتاج في وجوده إلى غيره فيكون حينئذ وجوده متساوي النسبة إلى الوجود والعدم فيحتاج إلى موجود يوجدّه فإمّا أن يكون الموجد للممكن نفسه فيلزم الدور وإمّا يكون غيره فننتقل إلى ذلك الغير فيتسلسل الأمر وحيث إن التسلسل باطل ثبت أن الموجد للممكن لا بد أن يكون واجب الوجود، فيظهر مما تقدم أن واجب الوجود غني مطلق وما سواه فقير محتاج مطلق، فلذا صار أن يتصف كل منهما بصفات تليق به، فإذا قلنا إن واجب الوجود يشبه ممكن الوجود في بعض الصفات التي يتصف بها الممكن الفقير المحتاج المحدود الحادث الغاني يلزم من قولنا انقلاب واجب الوجود الغني مطلقا إلى الممكن وهو لا يزال واجب الوجود وهذا محال لاجتماع النقيضين، أي ما فرضناه غنيا لا يحتاج إلى غيره مطلقا انقلب فقيراً محتاجاً مع وجوب وجوده وهذا محال.

### التشبيه، لا يصح ولا يجوز في القرآن الكريم

حثنا القرآن الكريم على التدبر في آياته الكريمة لفهم ما يمكن فهمه ونرد ما يصعب فهمه إلى أهله الذين خوطبوا به، ففي كل آية ظاهر أنيق وباطن عميق، ولكل آية تفسير وتأويل ولكن لا يعلم تأويله إلا الله تعالى وعباده الراسخون في العلم إلا أن هذا لا يمنع أن نفهم ما يظهر من آياته التي تشير إلى عدم صحة وجواز التشبيه كما في الآيات الآتية:

١- قوله تعالى :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ  
ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ  
فَتَنَالَهُمُ اللَّهُ أَن يُوَفَّكَونَ﴾<sup>(١)</sup>.

يظهر هنا أن اليهود والنصارى نسبت إليه تعالى الأبوة فجعلت عزيز وعيسى  
ولداً له تعالى، هذا قول يلزم منه مفسد كثيرة تدل على جراءة قائله وجهله بمقام ربه،  
ففي هذا القول الباطل يشيرون إلى أن الله تعالى يشبه خلقه في حاجته للولد، ويشبهه في  
التناسل والتوالد تعالى عن ذلك علواً كبيراً فهو تعالى كما وصف نفسه :

﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

وهو تعالى منزّه عن كل صفات المخلوقين من حيث الحاجة والمحدودية والتجسيم  
والمكان والزمان وكل نقص، فلا يصح ولا يجوز ولا يمكن أن نجعل له ولداً أو امرأة  
ولا يمكن أن يكون له شبه وهذا ما أكده قوله تعالى :

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

فكيف بعزير وعيسى أن يكونا ولدين لله تعالى وهو الإله الغني المطلق  
اللامحدود؟ وكيف يكون الولد الفقير المحتاج المحدود الممكن المركب العاجز الحادث  
شبيهاً لله تعالى الكامل المطلق؟ فهذا محال لانتفاء الشبه بين الولد المدعى وبين الله تعالى  
الأب كما يدعون، فإذا انتفى الشبه انتفت البنوة والأبوة معاً، بل لا شبيه له في الوجود  
إذ إنه تعالى الخالق وما سواه مخلوق حادث فقير محتاج.

(١) سورة التوبة : ٣٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٠١.

٢- قوله تعالى :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي  
إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ  
وَمَا وَهُنَا النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾<sup>(١)</sup>.

تؤكد هذه الآية الكريمة أن الله تعالى الذي خلق الخلق وبرا النسمة وفطر السموات والأرض ودبر الكون واستوى على العرش، لا يمكن أن يكون رجلاً فقيراً محتاجاً مولوداً من رحم امرأة، كما لا يمكن أن يكون هذا المولود الحادث الذي هو مسبوق بوجود أمه، والمحتاج إلى رعايتها إلا غنياً أزلياً قديماً له كل صفات الكمال، بل يلزم من هذا القول الباطل الانقلاب الحال.

٣- قوله تعالى :

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَبْأً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا  
يَصِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

تستكرهاتان الآيتان الكريمتان أن يكون الله تعالى نسب كما لغيره من المخلوقات، وتؤكد أن على من يقول هذا القول فهو ممن يثبت الشبه بين الله تعالى الذي ليس كمثله شيء وبين خلقه الذي ينسب إلى غيره، فالجن ينتسب إلى الجن للتشابه بينهم، والإنسان ينسب إلى نوعه للتشابه بين أفراد النوع الواحد، وهكذا المخلوقات الأخرى تنتسب إلى جنسها ونوعها لاشتراكها في صفات واحدة، وهذا مما لا ينطبق على الله تعالى إذ لا شبه بينه وبين أحد من مخلوقاته كما تقدم أعلاه.

٤- وهناك آيات أخرى تنفي التشبيه بين الله المثل وبين خلقه، فآية تنفي رؤيته

(١) سورة المائدة، الآية : ٧٢.

(٢) سورة الصافات، الآيتان : ١٥٨ و ١٥٩.

بالبصر كما في قوله تعالى :

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَّ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيَّ فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأخرى تنفي الحاجة التي هي من صفات المخلوق كما في قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وثالثة تنفي فناءه إذ كل مخلوق فان كما في قوله تعالى :

﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا قَارٍ ﴿٦٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(٤)</sup>.

بعد هذه الآيات الكريمة وغيرها كيف يتسنى لأحد أن يشبه الله تعالى الغني بخلقه الفقير؟

### التشبيه لا يجوز ولا يصح نقلا في السنة النبوية

بلغنا ما نقر بصحته من الروايات التي وردت عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ما يؤكد حكم العقل الذي يقول باستحالة التشبيه بين الخالق والمخلوق وبين

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٠٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٤٣.

(٣) سورة فاطر، الآية : ١٥.

(٤) سورة الرحمن، الآيتان : ٢٦ و ٢٧.

الواجب والممكن، وحيث إن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار هم عيبة علم الله تعالى ومنابع المعرفة الحقة وخزائن الحكمة ومصادر التشريع صار لزاماً علينا أن نقف على رواياتهم وخطبهم وأقوالهم في هذا الموضوع لتتضح لنا كيفية وصف الحق سبحانه.

١- النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يصف ربه تعالى وصفاً يليق به سبحانه، يؤكد فيه على نفي التشبيه.

عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض خطبه:

الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانياً، وفي أزليته متعظماً بالالهية، متكبراً بكبريانه وجبروته ابتداء ما ابتدع، وأنشأ ما خلق على غير مثالي كان سبق بشيء مما خلق»<sup>(١)</sup>.

ويشير الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن المشبهة يجهلون مقام ربهم سبحانه كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

«ما عرف الله من شبيهه بخلقه، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده...»<sup>(٢)</sup>.

٢- أمير المؤمنين عليه السلام وسيد البلغاء بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصدق بخطبته التي يوحد الله تعالى بها ويمزجه عن صفات المخلوقين ويؤكد على أن الله تعالى لا يشبه خلقه ولا أحد من الخلق يشبهه، بل يصرح بجهل من شبه الله تعالى بخلقه، ويشير أيضاً إلى عدم توحيد من يقول بالتشبيه، ولكي نترك القارئ الكريم يطلع على

(١) كتاب التوحيد للصدوق: ص ٤٥، ح ٤.

(٢) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٤٨، ح ١٠.

نُحج أمير المؤمنين عليه السلام وفكره ويقف على معرفته بربه تعالى نورد إليه هذه الخطبة البليغة المليئة بالعلم والحكمة والتوحيد الحقيقي.

عن فرج بن فروة، عن مسعدة بن صدقة، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا ربك تبارك وتعالى لنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب أمير المؤمنين عليه السلام ونادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، ثم قام متغير اللون فقال:

الحمد لله الذي لا يقره المنع، ولا يكديه الإعطاء، إذ كل معطر منتقص سواء الملىء بفوائد النعم وعوائد المزيد، ومجوده ضمن عيالة الخلق؛ فأنهج سبيل الطلب للراغبين إليه، فليس بما سنل أجود منه بما لم يسأل، وما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال، ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه أصداف البحار من فلذ اللجين وسبانك العقيان ونضائد المرجان لبعض عبيده، لما أتر ذلك في وجوده ولا أنفد سعة ما عنده، ولكان عنده من ذخائر الإفصال ما لا ينقذه مطالب السؤال ولا يخطر لكثرته على بال، لأنه الجواد الذي لا تنقصه المواهب، ولا ينحله إلحاح الملحين (وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) الذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسي كرامته، وطول ولهم إليه، وتعظيم جلال عزه، وقربهم من غيب ملكوته أن يعلموا من أمره إلا ما أعلمهم، وهم من ملكوت القدس بحيث هم من معرفته على ما فطرهم عليه أن قالوا:

(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)»<sup>١</sup>.



«سَبَبُ فَسَادِ الْعَقْلِ الْهَوَى»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام:

«سَبَبُ الْفِتَنِ الْحِقْدُ»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام:

«سَبَبُ الشَّحْنَاءِ كَثْرَةُ الْمِرَاءِ»<sup>(٣)</sup>.

وعنه عليه السلام أيضا:

«سَبَبُ الْفَقْرِ الْإِسْرَافُ»<sup>(٤)</sup>.

وقال عليه السلام:

«سَبَبُ الْفِرْقَةِ الْإِخْتِلَافُ»<sup>(٥)</sup>.

وقال عليه السلام أيضا:

«سَبَبُ الْفُجُورِ الْخُلُوءُ»<sup>(٦)</sup>.

وعنه عليه السلام:

«سَبَبُ زَوَالِ النِّعَمِ الْكُفْرَانُ»<sup>(٧)</sup>.

وقال عليه السلام:

«سَبَبُ الْهَلَاكِ الشَّرْكُ»<sup>(٨)</sup>.

(١) غرر الحكم: ٥٥١٥. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٧٤.

(٢) غرر الحكم: ٥٥٢٢. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٨١.

(٣) غرر الحكم: ٥٥٢٤. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٨٣.

(٤) غرر الحكم: ٥٥٢٩. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٨٨.

(٥) غرر الحكم: ٥٥٣٠. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٨٩.

(٦) غرر الحكم: ٥٥٣٢. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٩٢.

(٧) غرر الحكم: ٥٥١٧. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٧٦.

(٨) غرر الحكم: ٥٥٤١. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٦٥٣، ح ٨١٩٨.

٣- وحيث إن الأئمة المعصومين عليهم السلام هم نور واحد وقول واحد ومنهج واحد نظمئن أن وصفهم لربهم سبحانه لا يختلفون فيه فقول كل واحد منهم هو قول جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأخيه المرتضى عليه السلام وخير دليل على ذلك ما قاله الإمام الرضا عليه السلام الذي هو ثامن الأئمة المعصومين عليهم السلام.

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدثنا محمد بن عمرو الكاتب، عن محمد بن زياد القلزمي، عن محمد بن أبي زياد الجدي صاحب الصلاة بجدة، قال: (حدثني محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يتكلم بهذا الكلام عند المأمون في التوحيد، قال ابن أبي زياد: ورواه لي أيضاً أحمد بن عبد الله العلوي مولى لهم وخال لبعضهم عن القاسم بن أيوب العلوي أن المأمون لما أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام على هذا الأمر جمع بني هاشم فقال: إني أريد أن استعمل الرضا على هذا الأمر من بعدي، فحسده بنو هاشم، وقالوا: أتولي رجلاً جاهلاً ليس له بصر بتدبير الخلافة؟! فابعث إليه رجلاً يأتنا فنرى من جهله ما يستدل به عليه، فبعث إليه فأتاه، فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه، فصعد عليه السلام المنبر، فقعد ملياً لا يتكلم مطرقاً، ثم انتفض انتفاضة واستوى قائماً، وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه وأهل بيته، ثم قال:

«أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق وشهادة كل مخلوق أن له خالفاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع عن الأزل الممتنع من الحدث. فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إياه وحد من اكتنه ولا حقيقته أصاب

من مثله، ولا به صدق من نهاه ولا صمد صمده من أشار إليه ولا إياه عنى من شبهه، ولا له تدلل من بعضه، ولا إياه أراد من توهّمه، كلّ معروف بنفسه مصنوع وكلّ قائم في سواه معلول، بصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجّته خلق الله حجاباً بينه وبينهم ومباينته إياهم مفارقتة إنيتهم، وابتدأوه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز كلّ مبتدئ عن ابتداء غيره، وأدّوه إياهم دليل على أن لا أداة فيه لشهادة الأدوات بفاقة المتأدّين وأسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغُبُوره تحديد لما سواه فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعدّاه من اشتمله وقد أخطأه من اكتنته، ومن قال: كيف فقد شبهه، ومن قال: لم فقد علّله، ومن قال: متى فقد وقّته، ومن قال: فيم فقد ضمّنه، ومن قال: إلى م فقد نهاه، ومن قال: حتّى م فقد غيّاه ومن غيّاه فقد غاياه، ومن غاياه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد وصفه، ومن وصفه فقد ألحد فيه، لا يتغيّر الله بانغيار المخلوق، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود، أحدٌ لا بتأويل عددٍ ظاهرٌ لا بتأويل المباشرة، متجلّ لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزائلة، مبائنٌ لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطراب، مقدّر لا بحول فكرة مدبّر لا بحركة، مرید لا بهمامة، شاء لا بهمة، مدرك لا بمجسة سميع لا بألة، بصير لا بأداة.

لا تصحبه الأوقات، ولا تضمّنه الأماكن، ولا تأخذه السّنات ولا تحده الصفات، ولا تقيده الأدوات سبق الأوقات كَوْنُهُ، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيه الشاعر عرف أن لا مشعر له ويتجهيه الجواهر عرف أن لا جوهر له، ومضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، ومقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمة، والجلالية بالهُم، والجسّو بالبلل والصدرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها.

مفرّق بين متدانياتها، دالّة بتفريقها على مفرّقها، وبتأليفها على مؤلفها، ذلك قوله عز وجل:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ففرّق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغريزها، دالّة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لمؤقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها له معنى الربوبية إذ لا مريبوب وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع ليس منذ خلق استحق معنى الخالق، ولا بإحداثة البرايا استفاد معنى البارئ كـ كيف ولا تغيبه مذ، ولا تدنيه قد، ولا تحجبه لعلّ، ولا توقته متى، ولا تشمله حين، ولا تقارنه مع، إنما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها وفي الأشياء يوجد فعالها منعته منذ القدم، وحمتها قد الأزلية، وجبّتها لولا التكملة افتتقت فدلّت على مفرّقها، وتباينت فأعربت عن مباينها لما تجلّى صانعها للعقول وبها احتجب عن الرؤية، واليهاتحاكك الأوهام، وفيها أثبت غيره ومنها أنيط الدليل وبها عرّفها الإقرار، وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكمل الإيمان به، ولا ديانة إلا بعد المعرفة، ولا معرفة إلا بالإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع إثبات الصفات للتشبيه فكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، لا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه ما هو ابتدأه إذا لتفاوت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه ولما كان للبارئ معنى غير المبروء ولوحد له وراء، إذا حدّ له أمام ولو التمس له التمام إذا لزمه النقصان،

كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدث، وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء إذا لقامت فيه آية المصنوع، ولتحول دليلاً بعد ما كان مدلولاً عليه، ليس في محال القول حجة ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه له تعظيم، ولا في إباته عن المخلوق ضيق، إلا بامتناع الأزلي أن يشئ وما لا بدأ له أن يبدأ، لا إله إلا الله العليّ العظيم، كذب العادلون بالله، وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خساراً مبیناً، وصلى الله على محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين<sup>(١)</sup>.

ولكي نؤكد على عدم جواز تشبيه الله تعالى بخلقه نورد حديثين عن الأئمة المعصومين عليهم السلام يبينان حال من يشبه الله تعالى بخلقه وهل أن الله له شيئاً من الإيمان؟  
١- يشير الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام إلى أن المشبهة لا إيمان لهم بقوله :

«مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ أَنْكَرَ قُدْرَتَهُ فَهُوَ كَافِرٌ»<sup>(٢)</sup>.

٢- ويؤكد ولده الإمام الرضا عليه السلام ذلك بقوله :

«مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ وَصَفَهُ بِالْمَكَانِ فَهُوَ كَافِرٌ. وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا نَهَى عَنْهُ فَهُوَ كَاذِبٌ».  
ثم تلا هذه الآية :

﴿إِنَّمَا يَقْرَأُ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup><sup>(١)</sup>.

فبهذا المقدار نكتفي من بيان عدم صحة القول بالتشبيه وعدم جواز ذلك.

(١) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٣٥ - ٤٢، ح ٢.

(٢) كتاب التوحيد للصدوق: ص ٧٤، ح ٣١.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٥.

(٤) التوحيد للصدوق: ص ٦٧، ح ٢٥.

## هل أن الله تعالى شيء؟

تمتنع الكلمات من الانتقاش على سطورها وجلة كونها ترجمان المباحث العقائدية لاسيما في البحوث التي تتكلم عن بارئها، فكيف لي أن أبدأ الجواب على هذا السؤال؟ هل أن الله تعالى شيء؟ لمعرفتي أن الفطرة تقر بوجود خالق الخلق، والقلب مليء باليقين والتصديق، والجوارح مدعنة معترفة بقدرته وإحاطته، فلذا أقول بلسان صريح أن الله تعالى موجود، وأنه تعالى شيء لما جاء في كتب اللغة من أن الشيء هو الموجود<sup>(١)</sup>.

فلذا يصح أن نطلق كلمة (شيء) على الله تعالى مع الاحتفاظ بقيود الآيات والروايات الشريفة التي صرحت بأنه تعالى (ليس كمثله شيء) ولكي يتاح لي أن أجيب على هذا السؤال بطريقة علمية لابد أن أسلسل الجواب وفق النقاط التالية :

١- لا شك في وجود الله تعالى بالدليل العقلي كبرهان الإمكان وبرهان العلة والمعلول وبرهان المحدودية وبرهان الأثر والمؤثر التي ذكرها أهل الاختصاص في محلها.

٢- لا شك في وجود الله تعالى بالدليل النقلي كما في قوله تعالى :

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) المعجم الوسيط : ص ٥٠٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية : ١٠.

(٣) سورة الروم، الآية : ٣١.

وقال عز وجل:

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّهُ يُوقِفُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وهناك أكثر من آية تصرح بأن الله تعالى موجود لخلقه الخلق وتديره الأمر. كما أن الكثير من الروايات التي تشير إلى وجوده تعالى كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في حوار مع السائلين والمستفهمين ومع المشككين والملحدّين، قد أشار مولانا الإمام الصادق عليه السلام إلى دليل الفطرة الذي يظهر عند الشدائد، (قال له رجل: يا بن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ الجادلون وحيروني).

فقال الإمام عليه السلام:

«يا عبد الله هل ركبْتَ سفينة قط؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل كُسرْتَ بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلصك من ورطتك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى وعلى الإغاثة حيث لا مغيث»<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.

(٢) الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية، محمد جميل حمّود: ج ١، ص ٨٨. بحار الأنوار: ج ٣، ص ٤١.

٣- ثبت عند أهل الحكمة وكثير من المتكلمين أن الشيئية تساوق الوجود والعدم لا شيئية له أي أن كل ما له الوجود له الشيئية، وكل ما له الشيئية له الوجود<sup>(١)</sup>.

٤- ثبت في لسان النقل أن الله تعالى شيء ولكن ليس كمثله شيء كما في قوله تعالى:

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام صريح في جواز إطلاق (شيء) على الله تعالى ولكن دون أن ننفي وجوده أو ننفي صفاته، ودون أن نشبهه بصفات خلقه كما في قول الإمام الجواد عليه السلام: (عن الحسين بن سعيد قال: سئل أبو جعفر الثاني عليه السلام: يجوز أن يقال لله: إنه شيء؟ قال - عليه السلام -:

«نَعْمُ يُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدِيثِ: حَدُّ التَّعْطِيلِ وَحَدُّ التَّشْبِيهِ»<sup>(٣)</sup>.

وروايات أخرى تبين أنه تعالى شيء لا كالأشياء في ذاته وصفاته بل هو تعالى فوق الإدراك والأوهام وهذا ما صرح به الإمام الباقر عليه السلام: (عن محمد بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن التوحيد فقلت: أتوهم شيئاً؟ فقال - عليه السلام -:

«نَعْمُ غَيْرَ مَعْقُولٍ وَلَا مَحْدُودٍ، فَمَا وَقَعَ وَهْمُكَ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ خِلَافُهُ، لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ، كَيْفَ تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَهُوَ خِلَافُ مَا يُعْقَلُ وَخِلَافُ مَا يَتَصَوَّرُ فِي الْأَوْهَامِ! إِنَّمَا يَتَوَهَّمُ شَيْءٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَلَا مَحْدُودٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) بداية الحكمة: ص ١٦٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) أصول الكافي للكليني: ج ١، ص ١٠٤، باب إطلاق القول بأنه شيء، ح ٢.

(٤) أصول الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١٠٤، باب إطلاق القول بأنه شيء، ح ١.



وما نوره من الروايات الشريفة الآتية صريح في إطلاق الشيئية عليه تعالى مع الاحتفاظ بشروطها كما فيما يلي :

١- عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الخلي، عن ابن مسكان، عن زرارة بن أعين قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

«إنَّ اللهَ خلُومَن خلقه وخلقه خلُومنه وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق كل شيء تبارك الذي ليس كمثل شيء وهو السميع البصير»<sup>(١)</sup>.

٢- عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن عطية، عن خزيمة، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

«إنَّ اللهَ خلُومَن خلقه وخلقه خلُومنه وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله تعالى فهو مخلوق والله خالق كل شيء»<sup>(٢)</sup>.

٣- عن العباس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق حين سأله : ما هو؟ قال :

«هو شيء بخلاف الأشياء أرجع بقولي إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يحس ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغیره الأزمان»<sup>(٣)</sup>.

(١) أصول الكافي: ج ١، ص ١٠٥، باب إطلاق القول بأنه شيء، ح ٤.

(٢) أصول الكافي للكليني: ج ١، ص ١٠٥، ح ٥.

(٣) أصول الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١٠٥، باب إطلاق القول بأنه شيء، ح ٦.

## السميع البصير اسمان من أسمائه تعالى

إن صفتي السمع والبصر مما يتصف بهما الله تعالى دون أن يمس هذا الاتصاف عظمة الحق سبحانه، ومن غير أن يشترك معه السامعون والمبصرون لجلاله عن التي السمع والبصر، فهو سميع بغير آلة وبصير بغير جارحة، ولذا أشتق اسما السميع والبصير من هذا الاتصاف، ولكي نقف على حقيقة هاتين الصفتين لابد أن نطلع على ما قيل في تفسيرهما وانطباقهما على الله تعالى.

١- إن سمعَهُ وبصرَهُ سبحانه ليسا وصفين يغايران وصف العلم، بل هما من شُعَب علمه بالمسموعات والمبصرات، فلأجل علمه بهما صار يطلق عليه تعالى أنه سميعٌ بصير.

٢- إنَّهما وصفان حسيَّان، وإدراكان نظير الموجود في الإنسان.

٣- إنَّ السَّمْعَ والبصرَ يغايران مطلق العلم مفهوماً، ولكنهما علمان مخصوصان وراء علمه المطلق من دون تكثر في الذات ومن دون أن يستلزم ذلك التوصيف تجسماً، وما هذا إلاَّ حضور الهويَّات المسموعة والمبصرة عنده سبحانه، فشهود المسموعات سمع، وشهود المبصرات بصر، وهو غير علمه المطلق بالأشياء العامة، غير المسموعة والمبصرة<sup>(١)</sup>.

ولبيان صحة هذه الأقوال الثلاثة التي وردت عن أهل العلم نقول:

ألف: إن السمع والبصر في الله تعالى لا يمكن أن يكونا حسيَّين لتزده عن صفات الممكنات، وجلاله عن الحاجة والتركيب، فلذا لا صحة للقول الثاني لاستحالة انطباقه على الله تعالى.

باء: بما أنه تعالى يحيط بكل شيء علماً فهو تعالى عالم بالمسموعات والمبصرات ولذا يصح إطلاق اسمي السميع والبصير عليه تعالى.

(١) الإلهيات للشيخ جعفر السبحاني: ج ١، ص ١٥٩.

## الوصفان في القرآن الكريم

### السميع

تتجلى العظمة الإلهية من خلال الخلق لمن ينظر إليها من نافذة الممكنات، ويشهدها بقلبه حينما يتأمل صفات الحق سبحانه، وخير من وصف الباري عز وجل هو كتابه الكريم بآيات مليئة بالحكمة والعلم، وبكلمات تحوي بطونا سبعة لا يعلمها إلا أهلها، ولكي نقف على هذه الصفة (السمع) التي إذا اتصف بها فاعلها سمي بالسميع لا بد أن نطلع على ما جاء في ذكر هذا الاسم وهذه الصفة في الآيات الكريمة من القرآن الكريم:

١- كونه تعالى واجب الوجود وخالق الخلق ومدبر الأمور يقتضي ذلك أن يكون محيطاً بكل شيء، لا تخفى عليه الأصوات ولا تفوته الخفايا والأسرار، فهو لكل صوت سميع وبكل سر عليم فلذا قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- كونه تعالى رؤوفاً بالعباد لطيفاً بالخلق رحيماً بالمؤمنين يقتضي ذلك أن يجيبهم إذا سألوا ويحيمهم إذا لجأوا ويغيثهم إذا استغاثوا فلذا نجده سبحانه يصف نفسه تعالى أنه سميع لدعاء عباده كما في قوله تعالى:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>.

رغم أن دعاء زكريا كان خفياً كما حكى لنا ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣.

فهو يسمع الدعاء ويسمع النداء ويعلم الاستغاثة سواء كان ذلك في الجهر أو الإخفاء.

٣- لا شك في أن يكون خالق الخلق والمحيط بكل شيء قريباً من عباده لا قرب مكان ولا قرب زمان لأنه تنزه عن مجانسة مخلوقاته وإنما هو مقتضى إحاطته لذا يصف نفسه بقوله تعالى :

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾<sup>(١)</sup>.

مدارة لعقولنا التي آنست بالأبعاد المادية الدنيوية وإلاّ فهو تعالى أسمى في قربه من أن ندركه فلذا يخاطبنا بقوله :

﴿أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٤- وصف الله سبحانه نفسه بأنه يسمع دون أن تؤثر فيه الأصوات ودون أن تؤثر على سمعه الأماكن فهو يسمع من في السموات كما يسمع من في الأرض وفي آن واحد ويمستوى واحد كما في قوله تعالى :

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>.

٥- لو تتبعنا كل آية ورد فيها اسم السميع ل طال بناء المقام فلذا اكتفينا بذكر بعضها علماً أن اسم السميع أو كلمة سميع وردت في كثير من الآيات.

(١) سورة سبأ، الآية : ٥٠.

(٢) سورة الزخرف، الآية : ٨٠.

(٣) سورة الأنبياء : ٤.

(٤) سورة الشعراء، الآية : ٢٢٠.

### البصير

علمنا بأنه تعالى يرى ويسمع يجعلنا في حياء دائم لاسيما عندما تقع من بعضنا الآثام ويقترف بعضنا الذنوب، فنعيش في دائرة التقصير مستغفرين تائبين، كيف لا يكون ذلك ونحن نقرأ هذه الآيات الكريمة؟

١- آية تشير أنه تعالى مطلع على ظواهرنا وبواطننا بغير جارحة أو آلة للبصر كما في قوله تعالى:

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- آية تصرح بأن ما نقترف من سيئات ونرتكب من ذنوب في أعمالنا وأقوالنا ونياتنا تحت مراقبته كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- عندما نتأمل وتدبر قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

نعتقد بأن بصره ليس كبصرنا وإبصاره ليس كإبصارنا، فبصره لا بد أن يكون منزهاً عن الحدود والأماكن والأزمان، ولا بد أن يكون بصره واسعاً سعة تليق به تعالى وليس ذلك إلا علمه بالمبصرات وإحاطته بها.

٤- حيث إننا نعلم أن كلمة (البصير - بصير) وردت في أكثر من آية في القرآن الكريم وكلها تشير إلى اتصافه تعالى بالبصر وتسميته بالبصير نكتفي بما تقدم وتدبر في

(١) سورة غافر، الآية: ٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٠.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٩.

الآيات التي ذكرت هذه الصفة لتعرف شيئا من عظمة ربنا سبحانه وتعالى.

وقوله عليه السلام:

«احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وعن في السماء احتجابه

كمن في الأرض».

تقدمت الأبحاث التي أثبتت عدم الرؤية البصرية بل أثبتنا عدم إحاطة العقل به سبحانه لمحدودية العقل وعجزه عن أن يحيط بالله تعالى، وأدرجنا الروايات التي تشير إلى عجز الأوهام والأفهام عن الإحاطة به تعالى، ولكي نذكر القارئ الكريم نقول باختصار:

الله تعالى هو واجب الوجود ومن صفات واجب الوجود وكمال أنه منزّه عن الحدود والأوصاف الناقصة، ومنزه عن كل صفات الممكن، ولذا فهو تعالى فوق العقول المحدودة وخارج إدراكها، كما أنه تعالى منزّه عن الجسم والجسمانية فيكون أيضا خارجا عن الرؤية البصرية، وهو تعالى خالق الخلق ومحيط بكل شيء فلا شيء يحيط به، فاحتجب عن خلقه لا بحجاب أو ساتر، وإنما احتجب بذاته وصفاته ووجوب وجوده.

ولكي نؤكد قولنا ونربط بين قول الإمام الحسين عليه السلام وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام نورد هذه الخطبة عن أمير المؤمنين عليه السلام التي تبين بوضوح ما أراده الإمام الحسين عليه السلام، فلقد جاء في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام:

«الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا

تجسبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده،

وباشتباههم على أن لا شبه له، الذي صدق في معاده، وارتفع عن ظلم عباده،

وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه، مستشهد بحدوث الأشياء على

أزليته، وبما وسماها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه،

ولحد لا بعدد، ودائم لا بآمد، وقائم لا بعمد، تتلقاه الأذهان لا بمشاعة، وتشهد له

المراني لا بمحاضرة، لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها، وبها امتنع منها، والبها حاكمها، ليس بندي كبرامتد به النهايات فكبرته تجسيدا، ولا بندي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا، بل كبرشأنا، وعظم سلطانا»<sup>(١)</sup>.

وهناك روايات تذكر علة احتجاب الله عز وجل عن خلقه.

عن محمد بن بندار، عن محمد بن علي، عن محمد بن عبد الله الخراساني - خادم الرضا عليه السلام - قال: (قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام:

لِمَ احتجب الله؟ فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إن الحجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم فأما هو فلا تخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار».

قال: فلم لا تدركه حاسة البصر؟ قال - عليه السلام -:

«للفرق بينه وبين خلقه الذين تدرّكهم حاسة الأبصار، ثم هو أجل من أن تدرّكه الأبصار أو يحيط به وهم أو يضبطه عقل».

قال: فحده لي، قال - عليه السلام -:

«إنه لا يحده».

قال: لِمَ؟ قال - عليه السلام -:

«لأن كل محدود متناه إلى حد فإذا احتتم التحديد احتتم الزيادة وإذا احتتم الزيادة احتتم النقصان، فهو غير محدود ولا متزاند ولا متجز ولا متوهم»<sup>(٢)</sup>.

وجاء عن القاسم بن محمد، عن حمدان بن الحسين، عن الحسين بن الوليد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي حمزة الثمالي قال: (قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام:

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للعلامة حبيب الله الهاشمي: ج ١١، ص ٥، الخطبة ١٨٤.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٣، ص ١٦، ح ١.

لأي علة حجب الله عز وجل الخلق عن نفسه؟ قال - عليه السلام - :

«لأن الله تبارك وتعالى بناهم بنية على الجهل فلو أنهم كانوا ينظرون إلى الله عز وجل لما كانوا بالذين يهابونه ولا يعظمونه، نظير ذلك أحدكم إذا نظر إلى بيت الله الحرام أول مرة عظمه فإذا أتت عليه أيام وهو يراه لا يكاد أن ينظر إليه إذا مر به ولا يعظمه ذلك التعظيم»<sup>(١)</sup>.

- وقوله عليه السلام :

«قربه كرامته وبعده إهانتة».

أشار الإمام عليه السلام إلى القرب الإلهي وبين أنه قرب معنوي لا قرب مادي فلذا يقول إن قرب الله تعالى من العبد يظهر من خلال إكرامه لهذا العبد وأن بعد الله تعالى عن العبد يظهر من خلال سخطه وعدم رضاه وإهانتة لهذا العبد، فيظهر من قول الإمام عليه السلام أن الله تعالى لا يحويه مكان ولا يحيط به موضع فلذا لا يكون له قرب وبعد مادي، وهذا ما أكدته أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

«ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال»<sup>(٢)</sup>.

- وقوله عليه السلام :

(عُلُوٌّ مِنْ غَيْرِ تَوَلُّيٍّ، وَمَحِينَةٌ مِنْ غَيْرِ تَقَلُّبٍ، يُوجِدُ الْمَقْهُودَ وَيُفْقِدُ الْمَوْجُودَ، وَلَا تَجْتَمِعُ لِغَيْرِ الصِّفَاتِ فِي وَقْتٍ).

أشار الإمام عليه السلام إلى أربعة أبحاث نوجزها في النقاط التالية :

١- إن الله تعالى عال علواً معنوياً، وما كان علوه ناشئاً عن صعود سلم أو ارتقاء منبر، أو طيران طائر بل هو علو خارج عن صفات المادة والجسمية.

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي : ج ٣، ص ١٦، ح ٢. س

(٢) نهج البلاغة بشرح محمد عبده : ص ١٣٠، الخطبة ٩١.



٢- ورد في القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿إِذَا أَخْرَجْنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فأراد الإمام الحسين عليه السلام أن يبين أن مجيئ الله تعالى له معنى غير مادي ليس معتمداً على الحركة والانتقال.

٣- بين الإمام عليه السلام أن الله تعالى هو الذي أوجد الأشياء وهو الذي يفنيها.

٤- إن الله تعالى قادر على أن يجمع بين الصفتين المتضادتين في آن واحد، كالإحياء والإماتة، وكالرازق وغير الرازق، وقادر على الجمع بين صفة الحلم والكرم مثلاً في آن واحد دون أن تتأخر إحداها عن الأخرى.

## الوصفان في حديث أهل البيت عليهم السلام

### السميع

وصف أهل البيت عليهم السلام يتقدمهم جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ربّهم بصفة السمع وأطلقوا عليه اسم السميع كما أطلق هو تعالى على نفسه، إلا أنهم بيّنوا في أحاديث متفرقة كيفية هذا السمع فتارة يسمع الأصوات المرتفعة كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا سامع الأصوات، يا عالم الخفيات، يا دافع البليات»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٣) موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٤، ص ٢٦٥، ح ٤٧٠٦.

وأخرى يسمع الأصوات الضعيفة التي يصدرها الضعفاء من العباد عندما يأنون من آلامهم كما ورد ذلك في دعاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا من يعلم مراد الريدين، يا من يعلم ضمير الصامتين، يا من يسمع أنين الواهنيين، يا من يرى بكاء الخائفين»<sup>(١)</sup>.

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يبين سعة سمعه وكيفيته، فهو تعالى يسمع الأصوات الصغيرة والكبيرة على حد سواء والقريبة والبعيدة كذلك كما جاء ذلك في قوله عليه السلام:

«كل سمع غير يصم عن لطيف الأصوات، ويصم كبرها، ويذهب عنه ما بعد منها»<sup>(٢)</sup>.

ويشير الإمام زين العابدين عليه السلام إلى سعة سمعه أيضا بقوله:

«اللهم أنت الملك الذي لا يملك، والواحد الذي لا شريك لك، يا سامع السر والنجوى»<sup>(٣)</sup>.

وفي موضوع آخر يدعو فيقول:

«يا موضع كل شكوى، ويا سامع كل نجوى، وشاهد كل ملا، وعالم كل خفية»<sup>(٤)</sup>.

وأما الإمام الصادق عليه السلام فيوضح لنا علة تسميته تعالى بالسميع من خلال بيان سعته وقوته بقوله:

«إنما سمي سميعا؛ لأنه ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هورابعهم، ولا خمسة إلا هو

(١) موسوعة العقائد الإسلامية، محمد الريشهري: ج ٤، ص ٢٦٦، ح ٤٧٠٧.

(٢) موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٤، ص ٢٦٦، ح ٤٧٠٩.

(٣) موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٤، ص ٢٦٦، ح ٤٧١٠.

(٤) موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٤، ص ٢٦٦، ح ٤٧١١.

سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا، يسمع  
النجوى، ودبيب النمل على الصفا، وخفقان الطير في الهواء لا تخفى عليه خافية ولا  
شيء مما أدركته الأسماع والأبصار، وما لا تدركه الأسماع والأبصار، ما جل من  
ذلك وما دق، وما صغر وما كبر ولم نقل سميعاً بصيراً كالسمع المعقول من  
الخلق»<sup>(١)</sup>.

ويؤكد الإمام الكاظم عليه السلام أن الله تعالى سميع دون أن يشك بصحة سمعه  
ودقته فيقول:

«اللهم... أنت..... سميع لا يشك»<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد أيضاً أنه تعالى يسمع الأصوات القوية دون أن تؤثر عليه كما تؤثر على  
سمع المخلوق فيهم منها، ويسمع الخفية التي لا يستطيع أن يسمعها غير صاحبها،  
ويوضح أن سمعه واسع شامل لجميع اللغات المختلفة التي تصدرها المخلوقات بل هو  
رفيق على كل ما يصدر من خلقه ويرى الإمام الرضا عليه السلام أن الله سبحانه  
يسمع كل صوت يصدر من خلقه دون أن يشبهه بأحد منها كما في قوله:

« اللهم إني أسألك، يا سامع كل صوت، ويا بارئ النفوس بعد الموت، ويا من لا  
تنشأ الظلمات، ولا تتشابه عليه الأصوات، ولا تغلظه الحاجات»<sup>(٣)</sup>.

وينفي الإمام الرضا عليه السلام أن يكون سمع الله تعالى بآلة سمع مثقوبة كما هو  
في خلقه فيقول:

« سمي ربنا سميعاً لا نجرت فيه يسمع به الصوت ولا يبصر به، كما أن خرتنا الذي  
به نسمع لا نقوى به على البصر، ولكنه أخبر أنه لا يخفى عليه شيء من

(١) موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٤، ص ٢٦٦ - ٢٦٧، ح ٤٧١٣.

(٢) موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٤، ص ٢٦٧، ح ٤٧١٦.

(٣) موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٤، ص ٢٦٧ - ٢٦٨، ح ٤٧١٨.

الأصوات، ليس على حد ما سمينا نحن، فقد جمعنا الاسم بالسمع واختلف المعنى»<sup>(١)</sup>.

وبيّن الإمام الرضا عليه السلام سعة سمعه ودقته في موضع آخر (لما سأله رجل: أخبرني عن قولكم: إنه لطيف وسميع... قلنا:

«إنه سميع لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الشرى من الذرة إلى أكبر منها في برها ومحرها، ولا يشبهه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك: إنه سميع لا بأذن»<sup>(٢)</sup>.

### سمعه لا كسمعنا

ورد على لسان أهل البيت عليهم السلام أن سمع الله تعالى منزّه عن صفات سمع المخلوق كما جاء ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من حديث كقوله:

«السميع لا بأداة سميع لا بآلة، السميع لا بتفريق آلة، سميع للأصوات المختلفة، بلا جوارح مؤتلفة».

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«ولم نقل سميعاً بصيراً كالسمع العقول من الخلق».

وفي قول آخر يقول:

«هو سميع بصير، سميع بغير جارحه، بصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه وببصر بنفسه».

وورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«قلنا: سميع لا مثل سمع السامعين».

وجاء عن ولده الإمام الجواد عليه السلام قوله:

«ولم نصفه بالسمع العقول في الرأس».

(١) موسوعة العقائد الإسلامية للريشهري: ج ٤، ص ٢٦٨، ح ٤٧١٩.

(٢) موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٤، ص ٢٦٨، ح ٤٧٢٠.

## البصير

وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ربهم بصفة البصر المنزهة عن الشبه، وأطلقوا عليه اسم البصير تبعاً لما ورد في القرآن الكريم إلا أنهم يبنوا أموراً تتعلق بهذه الصفة وهذا الاسم وهي كالآتي:

– إن الله تعالى يرى الأشياء ويبصرها دون أن يحول بينه وبينها حاجب سواء كان سميكاً أو شفافاً، كبيراً أو صغيراً وهذا ما ورد على لسان سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«يا من لا يحجبه شيء عن شيء».

– إن البصير من المخلوقات لا يستطيع أن يرى الألوان الخفية، والأجسام الدقيقة الصغيرة إلا أن الله سبحانه بصير بذلك مطلع عليه وهذا ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«كل بصير غيره يعى عن خفي الألوان، ولطيف الأجسام».

– إنما سمي الله تعالى البصير، لأنه يرى ويبصر ما تدركه الأبصار وما لا تدركه من مخلوقات صغيرة أو كبيرة، حقيرة أو عظيمة وهذا ما أجاب به الإمام الصادق عليه السلام لما سأله الزنديق (أفرايت قوله: سميع بصير عالم؟ قال:

«إنما سمي - تبارك وتعالى - بهذه الأسماء لأنه لا يخفى عليه شيء، مما لا تدركه

الأبصار من شخص صغيراً أو كبيراً ودقيقاً أو جليلاً».

– إنه تعالى بصير لا يشك ولا يشبه ولا تلبس عليه اللوالب كما في دعاء الإمام الكاظم عليه السلام:

«سبحانك اللهم ومحمدك... أنت... بصير لا يرتاب».

– إن الله تعالى يوصف بالبصير دون أن يشبه بغيره من الخلق فلذلك ورد عن

الإمام الصادق عليه السلام:

«ولا نصفه بصيرا بل حظ عين كالمخلوق».

وأكد ذلك الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«إنه بصيرا لا كبصر خلقه».

وفي قوله عليه السلام:

«وهكذا البصر لا تجرت منه أبصر، كما أن نبصر بجرت منا لا ننتفع به في

غيره».

وهذا الوصف صرح به أيضا الإمام الجواد عليه السلام بقوله:

«ولم نصفه ببصر لحظة العين».

– وقوله عليه السلام:

«عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقُلٍ».

– تقدم في الأبحاث السابقة أن الله تعالى لا يتصف بصفة من صفات الممكنات

ولا تحده الحدود الزمانية والمكانية ولا يتكيف بكيف ولا يسري عليه ما يسري على خلقه، ومما يزه عنه سبحانه هو العلو المكاني، فله تعالى علو حقيقي عن كل ما سواه لأنه واجب الوجود وخالق الخلق وبارئ المكان والزمان ومحيط بكل شيء ولا يحيط به شيء إلا أنه تعالى رغم علوه وارتفاعه عن خلقه فهو أقرب إليهم من جبل الوريد بل يحول بين المرء وقلبه وما هذا القرب إلا لإحاطته وقيوميته، ولو تأملنا في الآيات الكريمة كقوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى:

﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

لا تضح لنا عدم صحة نعته بصفة من صفات الممكنات وعدم جواز وصفه بصفة الأجسام، وعلى هذا لا بد من تفسير علوه سبحانه بامتناع اتصافه بصفات خلقه وارتفاعه عن كل صفات المخلوقات واستغنائه عن العلو والسفل التي هي من ملازمات المكان، فعلوه هو نزاهته عن كل نقص، وعلوه هو ربوبيته لما سواه، وعلوه هو غناه عن كل شيء، وعلوه هو إحاطته بكل شيء، وعلوه هو قيوميته على خلقه وغير ذلك من صفات الكمال اللائق به تعالى.

— وأما تفسير مجيئه تعالى يتضح مما تقدم أنه مجيء أمره تعالى للجلال عن المجيء والحركة والانتقال، وهذا ما أكدته الرواية الشريفة عن الإمام الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى:

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

قال:

«إن الله عز وجل لا يوصف بالمجيء، والذهاب، تعالى عن الانتقال وإنما يعني به وجاء أمر ربك والملاك صفا صفا»<sup>(٣)</sup>.

وهناك معنى آخر للمجيء ذكره العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان هو (أن

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٣) التوحيد للصدوق: ص ١٦٢، ح ١.

المجيء يعني حصول القرب وارتفاع المانع والحاجز بين الشيئين<sup>(١)</sup>.

– وقوله عليه السلام :

(يُوجِدُ الْمَفْقُودَ وَيُقْقِدُ الْمَوْجُودَ).

– أوجد الله الشيء : أنشأه من غير سبق مثال، وفلانا أغناه، يقال : الحمد لله

الذي أوجدني بعد فقر.

الواجد : من أسماء الله تعالى، وهو الغني الذي لا يفتقر<sup>(٢)</sup>.

– فقد الشيء – فقداً، الكتاب و- المال ونحوه : خسره وعدمه<sup>(٣)</sup>.

لا شك أن الله تعالى على كل شيء قدير، ووسعت قدرته كل ما ينطبق عليه مفهوم الشيء، فهو تعالى قادر على غير المحال إذ إن المحال باطل محض لعدم انطباق مفهوم الشيئية عليه، وحيث إن الله تعالى هو خالق كل شيء فهو تعالى قد أبدع خلقه وأنشأه من غير أن يقيس ذلك على مثال سابق لغناه عن ذلك، فلقد ورد في الروايات ما يشير إلى ذلك كقول الإمام الصادق عليه السلام :

«لا يَكُونُ الشَّيْءُ لِمَنْ شَاءَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَنْقُلُ الشَّيْءَ مِنْ جَوْهَرِيَّتِهِ إِلَى جَوْهَرٍ

آخَرَ إِلَّا اللَّهُ...»<sup>(٤)</sup>.

وأما بالنسبة لفناء الأشياء فلقد صرح تعالى بقوله :

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي : ج ٢، ص ١٠٤.

(٢) المعجم الوسيط : ص ١٠١٣.

(٣) المعجم الوسيط : ص ٦٩٦.

(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله : ج ٤، ص ١٤٨، ح ٢.

(٥) سورة الرحمن، الآية : ٢٦.



وفي هذا إشارة إلى القانون الإلهي الذي يحكم بانقطاع أمد هذه النشأة الدنيوية وولادة نشأة أخرى بعد التأمل في النشأة الأولى التي هي الدنيا ومادياتها والنشأة الأخرى التي هي الآخرة ومعنوياتها تظهر نتيجة واضحة أن الله تعالى هو الذي أوجد ما كان في العدم وعدم ما هو في الوجود، وهذا ما صرح به الإمام الصادق عليه السلام:

«ولا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم إلا الله»<sup>(١)</sup>.

– وقوله عليه السلام:

(ولا تَجْتَمِعُ لغيرِ الصِّفَاتِ في وَقتٍ).

ثبت في محله أن الله تعالى نوعين من الصفات هما الصفات الثبوتية والتي تسمى بصفات الكمال والصفات السلبية والتي تسمى بصفات الجلال، والصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين هما: الصفات الذاتية وهي التي تنتزع من الذات فقط، والصفات الفعلية وهي التي تنتزع من مقام الفعل كالخالفية والرازقية.

وثبت أيضاً أن صفات الذات هي عين الذات كالحياة والعلم والقدرة، أي أن قدرته هي حياته وحياته هي قدرته فهو حي من حيث هو قادر وقادر من حيث هو حي، فبهذا اللحاظ نستطيع أن نقول أن أكثر من صفة اجتمعت له تعالى وفي وقت واحد.

وهناك معنى آخر كاجتماع الصفتين له تعالى في وقت كاتصافه بأنه يخلق ولا يخلق أو يرزق ولا يرزق أو يرحم ولا يرحم، إذ أن هذه الصفات هي من صفات الفعل وليس من صفات الذات.

ولكي يتضح البحث نورد باقية من الروايات الشريفة التي تشير إلى هذا المعنى:

١- عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي سأل أبا عبد الله عليه السلام فكان من سؤاله أن قال له: (فله رضاءً وسخطاً؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام:

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج ٤، ص ١٤٨، ح ٢.

«نعم ولكن ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، وذلك أن الرضا حال تدخل عليه فتقله من حال إلى حال؛ لأن المخلوق أجوف معتمل مركب، للأشياء فيه مدخل، وخالفنا لا مدخل للأشياء فيه لأنه واحد ولحدي الذات واحد المعنى، فرضاه ثوابه، وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال، لأن ذلك من صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين»<sup>(١)</sup>.

هذه الرواية تشير إلى اجتماع الرضا للمؤمنين والسخط على الكافرين في وقت واحد.

٢- عن حريز، عن محمد بن مسلم، (عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في صفة القديم:

«إنه واحد صمد أحدي المعنى ليس بمعان كثيرة مختلفة».

قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر ويبصر بغير الذي يسمع، قال: فقال - عليه السلام -:

«كذبوا وألحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك، إنه سمع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع».

قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه، قال: فقال - عليه السلام -:

«تعالى الله إنما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك»<sup>(٢)</sup>.

وهناك معنى آخر هو أنه تعالى يوجد المفقود ويفقد الموجود في وقت لا يشغله الإيجاد عن الالفقار ولا الالفقار عن الإيجاد، ولا يشغله أمر عن أمر ولا سمع عن سمع ولا صوت عن صوت.

(١) أصول الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ٦٤، ح ٦.

(٢) أصول الكافي للكليني: ج ١، ص ٦٣، ح ١.

### هل هما من صفات الذات؟

بيننا أن هاتين الصفتين قد اتصف بهما الله سبحانه وتعالى، وأتبعنا بمعنى علمه بالمسموعات والمبصرات، وأن ذكرهما قد ورد في القرآن الكريم وعلى لسان أهل بيت العصمة عليهم السلام.

وكذلك بيننا سعة هاتين الصفتين ودقتهما وأتبعنا في الله تعالى ليس كما في خلقه، وأن إطلاق اسمي السميع البصير عليه تعالى لا يشابه إطلاقه على غيره. بعد هذا البيان لنا أن نسأل عن هاتين الصفتين هل هما من صفات الذات أم من الصفات الفعلية؟

الجواب عن ذلك سيعرف من خلال وقوفنا على الأحاديث التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام إذ إنها تبين لنا نوع هاتين الصفتين وهي كما يلي:

### في السمع

– ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«سميعاً إذ لا مسموع».

– ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع».

– وقال عليه السلام:

«والسمع ذاته ولا مسموع».

– ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«إنه يسمع بما يبصر ويرى بما يسمع».

**البصر**

- ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

«بصير إذ لا منظور إليه من خلقه».

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله :

«لم يرزل الله عز وجل ربنا... والبصر ذاته ولا مبصر... فلما أحدث الأشياء وقع البصر

على المبصر».

- ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله :

«إنه يسمع بما يبصر ويرى بما يسمع»<sup>(١)</sup>.

من خلال التمعن في هذه الأحاديث الشريفة نجد قول أمير المؤمنين عليه السلام :

«سميعا إذ لا مسموع».

يثبت أن الله تعالى متصف بالسمع والبصر قبل أن يخلق المسموعات والمبصرات

وهذا يدل على أن هاتين الصفتين من صفات الذات.

ولو نظرنا أقوال الإمامين الباقر والرضا عليهما السلام :

«يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع».

يتضح لنا أن هاتين الصفتين لا يمكن أن تكونا هكذا إلا إذا كانتا عين الذات

فيلزم أنهما من صفات الذات ، وتصريح الإمام الباقر عليه السلام بقوله :

«والسمع ذاته ولا مسموع».

لا يحتاج إلى توضيح وبيان كما أن قول الإمام الصادق عليه السلام :

«والبصر ذاته ولا مبصر فلما أحدث الأشياء وقع البصر على المبصر».

يصرح بأن البصر صفة ذات يتصف الله تعالى بها منذ الأزل.

(١) التوحيد للشيخ الصدوق : ص ٦٥.

وهاتان الصفتان لا يخرجنا عن علمه فلذلك قال الإمام الصادق عليه السلام:

«وقع البصر على المبصر».

أي وقع العلم الذاتي على المعلوم.

### سؤال مهم

السؤال: هل يصح أن نطلق عليه أنه شام أو ذائق أو لامس لعلمه بالمذوقات والمشمومات والملموسات؟

الجواب:

### ألف

لا نصف ربنا إلا بما وصف به نفسه ونقف عند ذلك دون أن نخوض في غيره استحساناً أو اجتهداً وقياساً وهذا ما أشار إليه الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل فيقول:

«سبحانه ما عرفوك ولا وحدوك ومن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاعتهم أنفسهم أن شبهوك بغيرك إلهي لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك، ولا أشبهك بمخلقتك، أنت أهل لكل خير فلا تجعلني من القوم الظالمين»<sup>(١)</sup>.

وجاء عن محمد بن سليمان، عن علي بن إبراهيم الجعفري، عن عبد الله بن سنان، (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال:

«إن الله عظيم، رفيع، لا يقدر العباد على صفته، ولا يبلغون كنه عظيمته، لا

تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ولا يوصف بكيف

(١) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ١١٠، ح ١٣.

ولا أين ولا حيث فكيف أصفه بكيف وهو الذي كيف كيف حتى صار كيفاً، فعرفت كيف بما كيف لنا من كيف، أم كيف أصفه بأين وهو الذي أين أين حتى صار أيناً، فعرفت أين بما أين لنا من أين، أم كيف أصفه بـحيث وهو الذي حيث حيث حتى صار حيثاً، فعرفت حيث بما حيث لنا من حيث، فالله تبارك وتعالى داخل في كل مكان، وخارج من كل شيء لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار لا إله إلا هو العليّ العظيم، وهو اللطيف الخبير<sup>(١)</sup>.

## باء

هناك قول لأهل العلم لا يصح إطلاق الشام أو الذائق عليه تعالى للزوم صفات المادة فيقول: (يجب أن يكون سمياً بصيراً، لأنه حي لا آفة به، وفائدة السميع البصير أنه على صفة يجب فيها أن يسمع المسموعات، ويبصر المبصرات، وذلك يرجع إلى كونه حياً لا آفة به، ولا يوصف بأنه سميع بصير، والمعلوم خلاف ذلك.

وأما سامع مبصر فمعناها أنه مدرك للمسموعات والمبصرات، وذلك يقتضي وجود المسموعات والمبصرات فلذلك لا يوصف بهما في الأزل، فأما شام وذائق فليس المراد بهما كونه مدركاً بل المستفاد بالشام أنه قرب الجسم المشموم إلى حاسة شمه، والذائق أنه قرب الجسم المذوق إلى حاسة ذوقه، ولذلك (يقولون شتمته فلم أجد له رائحة، وذقته فلم أجد له طعماً ولا) يقولون: أدركته فلم أدركه لأنه مناقضه وجري مجرى قوله أصغيت له فلم أستمعه فهما بأن يكونا سبب الإدراك على وجه دون أن يكونا نفس الإدراك<sup>(٢)</sup>.

(١) التوحيد للصدوق: ص ١١١ - ١١٢، ح ١٤.

(٢) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للشيخ محمد بن الحسن الطوسي: ص ٥٧ - ٥٨.

## لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار

### امتناع الرؤية

استشهد القرآن الناطق الإمام المعصوم عليه السلام بآية من القرآن الكريم في خطبته الشريفة ليقول بلسان فصيح وقول صريح أن الحق سبحانه أجل وأكبر وأعظم من أن تناله الأبصار أو تدركه الأفهام، امتنع عليها بوجوب وجوده وعجزت عن إدراكه بإمكان وجودها، وتعالى بكماله اللامتناهي عن نقصها المحض، وارتفع بغناه المطلق عن فقرها اللامحدود، فلذا صارت محالاً رؤيته، سمت فوق العقول ذاته، فلا يعرفه إلا بصفته ولا يرى إلا بالبصيرة، فهو تعالى أكبر من أن يقال شيء عن رؤيته ولذا نقسم القوم إلى ثلاث فرق:

١- قالت العدلية بعدم رؤيته تعالى بالبصر سواء كانت الرؤية في الدنيا أو في الآخرة.

٢- جَوَزَ المجسمة رؤيته تعالى بالبصر في الدارين.

٣- قال بعض الأشاعرة برؤيته تعالى يوم القيامة وإنه سينكشف إليهم كانكشاف القمر ليلة البدر، وحيث إن قول المجسمة يستلزم شروطاً للرؤية، فلا بد أن نذكرها كما يلي:

١- يستلزم تحقق الرؤية أن يكون المرئي في جهة معينة.

٢- يستلزم تحقق الرؤية أن يكون المرئي مقابلاً للمرئي أو ما في حكم المقابل كما في المرأة.

٣- يستلزم تحقق الرؤية أن تنعكس صورة المرئي على العين.

٤- أو أن تكون الرؤية بواسطة خروج شعاع مخروطي الشكل فيقع على المرئي.

وبناء على ما تقدم من الأقوال جميعاً يلزم أن يكون المرئي جسماً محدوداً ذا أبعاد مختلفة كالطول والعرض والعمق، كما يلزم منها أن يكون واجب الوجود ممكناً له كل صفات الممكنات، فينتفي الكمال المطلق له تعالى ويتصف بالنقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وبعد أن حكم العقل السليم بعدم صحة القول برؤيته تعالى بالبصر لا بد أن تؤيد حكم العقل بما جاء في الكتاب الكريم، وبما صرح به لسان العصمة من أحاديث محمد وآل محمد صلوات الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

### الآيات الكريمة

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَّ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ نَرِيَّ فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٠٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٤٣.

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥.



وقوله تعالى:

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

وبهذه الباقية العطرة من الآيات الكريمة التي تفند مدعى الرؤية البصرية نكتفي بالرد على من يقول بجواز رؤيته تعالى بالبصر.

### الأحاديث الشريفة

ما نطق به لسان أهل الذكر، وما صرحت به كلماتهم عليهم السلام يرشدنا إلى صحة ما حكم به العقل من رفض التجسيم لله تعالى ورفض الرؤية البصرية التي تستلزم التجسيم، ولكي تشرح الصدور بأحاديثهم النورانية نذكرها كالآتي:

١- ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً في مسجده إذ دخل عليه رجل من اليهود فقال: يا محمد ما تدعو؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم -:

«إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله».

قال: يا محمد أخبرني عن هذا الرب الذي تدعو إلى وحدانيته وتزعم أنك رسوله كيف هو، قال - صلى الله عليه وآله وسلم -:

«يا يهودي! إن ربي لا يوصف بالكيف لأن الكيف مخلوق وهو مكيفه».

قال: فأين هو؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم -:

«إن ربي لا يوصف بالآين لأن الآين مخلوق وهو آينه».

قال : فهل رأيته يا محمد؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

«إنه لا يرى بالأبصار ولا يدرك بالأوهام».

قال : فبأي شيء نعلم أنه موجود؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

«بآياته وأعلامه».

قال : فهل يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

«يا يهودي إن ربي ليس بمحال ولا محَلّ».

قال : فكيف خروج الأمر منه؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

«بإحداث الخطاب في المحال».

قال : يا محمد أليس الخلق كله له؟! قال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

«بلى».

قال : فبأي شيء اصطفى منهم قوماً لرسالته؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

«بسبقهم إلى الإقرار بربوبيته».

قال : فلم زعمت أنك أفضلهم؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

«لأنني أسبقهم إلى الإقرار بربي عز وجل».

قال : فأخبرني عن ربك هل يفعل الظلم؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

«لا».

قال : ولم؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

«لعلمه بقبحه واستغناؤه عنه».

قال : فهل أنزل عليك في ذلك قرآنًا يتلى؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

«نعم؛ إنه يقول عز وجل:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول - تبارك وتعالى :-

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول - سبحانه وتعالى :-

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويقول - عز وجل :-

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال اليهودي: يا محمد فإن زعمت أن ربك لا يظلم فكيف أغرق قوم نوح عليه السلام وفيهم الأطفال؟ فقال - صلى الله عليه وآله وسلم -:

«يا يهودي إن الله عز وجل أعقم أرحام نساء قوم نوح أربعين عاماً فأغرقهم حين أغرقهم ولا طفل فيهم، وما كان الله ليهلك الذرية بذنوب آبائهم، تعالى عن الظلم والجور علواً كبيراً».

قال اليهودي: فإن كان ربك لا يظلم فكيف يخلد في النار أبد الآبدين من لم يعصه إلا أياماً معدودة؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم -:

«يخلده على نيتته، فمن علم الله نيتته أنه لو بقي في الدنيا إلى انقضاءها كان يعصي الله عز وجل يخلده في ناره على نيتته، ونيتته في ذلك شر من عمله، وكذلك يخلد من يخلد في الجنة بأنه ينوي أنه لو بقي في الدنيا أيامها لأطاع الله أبداً، ونيتته خير من

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٨.

(٤) سورة غافر، الآية: ٣١.

عمله، فبالنِّيات يخلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، والله عز وجل يقول:

﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

قال اليهودي: يا محمد إني أجد في التوراة أنه لم يكن لله عز وجل نبي إلا كان له وصي من أمته فمن وصيك؟ قال - صلى الله عليه وآله وسلم -:

«يا يهودي وصي علي بن أبي طالب عليه السلام واسمه في التوراة أليا وفي الإنجيل حيدار وهو أفضل أمتي وأعلمهم بربي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وأنه لسيد الأوصياء كما أنني سيد الأنبياء».

فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وأن علي بن أبي طالب وصيك حقاً، والله إني لأجد في التوراة كل ما ذكرت في جواب مسألتي، وإني لأجد فيها صفتك وصفة وصيك، وأنه المظلوم ومحتوم له بالشهادة، وأنه أبو سبطيك وولديك شبراً وشبيراً سيدي شباب أهل الجنة<sup>(٢)</sup>.

٢- ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (جاء جبرئيل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ فقال - عليه السلام -:

«ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره».

قال: وكيف رأيته؟ قال - عليه السلام -:

«ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رآته القلوب بحقائق الإيمان»<sup>(٣)</sup>.

٣- ومن الروايات التي تبين أن القول بالرؤية البصرية يجر إلى التشبيه المحال

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٤.

(٢) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٢٨٦ - ٢٨٧ في الهامش.

(٣) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ١٠٦، ح ٦.

والباطل قول الإمام أبي الحسن الثالث عليه السلام: (عن أحمد بن إسحاق، قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما فيه الناس فكتب عليه السلام:

«لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينقذه البصر، فإذا انقطع الهواء وعدم الضياء بين الرائي والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان في ذلك التشبيه، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات».

٤- وهذه الرواية تكذب من افتري على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه رأى ربه بالبصر فيقول: (عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾<sup>(١)</sup>.

قال:

«تبارك الجبار».

ثم أشار إلى ساقه فكشف عنها الإزار، قال:

«ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون».

قال:

«أفجم القوم ودخلتهم الهيبة، وشخصت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون»<sup>(٢)</sup>.

وهناك الكثير من الروايات التي تركناها لتجنب الوقوع في الإطالة.

(١) سورة الفلم، الآية: ٤٢.

(٢) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ١٤٩ - ١٥٠.

### الرؤية القلبية

لا تخلو الرؤية من أحد المعنيين، المعنى الحقيقي أو المعنى المجازي لها، فإن كان مرادنا من الرؤية المعنى الحقيقي لها فهي بمعنى الإدراك الحسي أي الرؤية البصرية، وإن كان مرادنا المعنى المجازي لها فهي بمعنى الإدراك العلمي التام أي الرؤية بالبصيرة أو ما يسمى بالرؤية القلبية، وقد تقدم بطلان الرؤية بالمعنى الأول عقلاً ونقلاً، فتتحصّر الرؤية بالمعنى الثاني ولهذا نقول:

إن عظمة الحق سبحانه تتجلى في ذاته وصفاته وأفعاله، وحيث إن الذات الإلهية لا يحاط بها لإحاطتها بكل شيء فلذا عجز المخلوق مهما ارتفعت رتبته وعلت مكانته وسمى فوق غيره من أن ينال الذات الإلهية أو يعرف كنهها وهذا ما أكده الإمام أبو جعفر عليه السلام بقوله: (عن محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي بصير، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي اللَّهِ لَا يَزْدَادُ صَاحِبَهُ إِلَّا تَحِيْرًا».

وفي رواية أخرى عن حريز، قال عليه السلام:

«تَكَلَّمُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

والنظر في ذات الله تعالى يؤدي إلى وقوع الناظر في التيه والضلال والاضطراب كما في هذا الحديث:

(عن محمد بن حمران، عن أبي عبيدة الخذاء قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«يَا زِيَادُ، إِيَّاكَ وَالْخُصُومَاتِ فَإِنَّهَا تُورِثُ الشُّكَّ وَتُحْبِطُ الْعَمَلَ وَتُرْدِي صَاحِبَهَا وَعَسَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالشَّيْءِ فَلَا يُغْفَرُ لَهُ، إِنَّهُ كَانَ فِيْمَا مَضَى قَوْمٌ تَرَكُوا عِلْمَ مَا

(١) أصول الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١١٤، باب النّهي عن الكلام في الكيفية، ح ١.

وَكُلُّوْا بِهِ وَطَلَّبُوْا عِلْمًا مَا كُفُوْهُ حَتَّىٰ اَنْتَهَىٰ كَلَامُهُمْ اِلَى اللّٰهِ فَتَحَيَّرُوا حَتَّىٰ اَنْ  
كَانَ الرَّجُلُ لِيُدْعَىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيَجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ وَيُدْعَىٰ مِنْ خَلْفِهِ  
فَيَجِيبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ».

وفي رواية أخرى :

«حَتَّىٰ تَاهُوْا فِي الْاَرْضِ»<sup>(١)</sup>.

بل إن المفكر في ذات الله تعالى الذي يبغى الإحاطة بها جاهل محض وعاجز  
ضعيف وسيقوده تفكيره في ذلك إلى عاقبة سيئة كما في قول الإمام أبي عبد الله الصادق  
عليه السلام :

«مَنْ نَظَرَ فِي اللّٰهِ كَيْفَ هُوَ، هَلَكَ»<sup>(٢)</sup>.

فلذا أبا الإمام أبو جعفر عليه السلام إلا أن يرشدنا وينصحننا رعاية منه لنا  
ورحمة منه بنا بقوله :

«إِيَّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ فِي اللّٰهِ وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى عَظَمَتِهِ فَانْظُرُوا إِلَى  
عَظِيمِ خَلْقِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وبعد هذه الجولة في أحاديث أهل العصمة والطهارة عليهم السلام صار لابد لنا  
أن نتأمل فيها بإمعان ونستلهمها بقوة ونسترشد بها بدقة لكي نصل إلى اطمئنان القلب  
وسكون النفس وخضوع الجوارح ونسلم بأن رؤية الله تعالى لا تتم من خلال الحواس،  
ولا تتحقق رؤية الذات الإلهية إلا من خلال النظر في عظمتها وصفاتها، فبناء على ما  
تقدم لا تكون الرؤية إلا بالبصيرة، ولا تتحقق إلا الرؤية القلبية وهذا ما تؤكد  
الأحاديث والروايات الشريفة التي سنقف على مضامينها الآتية :

(١) أصول الكافي للكليني: ج ١، ص ١١٥، باب النهي عن الكلام في الكيفية، ح ٤.

(٢) أصول الكافي للكليني: ج ١، ص ١١٥، باب النهي عن الكلام في الكيفية، ح ٥.

(٣) أصول الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١١٦، باب النهي عن الكلام في الكيفية، ح ٧.

١- في هذا الحديث الشريف يؤكد الإمام عليه السلام على عدم إمكان تحقق الرؤية البصرية لجلال الله تعالى عن صفات الأجسام، كما يؤكد على حصول الرؤية القلبية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَى رَسُولَهُ بِقَلْبِهِ مِنْ نُورٍ عَظَمَتِهِ مَا أَحَبُّ<sup>(١)</sup>».

٢- وحديث الإمام أبي جعفر عليه السلام يشير إلى أن الرؤية القلبية تتحقق لكل مؤمن عالم عارف بربه من خلال نظره في آيات الله تعالى الأنفسية والآفاقية، فيقول: (عن علي بن معبد، عن عبد الله بن سنان، عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر، أي شيء تعبد؟ قال - عليه السلام -:

«الله تعالى».

قال: رأيته؟ قال - عليه السلام -:

«بَلْ لَم تَرَهُ الْعَيُونَ بِمُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَانِقِ الْإِيمَانِ، لَا يَعْرِفُ بِالْقِيَاسِ وَلَا يَدْرِكُ بِالْحَوَاسِ، وَلَا يَشْبَهُ بِالنَّاسِ، مُوصُوفٌ بِالْآيَاتِ، مَعْرُوفٌ بِالْعَلَامَاتِ، لَا يَجُورُ فِي حُكْمِهِ ذَلِكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ».

قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته<sup>(٢)</sup>.

٣- بين الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام أن رؤية الذات الإلهية لا يمكن تتحققها بالبصر ولا بالبصيرة معاً لمحدودية الرائي وقصوره عن إدراك الذات اللامتناهية، فلذا قال: (عن أحمد بن محمد، عن أبي هاشم الجعفري، قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: عن الله يوصف؟ قال - عليه السلام -:

«أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟».

(١) أصول الكافي للكليني: ج ١، ص ١١٤، باب في إبطال الرؤية، ح ١.

(٢) أصول الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١١٩، باب في إبطال الرؤية، ح ٥.



قُلْتُ: بلى، قال - عليه السلام -:

«أما نقرأ قوله تعالى:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.

قلت: بلى، قال - عليه السلام -:

«فتعرفون الأبصار؟».

قلت: بلى، قال - عليه السلام -:

«ما هي؟».

قلت: أبصار العيون، فقال - عليه السلام -:

«إن أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك

الأوهام»<sup>(١)</sup>.

وهناك الكثير من الروايات التي تؤكد هذا المعنى لجمنا عنها قلمنا لكي لا نقع في

الإطالة.

### ما هو سبب شبهة الرؤية؟

إن الذين قالوا بجواز رؤيته تعالى بالبصر وقعوا في شبهة التجسيم بسبب فهمهم الخاطئ للآيات الكريمة، وبسبب ابتعادهم عن نهج العترة الطاهرة والثقل الأصغر، فقادهم هذا الابتعاد إلى التعامل مع الآيات الكريمة بسطحية وبساطة في الفهم، ودفعهم إلى الجمود على ظواهر الآيات الكريمة وهذا بدوره أدى إلى صدور أفكار مخالفة للعقل وأقوال تتقاطع مع النصوص الصريحة في تنزيه الحق سبحانه كقوله تعالى:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) أصول الكافي: ج ١، ص ١٢٠، باب في قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)، ح ١٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

وقوله تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup> عِلْمًا.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد ترك هذا الفهم السطحي والخاطئ تركة فكرية ثقيلة على عقول بعض طوائف المسلمين وهذا ما نلمسه من الحديث الآتي:

(عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى قال: سألتني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قرّة: إنا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية، فقال أبو الحسن عليه السلام:

«فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ عِلْمًا، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

أليس محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟».

قال: بلى. قال عليه السلام:

«كيف يحيي رجل إلى الخلق جميعا فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: لا تدركه الأبصار، ولا يحيطون به علما، وليس كمثلته شيء، ثم يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علما وهو على صورة البشر، أما

(١) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

تستحون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر».

قال أبو قرّة: فإنه يقول:

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾<sup>(١)</sup>.

فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال:

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾.

يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال:

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.

فآيات الله غير الله وقد قال الله:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

فإذا رآته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة».

فقال أبو قرّة: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها، وما أجمع المسلمون عليه أنه لا

يحاط به علماً ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء»<sup>(٣)</sup>.

فمن هذا الحديث الذي سقناه إليكم تظهر بعض الإرشادات التي أفاض بها

الإمام عليه السلام على السائل لكي يضع قدمه على الصراط المستقيم، ويرتفع اللبس

عن عقله وتثار ظلمة أفكاره بنور الإمام عليه السلام وهي كما يلي:

(١) سورة النجم، الآية: ١٣.

(٢) سورة النجم، الآية: ١٨.

(٣) أصول الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١١٧ - ١١٨، باب في إبطال الرؤية، ح ٢.

- ١- في حالة وجود تقاطع مع كلام الله تعالى يقدم كلام الله تعالى على غيره من الكلام وإن كان منسوباً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
- ٢- يؤكد الإمام عليه السلام للسائل أن حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يناقض القرآن الكريم كون مصدرهما واحداً وهو نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- ٣- ثم يفسر الإمام عليه السلام الآيات تفسيرا يدفع شبهة الرؤية البصرية عن فهم السائل الذي أوسر عقله بفهم خاطئ للآية.

### معنى الإدراك الإلهي

ورد قوله تعالى :

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ﴾<sup>(١)</sup>.

كعبارة على لسان الإمام الحسن عليه السلام يصف بها ربه سبحانه، ولكي نقف على معنى هذه العبارة لابد أن نعرف معنى الإدراك.

الإدراك في اللغة: أدرك الشيء: بلغ علمه أقصى الشيء<sup>(٢)</sup>.

الإدراك في الاصطلاح: هو علمه تعالى بالمدركات والإحاطة بها.

إذا اطلع الإنسان على أمر ما في الواقع الخارجي يدركه بأحد حواسه الخمس، أما من خلال البصر أو السمع أو الذائقة أو اللمس أو الشم فيستطيع أن يصفه بحسب علمه الحسي لذلك الشيء المحسوس<sup>١</sup>، لكن الإدراك بالنسبة لله تعالى لا يمكن أن يكون كذلك لتزهره تعالى عن الحواس، فيكون إدراكه تعالى للأشياء المدركة هو علمه بها دون اشتباه أو التباس أو خطأ، وكيف لا يدرك المحسوسات وغيرها وهو الذي أحاط بكل شيء علماً؟

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) المعجم الوسيط: ص ٢٨١.

## وهو اللطيف الخبير

### اللطيف

للطيف معنيان هما :

اللطيف : ( من أسماء الله الحسنى البر بعباده الرفيق بهم والعالم بخفايا الأمور ودقائقها.

اللطيف : الصغير، الرقيق، ألطف فلانا بكذا : أتحفه وبرّه.

استلطف الشيء : قربه منه وألصقه بجنبه.

اللطّف : الرفق، الهدية، يقال : أهدى إليه لطفاً، وما أكثر تحفه وألطافه.

اللطف : من قبل الله تعالى : التوفيق العصمة<sup>(١)</sup>.

فلو تأملنا هذه المعاني لكلمة (اللطيف، اللطف) لانطبقت بعضها على صفته تعالى، فهو الرفيق بعباده الحنان الذي يرأف بعبده أكثر من رأفة الوالدين بالصغير، وهو الذي يصدق على عبده بعطاياه ومنحه ونعمه، ويتقرب إلى صالحهم ويوفقه ويحول بينه وبين الآثام والخطايا رحمة وجباً وتفضلاً.

فالله تعالى لطيف بالمعنى الذي يليق بشأنه سبحانه، كما أنه تعالى منزّه عن معنى الصغير أو الرقيق انّى هي من معاني صفات الممكنات المحدودة العاجزة.

وهناك معنى آخر يتضح من خلاله اسم اللطيف : وهو أن الله تعالى خلق خلقاً في غاية الصغر والدقة واللطافة وقد أحاط به علماً فلذا سمي باللطيف وهذا ما تؤكدّه الروايات الشريفة :

– ورد عنه عليه السلام :

«إن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه ما العباد مقرّفون في ليلهم ونهارهم، لطف

به خيراً وأحاط به علماً».

– ورد عنه عليه السلام :

« لا إله إلا الله اللطيف بمن شرد عنه من مسرفي عباده ليرجع عن عتوه وعناده ».

– عن الإمام الحسن عليه السلام :

« ربنا اللطيف بلطف ربوبيته ».

– عن الإمام الصادق عليه السلام :

« سمينا، لطيفا للخلق اللطيف ولعله بالشيء اللطيف ما خلق من البعوض والذرة وما هو أصغر منها لا يكاد تدركه الأبصار والعقول، لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته، لا يعرف من ذلك لصغر الذكر من الأنثى، ولا الحديث المولود من القديم الوالد، فلما رأينا لطف ذلك في صغره وموضع العقل فيه والشهوة للفساد، والهرب من الموت، والحب على نسله من ولده، ومعرفة بعضها بعضا، وما كان منها في لجج البحار، وأعنان السماء، والمفاوز والقفار، وما هو معنا في منزلنا، ويفهم بعضهم بعضا من منطقهم، وما يفهم من أولادها ونقلها الطعام إليها والماء علمنا أن خالقها لطيف، وإنه لطيف بخلق اللطيف ».

– عن الإمام الرضا عليه السلام :

« وأما اللطيف فليس على قلة وقضاقة (دقة) وصغر، ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء والامتناع من أن يدرك، كقولك للرجل لطف عني هذا الأمر ولطف فلان في مذهبه، وقوله يخبرك أنه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلظفا لا يدركه الوهم، فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدركه بحد أو يحد بوصف، واللطافة منا الصغر والقلّة، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى ».

وهناك الكثير من الروايات التي تؤكد نفس المعنى لكلمة اللطيف الذي ورد في

الروايات المبيّنة أعلاه.

## الخبير

جاء المعنى اللغوي لاسم الخبير بمعنى: اسم من أسماء الله عز وجل، وهو العالم بما كان وما يكون، وذو الخبرة الذي يخبر الشيء بعلمه وفي التزليل العزيز (فاسأل به خبيراً)<sup>(١)</sup>.

فالله تعالى هو واجب الوجود الذي اتصف بصفات كمالية مطلقة كالعلم والإحاطة بكل شيء، وهو الذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته مهما دق وصغر واختفى، وهو الذي يعلم السر وأخفى، مما يدل على إحاطة علمه بحقيقة الأشياء وبظواهرها وبباطنها وهذا ما أكدته الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«وأما الخبير فالذي لا يعزب عنه شئ ولا يفوته، ليس للتجربة ولا للاعتبار بالأشياء وأما في بعض المصادر: فتفيده التجربة والاعتبار علماً لولاها ما علم لأن من كان كذلك كان جاهلاً، والله تعالى لم يزل خبيراً بما يخلق، والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى»<sup>(٢)</sup>.

وعنه أيضاً عليه السلام:

«لم يكن قوام الخلق وصلاحيهم إلا بالإقرار منهم بعليم خبير يعلم السر وأخفى، أمر بالصالح، ناه عن الفساد»<sup>(٣)</sup>.

وتشير الأحاديث التي سبق ذكرها إلى خبرته التي هي بمعنى الإحاطة التامة بما خلق لا عن تجربة أو اعتبار كما يحصل ذلك في البشر، كما أن خبرته لم تكن عن تعلم لرفع جهل أو تدريب لصقل موهبة.

(١) المعجم الوسيط: ص ٢١٥.

(٢) موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٤، ص ٢٠١، ح ٤٥٥٤.

(٣) المصدر السابق: ح ٤٥٥٥.

### استخلص الوجدانية والجبروت

عند الوقوف على هذه العبارات الحسينية التي نطق بها لسان العصمة، وصرح بها عقل الإمامة تلمس المعاني الملوكوتية التي تسمو بسامعها إلى سحاب الحكمة وشمس الحقيقة الإلهية التي تحار العقول في معرفة كنهها وتعجز الأبواب عن الإحاطة بها، وأنى لغير عنوان العصمة وسليل النبوة ومعدن العلم أن يقف على عمق هذه المفردات؟ إلا أن ذلك لا يمنع عن بيان ما وصلت إليه الأفهام وأدركته العقول فأقول:

تقدم بيان المعنى اللغوي لمفردة الوجدانية في شرح المعنى العام، فلذا نعطف الكلام على بيان المعنى الاصطلاحي للمفردة فتأتي الوجدانية بعدة معاني كلها تنطبق على الذات المقدسة، فتارة بمعنى لا نظير له ولا شبيه، وأخرى بمعنى الذات البسيطة التي لا تركيب فيها ولا أجزاء لها، وثالثة بمعنى المعبود الذي لا معبود سواه، وترسخ معنى الوجدانية في عقولنا.

عندما نتأمل هذا الكون الفسيح وهذه الموجودات الممكنة التي تنصور كأنها مجموعة واحدة لما فيها من ارتباط وتناسب وهذا بدوره يدل على أن صانعها ومديرها واحد لا أحد سواه، وعند التفكير والنظر في معنى الإله لا يظهر لنا إلا معنى واحداً وهو أن الإله هو الموجود الغني مطلقاً، وهذا المعنى ينفي بدوره تعدد الإله، ولكي ندرك المعنى لابد من توضيح البرهانين فنقول: (وجدت في هذا الكون موجودات مرتبطة بعضها ببعض أي لا تستطيع الاستغناء عن بعضها البعض فلو ضربنا مثلاً نقول: لكي يتغذى الإنسان لابد من وجود نبات مثمر وهذا النبات يحتاج إلى أرض وماء وهواء وعوامل أخرى لكي يعطي ثماره وإلا لو فقد عامل من هذه العوامل لما وجد النبات ولما تغذى الإنسان ولما تحققت غاية الخلقة التي هي العبادة لله الواحد الأحد (وما خلقت الجن والإنسان إلا ليعبدون) فيظهر مما تقدم لابد من وجود ترابط بين الموجودات بل هو من سماتها دل هذا بدوره على أن صانعها ومديرها واحد لا أحد



سواه تعالى، وإلا للزم التعارض والتدافع والفساد كما في قوله تعالى :

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَنْفَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَيْلًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما لبيان البرهان الثاني نقول: لو فرضنا تعدد الآلهة للزم من فرضنا وجود جهات اختلاف بينهم، أي يتصف أحدهم بصفة غير موجودة عند غيرهم فيلزم من ذلك الحاجة ويلزم من الحاجة الفقر وهذا خلاف صفات الإله الذي هو غني مطلق، ومن جهة أخرى لو قلنا بتعدد الآلهة للزم وجود الفواصل بينهم وهذا يؤدي بدوره إلى تعدد القدماء إذ إن الإله يتصف بالقدم فيلزم أن يكون الفاصل بينه وبين الإله الآخر قديماً أيضاً فيتعدد القدماء ويتسلسل الفواصل وحيث إن التسلسل باطل كما هو ثابت في محله إذن يلزم من ذلك عدم التعدد ومن عدم التعدد يلزم القول بالوحدانية.

ويؤيد ما تقدم من بيان ما جاء في القرآن الكريم من آيات كريمة نذكرها كما

يلي :

١- قال الله تبارك وتعالى :

﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢- قال الباري عز وجل :

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٤) سورة النحل، الآية: ٥١.

٣- قال الله سبحانه وتعالى :

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

٤- قال الله تبارك وتعالى :

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٥- قال الله عز وجل :

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

كما يؤكد ذلك ما ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وهي كما يلي :

١- عن إسحاق بن غالب، (عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام

قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض خطبه:

الحمد لله الذي كان في أوليته وحداثياً، وفي أزليته متعظماً بالإلهية، متكبراً  
بكبريانه وجبروته ابتداء ما ابتدئ، وأنشأ ما خلق على غير مثالي كان سبق  
بشيء مما خلق، ربنا القديم بلطف ربوبيته ويعلم خبره فتق وبإحكام قدرته  
خلق جميع ما خلق، وينور الإصباح فلق، فلا مبدل لخلق، ولا مغير لصنعه، ولا  
معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مستراح عن دعوته ولا زوال لملكه، ولا انقطاع  
لمدته، وهو الكينون أولاً والديموم أبداً، المحتجب بنوره دون خلقه في الأفق  
الطامح، والعز الشامخ والملك الباذخ، فوق كل شيء، علا، ومن كل شيء دنا،  
فتجلى لخلق من غير أن يكون يرى، وهو بالمنظر الأعلى، فأحب الاختصاص

(١) سورة الشعراء، الآية : ٢١٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٢٢.

(٣) سورة التوحيد، الآية : ١.

بالتوحيد إذ احتجب بنوره، وسما في علوه، واستتر عن خلقه، وبعث إليهم الرسل لتكون له الحجّة البالغة على خلقه ويكون رسله إليهم شهداء عليهم، وابتعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه فيعرفوه برؤيته بعد ما أنكروا ويوحّدوه بالإلهية بعد ما عضدوا<sup>(١)</sup>.

٢- وصيّة من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام عند إنصرافه من صفين، وقد جاء فيها:

«... واعلمي يا بني! أنّه لو كان لربك شريك لأنتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته.

ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضافه في ملكه أحد، ولا يزول أبداً، أوّل قبل الأشياء، بلا أولية، وآخر بعد الأشياء، بلا نهاية...»<sup>(٢) (٣)</sup>.

٣- حدّثنا أبي؛ وعبد الواحد بن محمّد بن محمّد بن عبّادوس العطار رحمهما الله، قالوا: حدّثنا عليّ بن محمّد بن قُتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن محمّد بن أبي عمير، قال: (دخلت على سيّدي موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله علّمني التوحيد فقال - عليه السلام -:

«يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك واعلم أنّ الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً، وإنّه الحيّ الذي لا يموت، والقادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يغلب، والحليم الذي لا يعجل، والدائم الذي لا يبيد، والباقي

(١) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٤٥ - ٤٦، ح ٤.

(٢) نهج البلاغة: قسم الرسائل، ص ٤٩، الوصية رقم ٣١.

(٣) العقائد الحقّة للسيد علي الحسيني الصدر: ص ٤٨، ح ٢.

الَّذِي لَا يَفْنَى، والثابت الَّذِي لَا يَزُول، والغني الَّذِي لَا يَفْتَقِر، والعزیز الَّذِي لَا يَنْزِلُ، والعالم الَّذِي لَا يَجْهَل، والعدل الَّذِي لَا يَجُور، والجواد الَّذِي لَا يَبْخُل، وأنه لَا تَقْدَرُهُ العقول، وَلَا تَقَعُ عَلَيْهِ الأوهام، وَلَا تَحِيطُ بِهِ الأقطار، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَان، وَلَا تَدْرِكُهُ الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وليس كمثله شيء. وهو السميع البصير ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا، وهو الأول الَّذِي لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، والآخِر الَّذِي لَا شَيْءَ بَعْدَهُ وهو القديم وما سواه مخلوق محدث. تعالى عن صفات المخلوقين علواً كبيراً<sup>(١)</sup>.

٤- عن أبي هاشم الجعفري، قال: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام ما معنى الواحد؟ قال - عليه السلام -:

«الَّذِي اجْتَمَعَ الْأَلْسُنُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

٥- حدَّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه، قال: حدَّثنا محمد بن سعيد بن يحيى البُزْزُوري، قال: حدَّثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي، قال: حدَّثنا أبي، عن المعافي بن عمران، عن إسرائيل، عن المقدام بن شُرَيْح بن هانئ، عن أبيه، قال: (إِنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ؟ قَالَ: فَحَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، قَالُوا: يَا أَعْرَابِي أَمَا تَرَى مَا فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَقَسُّمِ الْقَلْبِ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(١) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٧٤، ح ٣٢.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٣) كتاب التوحيد للصدوق: ص ٨٠، ح ٢.

«دعوه، فإنّ الذي يريدُه الأعْرابي هو الذي نريدُه من القوم».

ثمّ قال - عليه السلام - :

«يا أعْرابي إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنّه كفر من قال: ثالث ثلاثة، وقول القائل: هو أحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه لأنّه تشبيه، وجلّ ربّنا عن ذلك وتعالى، وأما اللذان الوجهان يثبتان فيه فقول القائل: (هو واحد ليس له في الأشياء شبه. كذلك ربّنا، وقول القائل: إنّّه عزّ وجلّ أحدي المعنى، يعني به أنّه لا ينقسم في وجوه ولا عقل ولا وهم كذلك ربّنا عزّ وجلّ)»<sup>(١)</sup>.

#### معنى الجبروت

جاء المعنى اللغوي للجبروت بمعنى القهر<sup>(٢)</sup>، والقهر يعني الغلبة، والقهار اسم من أسماء الله الحسنى: الغالب لا يحد غلبته شيء<sup>(٣)</sup>، والتأمل في هذه المعاني اللغوية يقودنا إلى معرفة أن الله تعالى غالب مهيمن له السلطة المطلقة لا ند ولا ضد له في ذلك، إذ لا معنى أن يكون قهاراً ولقاهريته حدود أو يكون ذا جبروت وجبروته انقطاع وتقهقر بجبروت آخر وقاهرية أخرى، وحيث إنّنا نعلم أن القاهر صفة يمكن انطباقها على المخلوق فيشعر ذلك باشتراك الخالق والمخلوق في صفة القاهرية إلا أن القرآن الكريم نفى هذا الشعور كما في قوله تعالى:

(١) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٨١، ح ٣.

(٢) المعجم الوسيط: ص ١٠٥.

(٣) المعجم الوسيط: ص ٧٦٤.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَتَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنبِيائِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَجْدُ الْقَهَّارُ ﴿١﴾﴾.

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿وَأَخْرَيْنَ مُفْرِقِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿١﴾﴾.

وغيرها من الآيات الكريمة الأخرى التي تؤكد أن الله تعالى هو قاهر كل قاهر ومتسلط على جميع القاهرين وقاطع لقاهرية كل قاهر فلذا وصف بصفة المبالغة (القَهَّار) التي تقدم معناها في أول البحث، كما أن الآيات التي تشير إلى فقر الموجودات وحاجتها تؤكد أن هذه القاهرية التي يتصف بها الموجود هي قاهرية غير حقيقية لأنها ناشئة من أقدار الله تعالى وتمكينه لهذا المخلوق القاهر، أي أن صفة القاهرية في المخلوق جاءت من غيره وليس بالاستقلال بذاته، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة :

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢﴾﴾.

وقال سبحانه وتعالى :

﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءُ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٤﴾﴾.

(١) سورة الرعد، الآية : ١٦.

(٢) سورة ص، الآية : ٣٨.

(٣) سورة فاطر، الآية : ١٥.

(٤) سورة محمد، الآية : ٣٨.

بل أن الآيات الكريمة تبين أن هذا الإنسان القاهر يحتاج إلى ربه في قاهرته  
حدوثاً واستمرارية كما في قوله تعالى :

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال الباري عز وجل :

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فمعنى (القيوم) في الآيتين هو القائم بذاته والمقوم لغيره، فهو تعالى الذي أوجد الأشياء ودبرها وأدام بقاءها.

(وقد أثبت الله تعالى أصل القيام بأمر خلقه لنفسه في كلمه حيث قال تعالى :

﴿أَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى - وهو أشمل من الآية السابقة - :

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>.

فأفاد أنه قائم على الموجودات بالعدل فلا يعطي ولا يمنع شيئاً في الوجود  
(وليس الوجود إلا الإعطاء والمنع) إلا بالعدل بإعطاء كل شيء ما يستحقه ثم بين أن

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥.

(٢) سورة طه، الآية : ١١١.

(٣) سورة الرعد، الآية : ٣٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية : ١٨.

هذا القيام بالعدل مقتضى اسميه الكريمين العزيز الحكيم، فبعزته يقوم على كل شيء وبحكمته يعدل فيه.

وبالجملة لما كان تعالى هو المبدأ الذي يتدنى منه وجود كل شيء وأوصافه وآثاره لا مبدأ سواه إلا وهو ينتهي إليه، فهو القائم على كل شيء من كل جهة بحقيقة القيام الذي لا يشوبه فتور وخلل، وليس ذلك لغيره قط إلا بإذنه بوجه، فليس له تعالى إلا القيام من غير ضعف وفتور، وليس لغيره إلا أن يقوم به، فهناك حصران: حصر القيام عليه، وحصره على القيام، وأول الحصرين هو الذي يدل عليه كون القيوم في الآية خبراً بعد خبر الله (الله القيوم)، والحصر الثاني هو الذي تدل عليه الجملة التالية أعني قوله:

﴿سَيِّئٌ وَلَا نَوْمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فيظهر مما تقدم أن القاهرة الحقيقية صفة لله تعالى وحده لا شريك له، أي أن الجبروت منحصر به تعالى قد استخلصه لنفسه، وما يؤيد ذلك أيضاً عجز المخلوقات ومحدوديتها وفنائها، كما في قوله تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

### المشيئة والإرادة

ـ وقوله عليه السلام:

(وَأَمَضَى الْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ وَالْقُدْرَةَ الْعِلْمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ).

خلق الله تعالى الخلق لغاية ذكرها في كتابه الكريم كما في قوله عز وجل:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج ٢، ص ٣٣٥.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٢٦.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.



ودبر شؤون خلقه ونهج لهم المناهج وشرع لهم الشرائع وأغدق عليهم البركات بإرادته ومشئته وبقدرته وعلمه، ولكي نقف على معنى قول الإمام الحسين عليه السلام (وَأَمْضَى الْمَشِئَةِ وَالْإِرَادَةَ وَالْقُدْرَةَ الْعِلْمَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ) لابد من معرفة معاني هذه المفردات ومفاهيمها.

الإمضاء في اللغة: أمض الحكم والأمر: أنفذه<sup>(١)</sup>.

الإرادة والمشئة: كلمتان لعنى واحد كما ورد في المعجم الوسيط<sup>(٢)</sup>.

القدرة: الطاقة: القوة على الشيء والتمكن منه<sup>(٣)</sup>.

العلم: إدراك الشيء بحقيقته و- اليقين - نور يقذفه الله في قلب من يحب<sup>(٤)</sup>.

ولبيان المعنى التام لقوله عليه السلام نقول:

ثبت في محله أن الله تعالى مريد والإرادة من صفاته إلا أن هذه الإرادة تختلف عن الإرادة في الإنسان لأنه تعالى ليس كمثله شيء ولكي يتضح الفرق بين إرادة الإنسان وبين إرادة الله تعالى لابد من استعراض الأقوال في معنى الإرادة في الإنسان قبل ذلك.

الإرادة: كيفية نفسانية تشتمل عليها النفس البشرية كغيرها من الكيفيات النفسانية والأقوال فيها ما يلي:

١- يرى المعتزلة أن الإرادة هي اعتقاد النفع، ويلاحظ على هذا القول عدم تماميته لأن مجرد الاعتقاد بالنفع لا يكفي أن يكون داعياً للفعل لما نلاحظ من كثرة من يعتقد النفع ولا يريد.

٢- وهناك قول آخر بأن الإرادة شوق نفساني يقع في النفس بعد الاعتقاد بالنفع،

(١) المعجم الوسيط: ص ٨٧٥.

(٢) المعجم الوسيط: ص ٥٠٢.

(٣) المعجم الوسيط: ص ٧١٨.

(٤) المعجم الوسيط: ص ٦٢٤.

وهذا القول لا يمكن الالتزام به لأننا نرى من يريد شيئاً ويحققه دون أن يكون لديه شوق إزاءه.

٣- وقول ثالث يشير إلى أن الإرادة كيفية نفسانية ولكن ليست هي الاعتقاد فقط أو هي الشوق كما تقدم بل هي القصد والعزم<sup>(١)</sup>.

وما ورد من الأقوال في تفسير الإرادة لا يمكن انطباقه على إرادة الله تعالى لتنزهه عن الكيفيات النفسانية حيث إنها من صفات الممكن لا من صفات الواجب سبحانه ولكي يتضح الأمر نقول ما يلي:

لو قلنا إن الإرادة هي مجرد الاعتقاد بالنفع للزم من هذا القول أن الإرادة هي العلم والقطع بالنفع والحال أننا نجد أن هناك شيئاً يدفعنا إلى الفعل ليس هو العلم بالنفع فقط، ونجد كذلك أننا نعتقد بالنفع ولكن لا نترك إزاء تحصيله لعدم وجود إرادة لذلك وتفسير الإرادة بالشوق محال على الله تعالى لمعرفتنا أن الشوق من مقولة الانفعال التي تعالى الله عنها، وأمّا القول الثالث بأنها قصد وعزم يلزم منه الحدوث بعد العدم ويلزم من هذا التغير في الذات الإلهية المقدسة التي تنزهت عن صفات الممكن.

### حقيقة الإرادة الإلهية

بعد أن اتضح أن الإرادة بمعانيها التي تقدمت لا تنطبق على إرادة الله تعالى صار لابد لنا من بيان حقيقة الإرادة الإلهية التي لا تشبه إرادة المخلوق فنقول:

وردت أقوال عديدة لأهل العلم في معنى الإرادة نذكرها باختصار دفعاً للتوسع:

ألف: إرادته سبحانه علمه بالنظام الأصلى:

أي أن علمه بالنظام الأتم والأكمل هو عين إرادته فيلزم من هذا أن تكون الإرادة هي عين العلم بالنظام وليس شيئاً غيره وهذا العلم هو الداعي للفعل لا شيء آخر.

(١) الإلهيات للشيخ جعفر السبحاني: ص ١٦٦.

باء: إرادته سبحانه ابتهاجه بفعله:

أي أنه تعالى خير محض فهو مبتهج بذاته ولأنه كذلك فهو مبتهج في مرحلة الفعل لأنه من أحب شيئاً أحب آثاره ولوازمه.

جيم: إرادته سبحانه إعمال القدرة والسلطة:

المقصود من هذا أن إعمال القدرة والسلطة على خلقه هي بعينها إرادته.

دال: إرادته سبحانه نسبة تمامية السبب إلى الفعل:

المقصود من هذا هو أن الفعل يكون مراداً له تعالى إذا اكتملت علله ومقتضياته<sup>(١)</sup>.

هذه الأقوال هي أقوال الفريق الأول وما يراه الفريق الثاني فهو: (أن الإرادة من الصفات الذاتية وتجري عليه سبحانه مع تجردها من صفات النقص والإمكان كالحادث والظروء والتدرج... الخ)<sup>(٢)</sup>.

(ومعنى كونه مريداً أي فاعلاً مختاراً في مقابل كونه فاعلاً مضطراً)<sup>(٣)</sup>.

وأما لسان الروايات فإن إرادته تعالى هي فعله ليس إلا كما دلت على ذلك الأحاديث الشريفة:

ألف: حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدثنا الحسين بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حُميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قلت له: لم يزل الله مريداً؟ فقال - عليه السلام -:

«إن المريد لا يكون إلا لمراذٍ معه، بل لميزل عالماً قادراً فمَرَاد»<sup>(٤)</sup>.

(١) كتاب الإلهيات للشيخ جعفر السبحاني: ص ١٦٨ - ١٧٣.

(٢) كتاب الإلهيات، جعفر السبحاني: ص ١٧٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ١٤١، ح ١٥.

باء: حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، قال: (قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله ومن المخلوق، فقال - عليه السلام -:

«الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدوله بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فأرادته إحدائه لا غير ذلك لأنّه لا يروى، ولا يهّم، ولا يتفكّر، وهذه الصفات متّية عنه، وهي من صفات الخلق، فأرادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا هبة ولا تفكّر، ولا كيف لذلك كما أنّه بلا كيف»<sup>(١)</sup>.

### أسئلة مهمة في الإرادة

السؤال: ما هو الفرق بين إرادة العبد وإرادة الله تعالى؟

الجواب:

١- إرادة العبد يسبقها تفكير وترويّ وهم، وإرادة الله تعالى منزّهة عن ذلك بل هي فعله.

٢- إرادة العبد سابقة على الفعل، وإرادة الله تعالى في مقام الفعل هي عين الفعل.

وهذا ما تؤكد الرواية الشريفة:

قال أبو الحسن عليه السلام:

«الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدوله بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فأرادته إحدائه لا غير ذلك لأنّه لا يروى، ولا يهّم، ولا يتفكّر. وهذه

(١) كتاب التوحيد للصدوق: ص ١٤٢، ح ١٧.

الصفات منفية عنه، وهي من صفات الخلق، بإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا هبة ولا تفكير، ولا كيف لذلك كما أنه بلا كيف»<sup>(١)</sup>.

السؤال: هل أن إرادة الله تعالى تلغي إرادة العبد واختياره؟

الجواب: أن إرادة الله تعالى لا تلغي إرادة العبد ولا تمنع اختياره وللتوضيح أقول:

إنه تعالى جعل العبد مستطيعاً فأمره فيما أمره ونهاه عما ليس فوق طاقته وهذا ما أشارت له الروايات الشريفة:

عن عبيد بن زرار، قال: حدثني حمزة بن حُمران، قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة فلم يجبي، فدخلت عليه دخلة أخرى فقلت: أصلحك الله إنه قد وقع في قلبي منها شيء لا يخرجني إلا شيء أسمع منه منك. قال - عليه السلام -:

«فإنه لا يضرّك ما كان في قلبك».

قلت: أصلحك الله فإنني أقول: إن الله تبارك وتعالى لم يكلف العباد إلا ما يستطيعون وإلا ما يطيقون، فإنهم لا يصنعون شيئاً من ذلك إلا بإرادة الله ومشئته وقضائه وقدره؛ قال - عليه السلام -:

«هَذَا دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ وَآبَائِي أَوْ كَمَا قَالَ»<sup>(٢)</sup>.

كما أن العدل الإلهي يقتضي أن يكون المكلف مستطيعاً لما كلف به وإلا يلزم التكليف بما لا يطلق فيلزم من ذلك الظلم، والله تعالى عادل لا يجور ولا يظلم.

(١) كتاب التوحيد: ص ١٤٢، ح ١٧.

(٢) كتاب التوحيد للصدوق: ص ٣٣٧، ح ٣.

قال الله تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا ذَرًّا وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى :

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٢)</sup>.

السؤال : كيف نفسّر ما يصيب العبد من الأذى هل بإرادة الله تعالى أم بإرادة

العبد؟

الجواب :

هناك أسباب ودواعٍ لوقوع الأذى على العبد نذكرها كالآتي :

١ - قد يصيب العبد الأذى بسبب سوء فعله فيجزي بذلك كما صرحت الآيات

والروايات كقوله تعالى :

﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النساء، الآية : ٤٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية : ٥١.

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٢٠.

(٤) سورة فصلت، الآية : ١٧.

وقال تعالى :

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال الباري عز وجل في سورة الشورى :

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهناك الكثير من الآيات التي تشير إلى أن بعض الأذى التي يصيب الإنسان هو بسبب فعله السيئ، وهذا لا يخرج عن إرادة الله تعالى.

وهناك الكثير من الروايات التي تؤكد أن بعض الآلام أو الآثار المؤذية هي بسبب سوء فعل الإنسان كما في الروايات الآتية :

- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«أوحى الله تعالى إلى أيوب هل تدري ما ذنبك إلى حين أصابك البلاء؟ قال: لا.

قال: إنك دخلت على فرعون فداهنت في كلمتين»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم :

«لا يجني على المرء إلا يده»<sup>(٤)</sup>.

٢- هناك بعض الأذى قد يصيب العبد دون أن يكون لإرادته دخل في ذلك،

كإصابته بمرض دون تقصير منه أو غير ذلك من الأمثلة الكثيرة، بل قد يتعرض العبد لأنواع من الألم لا يتحملها إلا من صبر واحتسب، وهذا يتم بلحاظين :

(١) سورة الروم، الآية : ٤١.

(٢) سورة الشورى، الآية : ٣٠.

(٣) الدعات للراوندي: ٣٠٤/١٢٣. أنظر المداينة: باب ١٢٧٥. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٤٠٠، ح ١٩١٢.

(٤) نور الثقلين: ٧٧/٢٠٩/٤. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٤٠٢، ح ١٩١٣.

ألف: إمّا أن ذلك الأذى ابتلاء للعبد وإن كان تعالى عالماً بما يؤول إليه الأمر إلّا أن ذلك الابتلاء لكي تكون الحجة البالغة لله تعالى على الناس كما في قوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى:

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وورد أيضاً في الروايات الشريفة ما يشير إلى ذلك كما في قول أبي عبد الله عليه

السلام:

«ما من قبض ولا بسط إلّا والله فيه المن والابتلاء»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في كتاب التوحيد أيضاً عن علي بن إبراهيم بن هشان، عن محمد بن

عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن، عن حمزة بن محمد الطيّار، (عن أبي عبد الله عليه السلام:

«ما من قبض ولا بسط إلّا والله فيه مشيئة وقضاء وابتلاء»<sup>(٤)</sup>.

ولقد جاء هذا الابتلاء لكي يقع ما يعلمه الله تعالى من العبد وباختياره فيجزئ

كل عامل بعمله ولا شك أن هذا الابتلاء يصنع فئة مؤمنة صابرة تكون قدوة لغيرها كما يحكي ذلك القرآن الكريم في قصة نبي الله أيوب عليه السلام.

باء: قد يصاب العبد بأذى وآلام لا لذنب اقترفه ولا للابتلاء والامتحان بل

لكي ينال درجة ورتبة عالية عند ربه كما حصل ذلك للإمام الحسين عليه السلام حيث

(١) سورة الملك، الآية: ٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

(٣) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٣٤٤، باب الابتلاء والاختيار، ح ١.

(٤) التوحيد للصدوق: ص ٣٤٤ - ٣٤٥، ح ٢.



أصابه من الألم والأذى ما لا يستطيع أحد تحمله إلاّ المعصوم لكي ينال درجة ادخرها الله تعالى له كما في حديث جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم :

«حبيبي يا حسين إن أبالك وأملك وأخالك قدموا عليّ وهم مشتاقون إليك ، وإن لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة»<sup>(١)</sup>.

وهذا ما تؤكد الروايات الشريفة كما في قول هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال :

«إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل».

ورواية سلمان بن خالد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

«إنه ليكون للعبد منزلة عند الله فما يتأهلها إلا بإحدى خصلتين، إما بذهاب ماله أو ببلية في جسده»<sup>(٢)</sup>.

فيظهر من هاتين الروايتين وغيرهما أن هذا البلاء هو لطف إلهي يمنّ به الله تعالى على عباده ليوصلهم إلى مقاماتهم المحمودة السامية.

وللبلايا فوائد كثيرة منها :

ألف : أن تكون المصائب دافعاً لتحرك القابليات ونهوض الهمم.

باء : أن تكون المصائب هزة لإيقاظ الغافلين المنغمسين في لذائذ الدنيا لكي يرجعوا إلى بارئهم الحق سبحانه.

جيم : أن تكون المصائب سبباً في معرفة النعم وشكرها وتعظيمها كالعافية لا تعرف قيمتها إلا بعد الإصابة بالمرض وهكذا.

وخلاصة القول : إن أفعال العباد أمر بين الأمرين بين الجبر والتفويض الباطلين

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي : ج ٤٤ ، ص ٣٢٨.

(٢) الكافي للكليني : ج ٢ ، ص ٢٥٧ ، ح ٢٣ ؛ وسائل الشيعة : ج ٣ ، ص ٢٦٢ ، ح ٣٥٨٧.

أي أن الله تعالى جعل الاختيار لعباده في الفعل والترك مع قدرته على منعهم عما يختارون وعلى جبرهم فيما يتركون، كما أنه أقدرهم على أفعالهم ولكن حد لهم الحدود ونهاهم عن القبائح، وبناء على هذا فإن إرادة العبد في طول إرادة الله تعالى لا في قبالتها. وأما إرادته في الطاعات فهي الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها.

### قدرة الله تعالى

تعريف القدرة: هي الطاقة، القوة على الشيء والتمكن منه<sup>(١)</sup>.  
 القدير: ذو القدرة، وهو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه، ولذلك لا يوصف به إلا الله تعالى.  
 تعريفها اصطلاحاً: هي المكنة على الفعل أو الترك، مع الاختيار والإرادة<sup>(٢)</sup>.  
 وهناك تعاريف أخرى لا تخرج عما ذكرناه لا حاجة لذكرها.  
 وإن القدرة التي يتصف بها الحق سبحانه لا بد أن تلازم الاختيار وإلاّ انقلب القادر إلى موجب أي مجبور على الفعل أو مجبور على الترك ولكي يتضح معنى القادر ومعنى الموجب لا بد من ذكر الفارق بينهما:  
 ألف: للقادر أن يفعل إذا شاء ذلك، وله أن يترك إذا شاء ذلك في آن واحد وبالنسبة لشيء واحد، وأما الموجب ليس له أن يفعل إذا وجب عليه أن يترك، وليس له أن يترك إذا وجب عليه أن يفعل.  
 باء: للقادر العلم بما يقدم عليه قبل الإقدام وأثناءه، وليس للموجب ذلك.

(١) المعجم الوسيط: ص ٧١٨.

(٢) بداية المعرفة: ص ١٠١.

جيم: فعل القادر يجوز أن يتأخر عن فاعله وجوداً، وليس للموجب ذلك حيث إن فعله لا ينفك عنه كالإحراق بالنسبة للنار.

وحيث إن من صفاته تعالى أنه قدير لا بد لنا من معرفة الدليل على ذلك، ومعرفة صحة هذه القدرة، وهل هي من صفات الذات أم الفعل؟ وهذا ما سنتعرض له في بحثنا هذا بحسب الحاجة لذلك فنقول:

١- أمّا بالنسبة للدليل على قدرته تعالى فلدينا دليل عقلي وآخر نقلي نوردهما كالآتي:

- الدليل العقلي وهو كما يلي:

#### الف: دليل الفطرة

تشهد الفطرة السليمة على أن هناك قدرة عليا نلجأ إليها عند وقوعنا في شدة أو أزمة لاسيما عند نفاذ الأسباب أو فقدانها، وهذا ما تلمسه النفس البشرية دون تعليم أو توجيه، فلذا نجد أن هناك ميلاً وانجذاباً في النفس تجاه قوة قاهرة تستطيع إنقاذنا من الهلكة كما في حديث الإمام الصادق عليه السلام مع رجل يبحث عن وجود الله تعالى<sup>(١)</sup>.

قال رجل: (يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وخيروني، فقال الإمام عليه السلام:

«يا عبد الله هل ركبْتَ سفينة قط؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل كُسرتْ بك حيث لا سفينة تنجّيك ولا سباحة تغنيك؟».

(١) الفوائد البهية: ص ٨٨؛ ليل ركوب السفينة في ص ٦٥ من الكتاب.

قال : نعم، فقال عليه السلام:

«فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلّصك من ورطتك؟».

قال : نعم، فقال عليه السلام:

«فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء، حيث لا منجي وعلى الإغاثة حيث لا مغيث»<sup>(١)</sup>.

### باء: دليل النظام في الخلقة

يشير هذا الدليل إلى أن لهذا الوجود خالقاً قادراً مختاراً استطاع أن يوجده بهذه الهيئة وبهذا الجمال من حيث الدقة والتنظيم والتناسب والإبداع.

قال الإمام أمير المؤمنين في خطبة له:

«أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداءً بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا هامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها وألزمها أشباحها عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بمحدودها وانتهائها، عارفاً بقرانتها وأحنانها، ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكانك الهواء فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره متراكماً زخاره، حمله على متن الريح العاصفة، والززع القاصفة، فأمرها برده، وسلطها على شدة، وقرنها إلى حده، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها وأدام مربها، وأعصف مجراها وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفتها بالفضاء ترد أوله إلى آخره، وساجيه إلى

(١) النفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية، الشيخ محمد جميل: ص ٨٨.

مانره، حتى عب عبايه، ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتح، وجو منفتح، فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعليهن سقفا محفوظا، وسمكا مرفوعا، بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثمزينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجا مستطيل، وقمرًا منيرًا في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مانر<sup>(١)</sup>.

### جيم: قدرة المخلوق دليل على قدرة الخالق

إننا من خلال معرفتنا بأن المخلوقات الحية قادرة والقدرة كمال لها، نعرف أن مفيض هذا الكمال لابد أن يكون واجداً له غير فاقد لأن فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه، وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك»<sup>(٢)</sup>.

فيه إشارة صريحة إلى قدرة الله تعالى التي تتجلى في هذه النفس البشرية من خلال جمال هذه الخلقة ومن خلال القدرة التي أودعت فيها.

الدليل التقلي على وجود القدرة الإلهية:

الآيات الكريمة الآتية تشير إلى وجود القدرة الإلهية:

قوله تعالى:

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبة الأولى، ص ١٦ - ١٨.

(٢) التوحيد للصدوق: ص ١٢٣.

(٣) سورة يس، الآية: ٨١.

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَكْنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله عز وجل :

﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال الله تبارك وتعالى :

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا

فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ

بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى

حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ

نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وغيرها من الآيات الكثيرة.

ألف : ورد عن الإمام الصادق عليه السلام إذ يقول :

«لميزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته

(١) سورة المؤمنون، الآية : ١٨ .

(٢) سورة المعارج، الآية : ٤٠ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٠ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٥٩ .

ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور»<sup>(١)</sup>.

باء: قيل لأمر المؤمنين عليه السلام، هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا أو يكبر البيضة؟ فقال عليه السلام:  
«إن الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى قال عليه السلام:

«وبلك، إن الله لا يوصف بالعجز ومن أقدر من يلطف الأرض ويعظم البيضة»<sup>(٣)</sup>.

وهناك أحاديث كثيرة تدل على قدرة الله تعالى راجع كتاب التوحيد باب القدرة.

٢- أما بالنسبة إلى سعة هذه القدرة نقول:

حكم العقل السليم بأن واجب الوجود له الصفات الكمالية ومن صفاته الكمالية أن يكون قادراً قدرة لا حد لها ولا نهاية وإلا يلزم النقص والعجز والانقلاب إلى ممكن فقير محتاج، ولذا يجب الإذعان بعموم قدرته سبحانه وسعتها لكل ما هو ممكن، وهذا ما أيده الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتقدمة، ولا بأس بالإشارة إلى غيرها من الآيات والروايات كقوله تعالى:

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى:

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْدِرًا﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) كتاب الكافي للكليني: ج ١، ص ١٢٨، ح ١.

(٢) كتاب التوحيد للصدوق: ص ١٢٦، ح ٩.

(٣) كتاب التوحيد للصدوق: ص ١٢٦، ح ١٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٧.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٤٥.

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وكقول الإمام الصادق عليه السلام :

«والأشياء له سواء علما وقدرة وسلطانا وملكا وإحاطة»<sup>(٢)</sup>.

وقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام :

«هو القادر الذي لا يعجز»<sup>(٣)</sup>.

٣- أما بالنسبة إلى قدرته هل هي من صفات الذات أم الفعل ؟ فنقول :

اجتمعت كلمة الإلهيين على أن القدرة من صفات الله تعالى الذاتية الكمالية كالعلم والحياة ولا يختلف اثنان على ذلك، ولا بأس بتوضيح بسيط لهذا، فنقول : يحكم العقل السليم باستحالة أن يصنع الصانع هذا الكون دون أن يتصف بالقدرة، ويحكم كذلك بأن العجز نقص، ومحال أن يتصف به واجب الوجود لوجوب كماله، فيلزم من هذا أن القدرة صفة كمالية ذاتية، ومما يؤيد قولنا لهذا ما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام كقول الإمام أبي جعفر عليه السلام :

عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال : (جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له : يا أبا جعفر أخبرني عن ربك متى كان ؟ فقال :

«ويلك، إنما يقال لشيء لم يكن فكان : متى كان، إن ربّي تبارك وتعالى كان لميزل حياً بلا كيف، ولم يكن له كان ولا كان

(١) سورة فاطر، الآية : ٤٤.

(٢) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق : ص ١٢٩.

(٣) كتاب التوحيد للصدوق : ص ١٧.



لكونه كيف، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع لكونه مكاناً ولا قوياً بعد ما كَوْنُ شيئاً، ولا كان ضعيفاً قبل أن يَكُونُ شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً مَكُوناً، ولا كان خُلُوءاً من [القدرة على] الملك قبل إنشائه، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه، لم يزل حياً بلا حياة، ومَلِكاً قادراً قبل أن ينشئ شيئاً، ومَلِكاً جَبَّاراً بعد إنشائه للكون، فليس لكونه كيف، ولا له أين، ولا له حد. ولا يعرف بشيء يشبهه، ولا يَهْرَمَ لطول البقاء ولا يَصْعَقُ لشيء، ولا يُخوفه شيء، تصعق الأشياء كلها من خيفته، كان حياً بلا حياة عارية ولا كون موصوف، ولا كيف محدود، ولا أثر مقفوء ولا مكان جاور شيئاً، بل حي يعرف، ومَلِك لم يزل له القدرة والمُلْك، أنشأ ما شاء كيف شاء بمشيئته، لا يحد ولا يبعث، ولا يفنى، كان أولاً بلا كيف، ويكون آخراً بلا أين، وكل شيء هالك إلا وجهه، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، وملك أيها السائل، إن ربي لا تغشاه الأوهام، ولا تنزل به الشبهات، ولا يجار من شيء، ولا يجاوره شيء، ولا تنزل به الأحداث، ولا يسأل عن شيء، يفعل، ولا يقع على شيء، ولا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى»<sup>(١)</sup>.

وقول الإمام الرضا عليه السلام، عن محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدثنا الحسين بن الحسن قال: (حدثنا محمد بن عيسى، عن محمد بن عرفة، قال: قلت للرضا عليه السلام خلق الله الأشياء بالقدرة أم بغير القدرة؟ فقال - عليه السلام -:

«لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة لأنك إذا قلت: خلق الأشياء بالقدرة فكأنك قد جعلت القدرة شيئاً غيره، وجعلتها آلة له بها خلق الأشياء»

وهذا شرك، وإذا قلت: خلق الأشياء بقدرة فإنما تصفه أنه جعلها باقتدار عليها وقدرة، ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولا محتاج إلى غيره<sup>(١)</sup>.

### أسئلة في القدرة

بعد أن عرفنا أن قدرته من صفات الذات وهي عين ذاته، كما عرفنا أن الذات الإلهية ذات لا نقص فيها ولا عجز ووقفنا على سعة قدرته صار لا بد أن نسمع أسئلة السائلين ونجيب عليها إضافة لما تقدم:

السؤال: هل يقدر الله تعالى أن يخلق مثله؟

الجواب: المثل إمّا يكون واجباً أيضاً أو ممكناً، فإن كان واجباً يلزم اجتماع الضدين لأن ما فرضناه واجباً لا بد أن يكون قديماً وهذا المثل مخلوق فهو حادث فيلزم أن يكون هذا المثل واجباً وحادثاً في آن واحد ويتفرع على هذا أن يكون واجباً وممكناً لأنه خلق من قبل غيره، فإذا كان المثل محال والمحال باطل ليس بشيء والله تعالى تتعلق قدرته بالأشياء.

السؤال: هل أنه تعالى قادر على أن يدخل الدنيا في البيضة دون أن تكبر البيضة وأن نصغر الدنيا؟

الجواب: يلزم من هذا القول أن يكون الظرف الكبير في مظهر صغير، وهذا مرفوض بالبدهة لأن العقل السليم يحكم ببدهة وجوب كبر الظرف عن المظهر لكي يتحقق الاحتواء، ويلزم أيضاً أن يكون المظهر الكبير في داخل الظرف الصغير فيحصل اجتماع النقيضين، أي يكون المظهر الكبير صغيراً في آن واحد، ويكون الظرف الصغير كبيراً في آن واحد وهذا محال وقد تقدم عدم تعلق قدرة الله تعالى بما هو محال لبطلانه وعدم شئيته.

السؤال : هل لله القدرة على إيجاد شيء لا يقدر على إفنائه؟

الجواب : أيضا هذا من المحال لأن كل ممكن حادث وهو قابل للفناء، فكيف يكون حادثا ممكناً قابلاً للفناء وغير قابل للفناء، ويلزم من عدم فنائه انقلابه إلى واجب فيلزم المحال من ذلك.

وهناك الكثير من الأسئلة التي يجاب عنها بهذه الطريقة الواضحة.

- وقوله عليه السلام :

(لَا تَدَاوِلُهُ الْأُمُورُ وَلَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ، وَلَا تَنْزِلُ عَلَيْهِ الْأَحْدَاثُ، وَلَا يَقْدِرُ الْوَاصِفُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ).

لا يكون الواجب إلا كاملا ولا كمال إلا ينفي النقص عمن اتصف بالكمال وعلى هذا نقول :

لا يليق بالإله الذي خلق ودبر وربى إلا أن يكون واجداً لصفات الكمال ومنزهاً عن كل نقص وقبيح، ومما يجب أن يتزه عنه تعالى هو أن لا يكون محتاجا إلى الغير لا في ذاته ولا في صفاته، ولا يحتاج إلى المكان والزمان والكيفية والأدوات والآلات، فهو الغني المطلق والحق المبين لا يحتاج كل ما سواه إليه واستغنائه عن كل شيء، فالكمال ذاته وبالغنى ألوهيته وربوبيته وتدبيره، وحيث إن واجب الوجود غني كامل له الصفات العليا والأسماء الحسنی فهو منزّه عن الأجزاء والتركيب لما فيها من نقص وفقر وحاجة، ومنزه عن كونه محلاً للتغيرات والحوادث كالنوم واليقظة أو الحركة والسكون أو القيام والقعود أو الكهولة والصبا أو الشباب والشيب أو القوة والضعف أو النشاط والكسل أو الفرح والحزن أو الرضا والسخط لما في ذلك من نقص وقبح وعجز وحاجة وفقر وحدوث، ومنزه عن الحلول والاتحاد فلا يحل بغيره ولا يتحد به لما في ذلك من حاجة إلى المحل وافتقار إلى الغير، ومنزه عن الجسم والجسمانية والأبعاد والكثافات والحجم

والكتلة والخفة والثقل والطول والعرض والعمق والسطح.

فكيف يكون محتاجا وذاته الغني؟ وكيف يكون مركبا، والتركيب نقص؟ وكيف يكون محلاً للحوادث وهو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم؟ وكيف يكون في محل ومكان والمحل والمكان من خلقه وهو بكل شيء محيط؟ وكيف يكون له عمرٌ وسن وهو الذي خلق الزمان؟ وكيف يتحد بغيره ولا غير في الوجود سواء؟ وكيف يتحد مع غيره وهو لا شريك له في الوجود ولا مثل ولا ند ولا ضد ولا منازع ولا شبيه؟ وكيف يكون جسما والجسم حادث تعثره التغيرات وتحده الحدود وتراه العيون؟ فلا وصف له إلا ما وصف به نفسه ولا إحاطة بكنهه ولا علم بذاته إلا إحاطته وعلمه فتعالى الله عن كل صفة صفته وسمى ربنا عن المربوب وتجلى عن المخلوقات.

وما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام خير ما يدل على جلال الله تعالى وعلوه عن صفات الخلق كقوله:

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده، أنشأ المخلوق إنشاء، وابتدأه ابتداء بلا روية أجالها ولا تجربة استفادها

ولا حركة أحدثها ولا هامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها ولا م بين مختلفاتها وعرز غرائزها وألزمها أشباحها، عالمها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهاها عارفاً بقرانها وأحنانها»<sup>(١)</sup>.

- وقوله عليه السلام:

(لَا يَخْطُرُ عَلَى الْقُلُوبِ مَبْلَغُ جَبَرُوتِهِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ عَدِيلٌ).

اعلم أن المخلوق لا قدرة له ولا سبيل إلى معرفة كنه الخالق ولا علم ولا إحاطة بحقيقته جل شأنه لاستحالة إحاطة المحدود باللامحدود والممكن بالواجب، وجلاله تعالى عن أن يحد أو يحاط به، وهذا ما أكدته قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

كما أن الروايات كثيرة في هذا المضمون كقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «اللَّهُ مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي يَأْلُهُ فِيهِ الْخَلْقُ وَيُؤَلُّهُ إِلَهِي، وَاللَّهُ هُوَ الْمُسْتَوْرُ عَنْ ذَلِكَ الْأَبْصَارِ الْمَحْجُوبُ عَنِ الْأَوْهَامِ وَالْخَطَرَاتِ»<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«اللَّهُ مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي إِلَهَ الْخَلْقِ عَنْ ذَلِكَ مَا هَيْتِهِ وَالْإِحَاطَةُ بِكَيْفِيَّتِهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) حق اليقين، السيد عبد الله شير: ص ٦٧.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٤) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج ١، ص ١٢٤، ح ٦٥٨.

(٥) ميزان الحكمة، الريشهري: ج ١، ص ١٢٤، ح ٦٨٩.

وبما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام هو بيان علة عدم الإحاطة به تعالى والوقوف على كنه ذاته، فقال عليه السلام:

«لأن ليس له في الأشياء عديل».

وكأنما أراد الإمام عليه السلام أن يقول أمراً وهو أن بعض التصورات والأفكار التي تجول في ذهن الإنسان منتزعة من الوجودات الخارجية كمعرفتنا مثلاً للشجرة التي وقع عليها الحس، أو كمعرفتنا للأرض والسماء، وأما ما ليس له وجودٌ مرئيٌّ فلا يمكن تصوره ووصفه، وحيث إن الله تعالى ليس له في الأشياء مثيل لا نستطيع تصوره أو وصفه إلا بما وصف به نفسه تعالى، ويمكن تفسير قوله عليه السلام لأن ليس له في الأشياء عديل أي لا يوجد من له القدرة والإحاطة بغاية جبروته لأن لا شبيه ولا عديل لجبروته حتى نستطيع أن نقف على جبروت الله تعالى ونعرف كنهه، كما أن الإمام عليه السلام ينفي أن يكون لله تعالى شبيه أو مثل فكيف نستطيع من خلال معرفة الشبيه أن نعرف الأصل وهو الله تعالى كنه ذات الله تعالى ممتعة على مخلوقاته لمحدودية المخلوق وتناهيها، ولإحاطة الخالق وكبره عن أن يوصف وخير من أشار إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله،

ورد في التوحيد (عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة:

«الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال إلا وجوده» وحجب العقول عن أن تتخيل ذاته في امتناعها من الشبه والشكل، بل هو الذي لم يتفاوت في ذاته ولم يتبعض بتجزية العدد في كماله، فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن، وتمكن منها لا على الممازجة، وعلمها لا بأداة لا يكون العلم إلا بها وليس بينه وبين معلومه علم غير، إن قيل كان فعلى تأويل أزلية الوجود وإن قيل لم يزل، فعلى تأويل نفي العدم»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام:

«لم تحط به الأوهام بل تجلّى لها بها، وبها امتنع منها واليها حاكمها، ليس بنبي  
كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسّياً، ولا بنبي عظم تناهت به الغايات فعظمته  
تجسّيداً، بل كبر شأناً وعظم سلطاناً».

- وقوله عليه السلام:

«لا تُدرِكُهُ الْعُلَمَاءُ بِالْبَابِهَا، وَلَا أَهْلُ التَّفَكُّرِ بِتَفَكُّرِهِمْ إِلَّا بِالْحَقِيقِ<sup>(١)</sup> إِيْقَاناً  
بِالْغَيْبِ».

أشار الإمام الحسين عليه السلام بقوله هذا إلى قصور إدراك العلماء فضلاً عن  
غيرهم، وعجز عقولهم مع ما لهم من العلم والمعرفة وقوة الملاحظة وتوقد الذهن وسعة  
الفطنة، وعجز الأبواب وحيرة الفكر في ذات الله تعالى وكنهه ناشئ من امتناعه على  
الأبواب لوجوب وجوده، ومحدودية الأبواب لأنها ممكنة، فلذا نهانا أمير المؤمنين عليه  
السلام من الخوض في هذا الأمر بقوله:

«لا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين».

وأكد الإمام عليه السلام أن إدراك وجود الله تعالى وعظمته تتم من خلال الآثار  
والصفات التي تجلّت في عالم الوجود، ويحصل اليقين بوجوده تعالى وعظمته من خلال  
الأخبار التي وردت على لسان خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته  
الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين وهو من الإيمان بالغيب.

ومما يؤكد عجز العلماء والمفكرين في إدراك الحق سبحانه قول أمير المؤمنين عليه  
السلام:

«محرم على بوارع ناقيات الفطن تحديده، وعوامق ناقيات الفكر تكييفه، وعلى

(١) اللَّبُّ: العقل. والتحقيق: التصديق.

غوانص ساجحات النظر تصويره لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقاييس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتنهه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمثله، قد ينست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناء بجارة العلوم، ورجعت بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم.

واحد لا من عدد ودانم لا بأمد وقائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادل له الأجناس، ولا بشيخ فتعارضه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات، قد ضلت العقول في أمواج تيار إدراكه، وتحيرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الأذهان في لبح أفلاك ملكوته، مقتدر بالآلا، وممتنع بالكبرياء، ومتملك على الأشياء، فلا دهر يخلقه ولا وصف يحيط به، قد خضعت له ثوابت الصعاب في محل تخوم قرارها، وأذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواحق أقطارها، مستشهد بكلية الأجناس على ربوبيته، ويعجزها على قدرته، ويفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه، فلا لها محيص عن إدراكه إياها، ولا خروج عن إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع عن قدرته عليها، كفى باتقان الصنع لها آية ومركب الطبع عليها دلالة ومحدث الفطر عليها قدمه وبإحكام الصنعة لها عبرة، فلا إليه حد منسوب ولا له مثل مضروب ولا شيء عنه بحجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علواً كبيراً<sup>(١)</sup>.

– وقوله عليه السلام:

«لأنَّهُ لَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ».

(١) حق اليقين، السيد عبد الله شير: ص ٦٦ – ٦٧، الباب الثالث: معرفة الذات والصفات.



ثبت في محله أن في الوجود واجب الوجود وممكن الوجود، وثبت أن الواجب هو عين الغنى، والممكن عين الفقر والحاجة، وثبت أيضاً أن الواجب يتصف بكل صفات الكمال ومنزه عن كل نقص وقبح، بينما يتصف الممكن بالنقص والحاجة، ولكي يتضح قول الإمام الحسين عليه نقول:

يتصف المخلوق بصفات حسنة وكاملة بالنسبة إليه إلا أنها نقص وقبح وفقر بالنسبة لخالقه، فلو قلنا إن المخلوق يتصف بصفة العلم أو القدرة أو الإدراك فهي صفات كمال بالنسبة للمخلوق ولكن هذه الصفات لو نسبناها إلى الله تعالى بمحدودها ومقدارها وشروطها لصارت نقصاً وحاجة، لأنه تعالى سيكون عالماً بعلم محدود وقادراً بقدرة محدودة ومدركاً بإدراك محدود وهكذا، فلذا لا يصح أن يوصف بصفات المخلوقين، ومحال أن يكون كالمخلوق لأن (ليس كمثله شيء)، كما أنه تعالى منزه عن كل صفات المخلوقين من التركيب والمكان والزمان والحدوث والاتحاد والفناء... الخ. وقد تقدم الكلام في ذلك.

ولكي لا يقع الإنسان في محذور التشبيه الذي حذر منه الإمام الحسين عليه السلام نورد بعض فقرات الأدعية التي جاءت على لسان أمير المؤمنين عليه السلام التي تؤكد أن ذات الله تعالى لا يحيط بها العالم أو المفكر فضلاً عن عامة الناس، فلقد ورد في دعاء المشلول المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«يا من لا يعلم ما هو ولا كيف هو ولا أين هو ولا حيث هو إلا هو».

وفي دعاء الإمام السجاد عليه السلام دليل واضح على عجز المخلوق في معرفة الله تعالى كقوله:

«ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك»<sup>(١)</sup>.

## (وهو الواحد الصمد)

## معنى الواحد

كل شيء يدل على وحدانيته كما دل على وجوده، وكل جارحة تشهد على أن خالقها واحد ومديرها واحد وفانيها واحد، فالقلب يتوجه إلى الله تعالى عندما يلزم به الخطر، والضمير يفزع إليه عندما يضطر إلى حاجته، والوجدان لا يستعين ولا يستغيث إلا به تعالى، وهذا مما يكشف عن أن القلب والعقل لا يعرفان إلا هو تعالى بالفطرة قبل الدليل، ولكي يتضح ما تقدم نقل محاوره الإمام الصادق عليه السلام مع رجل سأله عن الدلالة على الله تعالى:

قال رجل: (يا بن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحبروني، فقال الإمام عليه السلام:

«يا عبد الله هل ركبْتَ سفينة قط؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل كُسرتْ بك حيث لا سفينة تنجّيك ولا سباحة تغنيك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلّصك من ورطتك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى وعلى الإغاثة حيث لا مغيث»<sup>(١)</sup>.

(١) الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية، الشيخ محمد جميل: ص ٨٨.

فبعد هذه المحاورة يتضح لنا أن الإمام الصادق عليه السلام أشار إلى وحدانية الله تعالى فضلاً عن وجوده في قوله (فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك)؟

فقوله (أن شيئاً) وقوله (قادر) فيه دلالة على وحدانية الله تعالى لأن الإمام عليه السلام لو كان يعتقد أن مع الله تعالى إلهاً آخر لما قال للرجل (أن شيئاً) و(قادر) بصيغة المفرد، فمن هذا يتضح أن وحدانية الله تعالى تتركز في فطرة الإنسان وهذا ما أكدته الرجل بقوله (نعم) أي أن قلبي تعلق بشيء واحد وقادر واحد ولم يقل (كلاً) لقد تعلق قلبي بأكثر من شيء.

فبهذه المقدمة تبين من خلال الفطرة أن الله تعالى واحد لا شريك له، وأما ما دل على وحدانيته في مقام الذات والصفات والأفعال فلقد تقدم الحديث عن ذلك في بحثنا (استخلص الوجدانية والجبروت).

### معنى الصمد

وأما عن قوله عليه السلام (الصمد) نقول:

الصمد في اللغة: المقصود لقضاء الحاجات، اسم من أسماء الله الحسنى، ويقال شيء صمد: مصمت لا جوف له<sup>(١)</sup>.

الصمد في الاصطلاح: السيد المعظم الذي يصمد إليه في الحوائج، أي يقصد، وقيل: هو السيد الذي ينتهي إليه السؤدد<sup>(٢)</sup>.

بعد التأمل فيما سبق من الآيات التي تطرقنا فيها إلى بيان صفات واجب الوجود يظهر لنا جلياً أن اسم الصمد اسم لا يليق إلا بالغني المطلق والعالم والقادر

(١) المعجم الوسيط: ص ٥٢٢.

(٢) مجمع البيان: ج ١٠، ص ٥٤٤.

المطلق وهذا لا يصدق إلا على الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فلا شك أن الله تعالى هو الذي برأ الخلق وأوجد كل ذي وجود بعلمه وقدرته، وهو الذي أعطى كل خلقه حاجته وأدام فيضه على خلقه فلذا استحق أن يكون مقصوداً في الحاجات، لأنه تعالى الغني المطلق فهو يقصد ولا يقصد أحداً لافتقار كل ما سواه إليه فلذا أورد قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ إِلَهَكَ الْمَنُّهُنَّ﴾<sup>(١)</sup>.

وإذا تأملنا المعنى اللغوي للصمد الذي هو مصمت لا جوف له، يظهر لنا عدم حاجته للأكل والشرب والنوم كما أنه لم يلد ولم يولد، وما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير الصمد يدلنا على معاني كثيرة نذكرها للفائدة الكبيرة.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«حدّثني أبي زين العابدين عليه السلام، عن أبيه الحسين بن علي عليهما السلام أنه قال: (الصمد) الذي قد انتهى سؤده، والصمد: الدائم الذي لم يزل ولا يزال، والصمد: الذي لا جوف له، والصمد: الذي لا يأكل ولا يشرب، والصمد: الذي لا ينام».

وقال أيضاً عليه السلام:

«والصمد: السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر ولا ناه».

وسئل الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن (الصمد) فقال:

«الصمد: الذي لا شريك له ولا يؤوده حفظ شيء، ولا يعزب عنه شيء».

وقال عليه السلام:

«الصمد: الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، والصمد: الذي أبدع

الأشياء فخلقها أصدادا وأصنافا، وأشكالاً وأزولجا، وتفرّد بالوحدة بلا ضد، ولا شكل، ولا مثل، ولا ند».

قال وهب بن وهب: وحدثني الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار، وإن الله قد فسر سبحانه الصمد.

فقال:

﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ وَلَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(١)</sup>،<sup>(٢)</sup>.

(ما تصوّر في الأوهام فهو خلافه)

التصوّر في اللغة: (تصوّر: تكونت له صورة وشكل — والشيء — تخيله واستحضر صورته في ذهنه.

التصوّر في علم النفس: استحضار صورة شيء محسوس في العقل دون التصرف فيه.

التصوّر عند المناطق: إدراك المفرد: أي معنى الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الإخلاص، الآيتان: ٣ و٤.

(٢) تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ج ١٠، ص ٥٥٠.

(٣) المعجم الوسيط: ص ٥٢٨.

التصورية في الفلسفة : المذهب القائل بأن الكليات لا توجد إلا في الذهن وهو يقابل مذهبي الواقعية والأسمية.

الوهم : ما يقع في الذهن من الخاطر، وهم الشيء دار في خاطره، توهم الشيء : ظنه - وتمثله وتخيله كان في الوجود أو لم يكن<sup>(١)</sup>.

### التصور والتصديق

التصور : هو علمك بالشيء دون أن تجزم أو تعتقد بمطابقة علمك للواقع.  
التصديق : هو علمك بالشيء مع مطابقة ذلك للواقع مما يدفع النفس للإذعان والتصديق بالمطابقة.

ولكي يتضح المطلب نقول : إذا حصل في ذهنك علم بشيء دون أن تصل إلى حد الجزم والاعتقاد به فهذا يسمى تصوراً مجرداً، وإذا قمت بالبرهنة والاستدلال على ثبوته أو نفيه وحصل لك جزم واعتقاد بذلك فهذا يسمى تصديقاً ولكي يكون المطلب أوضح نضرب مثلاً لذلك :

(لو قلت لك أن قبة الإمام الحسين عليه السلام بيضوية الشكل مذهب بذهب خالص حصل عندك تصور عما أخبرت بك به، ولما ذهبت وتحققت من الخبر وثبت لك صحة ما قلت حصل لك تصديق لمطابقة الخبر للواقع).

فالتصور مجرد علمك بشيء دون أن يستتبع ذلك التصور جزم واعتقاد، والتصديق هو ترجيح أحد طرفي الخبر مع نفي احتمال الطرف الآخر وهذا هو (اليقين) أو مع وجود احتمال ضعيف للطرف الآخر وهذا يسمى (الظن) وهذا ما ينقسم إليه التصديق على بعض الآراء.

### الوهميات

وهي القضايا الوهمية الصرفة، وهي قضايا كاذبة<sup>(١)</sup>، ولكي نقف على هذا المطلب نحتاج إلى مقدمة فنقول:

أخرج الله تعالى الإنسان من بطن أمه وهو لا يعلم شيئاً، إلا أنه يملك حواساً ظاهره كحاسة السمع والبصر والذوق واللمس فيستخدم هذه الحواس في بيئته فيحس بالأشياء ويتأثر بها ويحصل عنده علم نتيجة استخدامه لهذه الحواس، ويسمى (العلم الحسي) وهو أول درجات العلم وهذا ما يؤكد الله سبحانه وتعالى:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم يحفظ هذه الصورة التي أدركها بالحس في ذهنه فينسب بعضها إلى بعض كقوله (هذا أطول من ذاك) أو يؤلف بعضها مع بعض فتكون عنده صوراً لا واقع لها في الخارج، فهذا الحفظ أو التأليف يسمى (العلم الخيالي) ثم يتجاوز إدراك المحسوسات إلى إدراك أمور ليست هي من جنس المحسوسات كحب الغير له وحبه لغيره أو بغض الغير له أو بغضه لغيره وهذا يسمى (بالعلم الوهمي) يحصل عليه الإنسان بقوة الوهم.

للوهم معنيان تارة يراد منه ما يقابل الظن وهو: أن تحتل مضمون الخير أو عدمه مع ترجيح الطرف الآخر، وأخرى: يراد منه تصوير الأمور غير المحسوسة تصويراً محسوساً فترتكز هذه الصور في ذهنه حتى تستفحل وتتحول إلى قضايا ثابتة في النفس لا يمكن رفضها حتى مع قيام البرهان على خلافها وقد تتحول إلى معتقدات يصعب زوالها، ولكي نوضح هذا الأمر بالمثال نقول: نجد الإنسان لا يقبل الاجتماع مع ميت

(١) منطق المظفر: ج ٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٨.

في مكان مظلم رغم علمه أنه جماد لا يتحرك ولا يضر ولا ينفع، وإذا كان خوفه ناشئاً من عودة الحياة إلى هذا الميت فالعقل يحكم بأنه سيرجع إنساناً سوياً لا سيما إذا كان من الأحبة، ولكن الوهم والقوة الواهمة ترفض حكم العقل وتجعل صاحبها في خوف دائم من الميت.

فالوهم تابع للحس ومنقاد له ولذا يطبق أحكام المحسوسات على غير المحسوس أيضاً كتوهمه بأن الله تعالى في مكان عالٍ وله هيئة كبيرة وإلخ من التوهمات فيقع في التجسيم والتشبيه وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام بقوله أعلاه.

– وقوله عليه السلام :

«لَيْسَ بَرَبٌ مِّنْ طَرِحَ تَحْتَ الْبَلَاغِ، وَمَعْبُودٌ مِّنْ وَجِدَ فِي هَوَاءٍ أَوْ غَيْرِ هَوَاءٍ».

من خلال معرفتنا لعظمة الله تعالى وغناه وتنزهه عن الحدود المكانية والزمانية يتضح لنا قول الإمام الحسين عليه السلام المتقدم ونراه يؤكد فيه أن الرب الذي يدبر شؤون مخلوقاته ويدير أمر الممكنات لا يمكن أن يخضع للحدود، ولا يمكن أن يحده مكان أو يحيط به شيء مهما كانت سعته حتى لو كان هواءً أو غيره ممن هو أوسع من الهواء وأكثر مرونة منه، ولا يستحق الحدود والمتاهي العبودية لانتفاء صفات المعبود فيه، إذ إننا نعلم أن من يستحق أن يعبد هو من لا شريك ولا ند ولا مثيل ولا شبيه ولا حاجة ولا كتلة ولا حجم ولا كثافة ولا وزن ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا صورة ولا جسم له بل ولا صفة من صفات العباد الكمالية وغيرها، لأنه ليس كمثله شيء وتعالى من أن يحاط بأرض أو سماء أو ماء أو هواء، وما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة بقوله :

«قد علم السرانر وخير الضمانر وله الإحاطة بكل شيء».

يؤكد هذا المعنى بل يترجم قوله تعالى :



﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾<sup>(١)</sup>.

- وقوله عليه السلام:

«هُوَ فِي الْأَشْيَاءِ كَأَنَّ لَا كَيُونَةَ مَحْظُورٍ بِهَا عَلَيْهِ، وَمِنَ الْأَشْيَاءِ بَأَنَّ لَا بَيُونَةَ غَائِبٍ عَنْهَا».

تبين مما تقدم جلالة الله تعالى عن صفات الأجسام وقوانينها وآثارها فلذا لا يمكن أن نفسر قول الإمام الحسين عليه السلام بتفسير يوحى بالجسمية والمحدودية والمادية، بل لابد من بيان لقوله عليه السلام يؤكد نزاهة الله تعالى عن كل صفة من صفات المخلوقين وهذا ما سنتعرض له فنقول:

لا يصح أن نفسر قول الإمام عليه السلام (في الأشياء) بالدخول، وقوله (من الأشياء) بالخروج لأتقيا من صفات الأجسام وهو تعالى ليس بجسم، فضلا عن غناه المطلق عن كل شيء، فلو دخل في الأشياء كدخول الأجسام في بعضها لزم افتقاره إلى المكان والمحدودية وهذا من صفات الممكن وقد ثبت أنه تعالى واجب الوجود غني مطلق، وكذلك لو قلنا بدخوله في الأشياء كدخول الأجسام يلزم من قولنا هذا وصفه بالنقص لأن الدخول إما أن يكون كاملاً له أو لا؟ فعلى الأول يلزم وصفه بنقص سابق فأراد أن يستكمل بالدخول، وعلى الثاني: يكون الدخول نقصاً بذاته يتصف به الحق سبحانه وعلى الفرضين يقع التجسيم والوصف القبيح تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلذا لابد من تفسير قول الإمام عليه السلام بأنه سبحانه هو القيوم المحييط بكل شيء، وهذه الإحاطة التي يحيط الأشياء بها هي إحاطة تامة للظاهر والباطن على حد سواء، وهذا المعنى ورد في أقوال أمير المؤمنين عليه السلم في أكثر من خطبة كما في قوله عليه السلام:

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٦.

«ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج»<sup>(١)</sup>.

ولنزاهته تعالى عن الحدود والحلول والعجز نجد سيد الموحدين عليه السلام يصفه في خطبة أخرى فيقول:

«لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كأن، ولم ينأ عنها فيقال هو منها بأن»<sup>(٢)</sup>.  
ولكي لا يفسر قربه ويُعده تعالى تفسيراً مادياً بوجب التشبيه يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراق»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا ديدن أهل البيت عليهم السلام في وصفهم لخالقهم وربهم ومعبودهم، لا يختلف أمير المؤمنين عليه السلام مع ولده الإمام الحسين عليه السلام ولا الإمام الحسين مع ذريته الأئمة المعصومين عليهم السلام في وصفهم لله تعالى وتزيهه وتسبيحه عما لا يليق بكماله سبحانه، ومن ضمن هذه الروايات:

عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زرارة بن أعين قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:  
«إن الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه، وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق كل شيء، تبارك الذي:

﴿فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٦٤.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٢.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) أصول الكافي: ج ١، ص ٤٨ - ٤٩، ح ٤.

عن علي بن إبراهيم عن أبيه، عن أبي عمير عن علي بن عطية عن ثيثة (عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إن الله خلون خلقه، وخلقه خلومنه، وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله تعالى فهو مخلوق والله خالق كل شيء»<sup>(١)</sup>.

– وقوله عليه السلام:

(لَيْسَ بِقَادِرٍ مَنْ قَارَنَهُ ضِدُّ أَوْ سَاوَاهُ نَدًى).

أشار الإمام عليه السلام إلى حدود قدرة من له ضد، إذ إن كل ضدين يدفع أحدهما الآخر لتساوي قدرتهما ومحدوديتهما إزاء بعضهما البعض، ولذا لا يعد قادراً حقيقاً من اتصف بالعجز أمام من هو ضده أو نده، وحيث إن الله تعالى قادر مطلق لا يعجزه شيء بل هو على كل شيء قدير لزم من هذا أن لا ضد ولا ند له.

– وقوله عليه السلام:

(لَيْسَ عَنِ الدَّهْرِ قِدْمُهُ وَلَا بِالنَّاحِيَةِ أَمَمُهُ، احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَعَمَّنْ فِي السَّمَاءِ احْتِجَابُهُ كَمَنْ فِي الْأَرْضِ قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ، لَا تُحَلُّهُ (فِي) وَلَا تُوقَّتُهُ (إِذَا) وَلَا تُؤَامِرُهُ (إِنْ)، عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَثَقُّلٍ، يُوجِدُ الْمَفْقُودَ وَيُقْفِدُ الْمَوْجُودَ، وَلَا تَجْتَمِعُ لِغَيْرِهِ الصِّفَاتُ فِي وَقْتٍ).

في هذا المقطع الشريف يشير الإمام الحسين عليه السلام إلى مجموعة أبحاث عقائدية تعرض لها باختصار:

قوله عليه السلام (لَيْسَ عَنِ الدَّهْرِ قِدْمُهُ وَلَا بِالنَّاحِيَةِ أَمَمُهُ).

يشير الإمام عليه السلام إلى صفة من صفات الله تعالى ألا وهي أزليته وقدمه، فلقد أجمع أهل الإيمان والعلم على نزاهة الله تعالى عن الزمان واتسامه فلا يصح

توصيفه بالماضي أو الحاضر أو المستقبل لأنه هو خالق الزمان بل هو محيط بالزمان، فلذا لا يجوز تفسير قدمه بمعنى وجود في الماضي وإنما يفسر قدمه تعالى بأنه وجود غير مسبوق بعدم لأنه واجب الوجود، وكذلك فهو تعالى منزّه عن المكان والجهة لأنه هو خالق المكان والنواحي والجهات بل هو محيط بالمكان وجهاته.

وهكذا، وبناء على ما تقدم يظهر أن الصورة أو المفهوم الذي يحصل في ذهن الإنسان عن الله تعالى ليس إلا وهم مخالف للحقيقة.



## الخطبة الثانية

وفيهما يوصي بتقوى الله،

وينذر من عقابه





## نص الخطبة

«أوصيكم بتقوى الله، وأحذركم أيامه، وأرفع لكم أعلامه، فكان المخوف قد أفد بهول وورده، ونكسر حلولة، وبشع مذاقه، فأعلق مهجكم<sup>(١)</sup>، وحال بين العمل وبينكم. فبادروا بصحة الأجسام في مدة الأعمار، كأنكم ببغات طوارقه<sup>(٢)</sup> فتثقلكم من ظهر الأرض إلى بطنها، ومن علوها إلى سفليها، ومن أنسها إلى وحشتها، من روحها وضونها إلى ظلمتها، ومن سعتها إلى ضيقها، حيث لا يزار حميم ولا يعاد سقيم ولا يجاب صريح، أعانتنا الله وإياكم على أهوال ذلك اليوم، ونجانا وإياكم من عقابه، وأوجب لنا ولكم الجزيل من ثوابه.

عباد الله فلو كان ذلك قصر مرامكم ومدى مطعنكم<sup>(٣)</sup> كان حسب العامل شغلا يستفرغ عليه أحزانه، ونذهله عن دنياه، ويكثر نصبه لطلب الخلاص منه، فكيف وهو بعد ذلك مرتين باكتسابه، مستوقف على حسابه، لا وزير له يمتعه ولا ظهير عنه يدفعه، ويومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيل قل انتظروا إنا منتظرون.

---

(١) أفد: دنا وقرب. والمهول: المخيف. بشع: صار طعمه كريهاً. واعتلقه وبه: أحبه حباً شديداً. والمهج: جمع مهجة: دم القلب والمراد نفس القلب.

(٢) البغات: جمع بغة أي فجأة.

(٣) الجزيل: الكثير العظيم من كل شيء. والقصر: الغاية. والمرمى: ما ترمى إليه السهام. والمدى: المسافة والغاية. والمظن: المسير.

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَمِنَ لِمَنْ اتَّقَاهُ أَنْ يُحَوِّلَهُ عَمَّا يَكْرَهُ إِلَى مَا يُحِبُّ  
وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَخَافُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَيَأْمَنُ  
الْعُقُوبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُخْدَعُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ».

## المعنى العام

(أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ أَيَّامَهُ، وَارْفَعُ لَكُمْ أَعْلَامَهُ، فَكَانَ  
الْخَوْفَ قَدْ أَفْدَى بِمَهُولٍ وَرُودِهِ، وَنَكِيرِ حُلُولِهِ، وَبَشَعِ مَذَاقِهِ، فَاعْتَلَقَ مُهْجَكُمْ،  
وَحَالَ بَيْنَ الْعَمَلِ وَبَيْنَكُمْ).

أطلب منكم الالتزام بالخشية والخوف من الله تعالى، وأخوفكم وأطلب منكم  
التحرز من أيام الله تعالى التي تحدث عنها في القرآن الكريم (يوم كآلف سنة... الخ) (يوم  
التلاق... ) وارفَع لَكم ما تَهدون به من هدي الله تعالى، فكأن الأمر الذي تخشونه قد  
دنا وقرب إليكم بفزع ورعب وروده، وصعوبة نزوله، وكربه طعمه، فتعلق بقلوبكم  
تعلقاً شديداً، وصار مانعاً بينكم وبين العمل.

(فَبَادَرُوا بِصِحَّةِ الْأَجْسَامِ فِي مُدَّةِ الْأَعْمَارِ، كَأَنَّهُمْ بِبَغَاتٍ طَوَارِقِهِ فَتَنُّ لَكُمْ مِنْ  
ظَهَرِ الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهَا، وَمِنْ عَلْوِهَا إِلَى سَفْلِهَا، وَمِنْ أُنْسِهَا إِلَى وَحْشَتِهَا، مِنْ رَوْحِهَا  
وَضَوْئِهَا إِلَى ظُلْمَتِهَا، وَمِنْ سَعَتِهَا إِلَى ضَيْقِهَا).

أسرعوا وعجلوا إلى اغتنام الصحة قبل السقم في طاعة الله تعالى، وأنتم على  
وشك أن تفاجئكم الدواهي التي تأتي ليلاً فتحولكم من على سطح الأرض إلى جوفها  
وباطنها، ومن ارتفاعها إلى أدنى نقطة فيها، ومن ما هو لطيف ومسر للنفس إلى ما هو  
ضد ذلك من النفور والكدورة، ومن الراحة والسعة وطيبة العيش إلى ذهاب نورها



وشدتها، ومن رحابتها ويسارها إلى شدتها.

(حيث لا يزارُ حميمٌ ولا يُعادُ سقيمٌ ولا يُجابُ صريحٌ).

يشير الإمام علي عليه السلام إلى أن هذا المكان لا يحصل فيه اللقاء بين الأحبة ولا يفحص المريض ولا يطمئن على صحة ولا يغاث المستغيث.

(أعانتنا الله وإياكم على أهوال ذلك اليوم، ونجانا وإياكم من عقابه، وأوجب لنا ولكم الجزيل من ثوابه).

ساعدنا الله تعالى وإياكم على رعب وخوف ذلك اليوم الذي هو يوم القيامة، وخلصنا الله وإياكم من أذاه وآلامه، وجعل لنا ولكم الكثير العظيم من العطاء وحسن الجزاء.

(عباد الله! فلو كان ذلك قصرَ مراحمكم ومدى مظعنكم كان حسب العاملِ شغلا يستفرغ عليه أحزانه، ويذهله عن دنياه، ويكثر نصبة لطلب الخلاص منه، فكيف وهو بعد ذلك مرتين بإكتسابه، مستوقف على حسابه، لا وزير له يمتعه ولا ظهير عنه يدفعه، ويومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، قل انتظروا إنا منتظرون).

يوجه الإمام عليه السلام نداءه إلى من هو مؤمن عابد لربه فيقول لو كان ذلك الأمر الذي سبق بيانه هو غاية هدفكم ومسافة وغاية مسيركم كان كافياً ليشغل العامل منكم في طاعة الله تعالى وكافياً لصب تمام غمه وهمه عليه، وكافياً ليشغله ويغفله عن زبارج الدنيا وزخارفها، ويكثر تعبهِ لنيل النجاة من أهوال ذلك اليوم، فكيف لا يذهل ويهتم بذلك اليوم الذي سيكون فيه حيث لا معين فيعينه ولا حامل لثقله أحد، ولا دافع عنه البلاء، وفي هذا اليوم لا يفيد نفس إيمانها وهي لم تكن مؤمنة في الدنيا وغير عاملة في طاعة ربها، فقل ترقبوا ونحن معكم نرقب.

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَمِنَ لِمَنْ اتَّقَاهُ أَنْ يُحَوِّلَهُ عَمَّا يَكْرَهُ إِلَى مَا يُحِبُّ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَخَافُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَيَأْمُرُ الْعُقُوبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُخَدِّعُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

تقدم في بداية الخطبة بيان قوله أوصيكم بتقوى الله، ويشير الإمام الحسين بن علي عليهما السلام إلى أن الله تعالى تكفل لكل من يخافه ويخشاه أن ينقله عنما لا يريد وينفر منه إلى ما يرغبه ويحبه ثم يأتي برزقه من غير الأسباب التي سعى فيها ومن حيث لا يحتمل، ثم يرشد الإمام عليه السلام أن تكون من الناس الذين يخشون على مصر غيرهم بسبب ذنوبهم ولا يخافون على مصايرهم وهم في اطمئنان من نزول العقوبة عليهم مع وقوع الذنب منهم، ويقول الإمام عليه السلام إن الله تبارك وتعالى لا تخفى عليه الحيل ولا يستطيع أحد أن يكر فيظهر مرة ويخفى مرة أخرى لينال جنة الله تعالى فإن ذلك لا ينال إلا بالطاعة الخالصة.

## بحث أخلاقي

### التقوى ميزان القرب الإلهي

كل ما يخرج من فم العصمة والطهارة لا بد أن يكون مهما ومعصوما ولا يخالف العقل أو الشرع، ومما أكد عليه الإمام السبط عليه السلام في خطبته الثانية هو التمسك بهذا الأمر المهم الذي يعد ميزانا لقرب العبد من مولاه وعلامة على أفضليته على غيره ممن لم يتحلى به ألا وهو (التقوى).

التقوى لغة: هو الحذر الخوف والتجنب.

الحشية والخوف وتقوى الله : خشية وامثال أوامره واجتناب نواهيه<sup>(١)</sup>.

التقوى اصطلاحاً: هو الامتثال لأمر الله تعالى والانتهاز عن نهيه خوفاً منه وتجنباً لغضبه وعقوبته.

لهذه الصفة دلالات تدل على من يتصف بها، كما أن لها آثاراً عظيمة تنعكس على نفس صاحبها انعكاساً هو بأمرس الحاجة إليه في الدنيا والآخرة فلذا نجد أن الإمام الحسين عليه السلام يقتفي أثر العبد الأكبر (القرآن الكريم) في الحرص على الوصية بهذه الصفة المهمة، ولكي نقف على ما جاء في الكتاب الكريم ونطلع على لطف المولى جل وعلا بعباده لا بد لنا من التأمل في قوله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اتَّقَا اللَّهَ وَانْكَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وما كان هذا الأمر الإلهي بالتقوى إلا لكي ينتفع العبد بآثارها ويكسب السند المنيع والملاجأ الحصين وينال البركات في الدنيا والرضا والشكر الإلهي في الآخرة.

فإن التقوى هي خير الوصايا وأفضل العواقب كما ورد ذلك على لسان إمام المتقين عليه السلام بقوله :

«أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مَا نَوَصَّى الْعِبَادَ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) المعجم الوسيط : ص ١٠٥٢ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١٣١ .

(٣) ميزان الحكمة : ج ١١ ، ص ٤٨١٠ ، ح ٢٢٣٤٦ .

ولأهمية الوصية بالتقوى حرص أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته الكرام عليهم السلام على افتتاح خطبهم وكتبهم ورسائلهم بالوصية بالتقوى وهذا ما تؤكدونه النصوص الآتية:

١- قال عليه السلام:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب الأمثال، ووَقَّتْ لَكُمْ الآجال»<sup>(١)</sup>.

٢- قال عليه السلام:

«أوصيك بتقوى الله - أي بُنيَ - ولزوم أمره - وإمارة قلبك بذكره»<sup>(٢)</sup>.

٣- قال عليه السلام:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياش، وأسبغ عليكم المعاش»<sup>(٣)</sup>.

٤- عنه عليه السلام:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم أهل التفاق»<sup>(٤)</sup>.

٥- عنه عليه السلام:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم الدنيا»<sup>(٥)</sup>.

وهناك المزيد من هذه الوصايا تركناها للاختصار.

(١) ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١٠، ح ٢٢٣٤٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١١، ح ٢٢٣٤٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١١، ح ٢٢٣٥٠.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٤. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١١، ح ٢٢٣٥١.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١١، ح ٢٢٣٥٣.

### آثار التقوى في الدنيا

نذكر هذه الآثار وفق هذا التبويب لتسهيل حفظها من قبل القارئ، فلذا تجنبنا شرحها ولكي لا ندخل في الإسهاب والإطالة وإلا فإن لكل أثر من آثارها شرحاً طويلاً يحتاج إلى صفحات كثيرة.

١- إنها تورث البركة كما في قوله تعالى :

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَنْفَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- إنها تورث الفلاح كما في قوله تعالى :

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- إنها تشبه بأخلاق الأنبياء كما ورد في قول أمير المؤمنين عليه السلام :

«عَلَيْكَ بِالتَّقَى؛ فَإِنَّهُ خُلِقَ الْأَنْبِيَاءُ»<sup>(٣)</sup>.

٤- إنها تورث خير الدنيا والآخرة كما ورد في قول رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم :

«مَنْ رَزَقَ تَقَى فَقَدْ رَزِقَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأعراف، الآية : ٩٦.

(٢) سورة البقرة، الآيات : ٢ - ٥.

(٣) غرر الحكم : ٦٠٨٦. ميزان الحكمة : ج ١١، ص ٤٨٠٨، ح ٢٢٣٣١.

(٤) كنز العمال : ٥٦٤١. ميزان الحكمة : ج ١١، ص ٤٨٠٨، ح ٢٢٣٣٢.

٥- إنما سبب في دفع الهلاك وحفظ ما يزرع العبد من زرع معنوي أو مادي، كما ورد في قوله عليه السلام:

«لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِتْرُ أَصْلٍ، وَلَا يَنْظُنُّ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ»<sup>(١)</sup>.

٦- إنما سبب في نجاة الهاربين من الظلم، وسبب في نيل المطالب، وسبب في النصر على الأعداء الظالمين كما أنها حرز وعز لمن يتحلى بها وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِنَّ التَّقْوَى أَفْضَلُ كَنْزٍ، وَأَحْرَزُ حِرْزٍ، وَأَعَزُّ عِزٍّ، فِيهِ نَجَاةُ كُلِّ هَارِبٍ، وَدَرْكُ كُلِّ طَالِبٍ، وَظَفَرُ كُلِّ غَالِبٍ»<sup>(٢)</sup>.

٧- إنما سلامة من الخسارة والتلف وهذا ما أشار إليه الإمام أبو جعفر عليه السلام لسعد الخير:

«أَوْصِيكَ بِتَوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ فِيهَا السَّلَامَةَ مِنَ التَّلَفِ وَالْغَنِيمَةَ فِي الْمُنْقَلَبِ»<sup>(٣)</sup>.

٨- إنما حرز وصيانة من إغواء الفجار وقوة لحفظ النفس أمام إغراء الشهوات واللذات، وحرز من الضلال ولذا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ مَنْ فَارَقَ التَّقْوَى أَغْرِيَ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَوَقَعَ فِي بَيَةِ السَّيِّئَاتِ، وَلَزِمَهُ كَبِيرُ التَّبَعَاتِ»<sup>(٤)</sup>.

٩- إنما تدفع وساوس الشيطان وتفتح البصيرة والبصر كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٠٩، ح ٢٢٣٣٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٣٧٤، ح ٣٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٠٩، ح ٢٢٣٣٨.

(٣) الكافي: ج ٨، ص ٥٢، ح ١٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٠٩، ح ٢٢٣٣٩.

(٤) غرر الحكم: ٣٦٢٥. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٠٩، ح ٢٢٣٤٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

١٠- إنها تكسب صاحبها الشرف كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«التَّقْوَى ظَاهِرُهُ شَرَفُ الدُّنْيَا، وَبَاطِنُهُ شَرَفُ الْآخِرَةِ»<sup>(١)</sup>.

١١- إنها توجب الغنى والعز والأنس كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَا نَقَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا مِنْ ذُلِّ الْمَعَاصِي إِلَى عِزِّ التَّقْوَى إِلَّا أَغْنَاهُ مِنْ غَيْرِمَالٍ، وَأَعَزَّهُ مِنْ غَيْرِ عَشِيْقَةٍ، وَأَنَسَهُ مِنْ غَيْرِ بَشَرٍ»<sup>(٢)</sup>.

١٢- إنها شفاء لأمراض القلوب والأجساد معاً، ونور للعقول، وطهارة

لِلنَّفُوسِ، وهذا ما أرشد إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَائِلٌ لَوَيْكُمُ، وَبَصَرٌ عَمَى أَفْنَدِيكُمُ، وَشِفَاءٌ مَرَضِ  
أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاحٌ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطَهُورٌ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجَلَاءٌ عَاشَا  
أَبْصَارِكُمْ، وَأَمِنْ فَنَعِ جَاشِكُمْ، وَضِيَاءٌ سَوَادِ ظُلُمَتِكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

١٣- هي خلاص من المآزق والشدائد، وهي سبب في تحصيل الأرزاق من حيث

لا نحتسب كما في قوله تعالى:

﴿وَبَرَزُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ  
جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

١٤- هي نجاة من الفتن وخلاص من الحيرة كما ورد عن إمام المتقين أمير المؤمنين

علي عليه السلام:

«اعْلَمُوا أَنَّهُ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ مِنَ الْفِتَنِ، وَنُورًا مِنَ الظُّلُمِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) غرر الحكم: ١٩٩٠. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١٨، ح ٢٢٤٠٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٨٢، ح ١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١٨، ح ٢٢٤٠٩.

(٣) غرر الحكم: ٥١٥٤. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١٩، ح ٢٢٤١١.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٣. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٣، ح ٢٢٤٣٦.

١٥- هي سبب في كشف الهموم كما ورد عن إمام المتقين أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«مَنْ اتَّقَى اللَّهَ سَبَّحَانَهُ جَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً. وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً»<sup>(١)</sup>.

### آثار التقوى في الآخرة

لاشك في أن للتقوى آثاراً عظيمة لا يستغني عنها عباد الله تعالى بشيء سواها ومن هذه الآثار:

١- إنها توجب شكر المولى عز وجل لعبده في آخرته كما في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- إنها توجب رحمة المولى عز وجل بعبده كما في قوله تعالى:

﴿أَوْعَيْتُمْ أَنْ جَاءَ كُذِّبَ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣- إنها توجب الفوز في الآخرة، كما قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«التَّقْوَى غَايَةُ لَا يَهْلِكُ مَنْ اتَّبَعَهَا، وَلَا يَنْدَمُ مَنْ عَمِلَ بِهَا؛ لِأَنَّهُ بِالتَّقْوَى فَازَ الْفَائِزُونَ، وَبِالْمَعْصِيَةِ خَسِرَ الْخَاسِرُونَ»<sup>(٤)</sup>.

٤- إنها توجب تقربك من الله تعالى وتحفظ من العذاب، حيث قال أمير المؤمنين

علي عليه السلام:

(١) غرر الحكم: ٨٨٤٧. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٢، ح ٢٢٤٣١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٦٣.

(٤) كنز العمال: ٤٤٢١٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٠٩، ح ٢٢٣٤٠.



«التَّقْوَى أَكْثَرُ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَحْنَتْ بِهِ، وَجَنَّتْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ»<sup>(١)</sup>.

٥- إنما سبب في قبول الأعمال كما في قوله تعالى :

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٦- إنما تسدد العبد في دنياه فيكون من الفائزين في أخراه، وهي كنز مذكور ليوم الفقر والفاقة، يوم القيامة كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام :

«إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ»<sup>(٣)</sup>.

٧- إنما توجب التنعم في الجنان والأفهار بل هي سبب في قرب العبد من ربه كما في قوله تعالى :

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿١١﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

### التقوى ضرورة لا بد منها

إذا لم يتلبس الإنسان بالتقوى صار إنساناً ميتاً بحسب الباطن والمعنى، وإذا سلب الإنسان وصف الحياة خرج عن عنوان الإنسانية، فيصبح مخلوقاً مسخاً ينافس الوحوش والأنعام في صفاتها، فيغدو لا يهمه إلا ما يهم البهائم من طعام وشراب وتناسل بل قد يصل إلى أسوأ من ذلك فتتحول وداعته وألفته إلى غلظة ووحشية يفوق بها وحشية الوحوش الأخرى.

أما عدم إمكان وصف فاقد التقوى بالحي لقول أمير المؤمنين عليه السلام :

(١) غرر الحكم: ٢٠٧٩. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١٩، ح ٢٢٤١٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٠. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨١٥، ح ٢٢٣٨٦.

(٤) سورة القمر، الآيتان: ٥٤ و ٥٥.

«لا حياة إلا بالدين، ولا موت إلا بحدوث اليقين»<sup>(١)</sup>.

وأما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيصرح بأن بعض الناس تراهم إحياء بحسب الظاهر والمادة إلا أنهم أموات كما في قوله عليه السلام:  
«ليس من مات واستراح بميت، إنما الميت ميت الأحياء»<sup>(٢)</sup>.

وهناك من اتصف بصفة الكذب التي تجانب التقوى فصار ميتا بنظر الإمام علي عليه السلام وهذا ما جاء في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:  
«الكذاب والميت سواء فإن فضيلة الحي على الميت الثقة به، فإذا الميؤثق بكلامه فقد بطلت حياته»<sup>(٣)</sup>.

أما كون الإنسان الذي سلب الحياة بسبب تركه للتقوى ليس بإنسان بل هو حيوان في باطنه لقول أمير المؤمنين عليه السلام:  
«فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتجه ولا باب العمى فيصد عنه وذلك ميت الأحياء»<sup>(٤)</sup>.

وأما انقلابه إلى بهيمة همها علفها وشرابها وتناسلها بل تحوله إلى وحش كاسر يفوق الوحوش البرية يرشد إليه قوله تعالى:

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٩٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ١٧٥، ح ١٣.

(٣) شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني: ج ١، ص ١٨٤.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠٨٢، ح ٢٨٦٧.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

ولكي لا يصل الإنسان العاقل إلى هذه المرتبة الخسيسة ولكي يعيش حياة حقيقية ويبقى محافظاً على خلقته وصفته الإنسانية لا بد له من التلبس بالتقوى التي هي الإيمان القلبي والعمل الصالح الذي هو روح الدين الحنيف.

وبعد التأمل في آثار التقوى دنيوياً وأخروياً أصبحت التقوى ضرورة لا غنى عنها بل هي الحياة والسعادة والنجاة والشفاء والفلاح والحصانة والحرز والغنى والعز والشرف والأنس، وأخروياً هي الشكر والرحمة والقرب الإلهي وهي الفوز والكنز المذخور ليوم القيامة.

### رفع التوهم

عندما يعمل العبد عملاً صحيحاً من حيث المقدمات والأجزاء والشروط الفقهية يقع في توهم أن هذا العمل سيقربه من الله تعالى ويغفل عن الشرط الذي يجعل العمل مقبولاً ومقرباً من الله تعالى، ولذا نجد أن القرآن الكريم يبين بوضوح هذه الصورة في قوله تعالى :

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَا أَقْبَلُكَ قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالله تعالى لا يقبل العمل إلا من المتقي الذي لا يهمله تمام العمل وصحته فحسب بل الذي يهمله قبول العمل ولذا أكد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى في وصيته لأبي ذر:

«يَا أَبَا ذَرٍّ كُنْ لِلْعَمَلِ بِالتَّقْوَى أَشَدَّ اهْتِمَاماً مِنْكَ بِالْعَمَلِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

(٢) كنز العمال: ٨٥٠١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٠، ح ٢٢٤١٨.

وصرح أمير المؤمنين عليه السلام أن صفتي التقى والإخلاص سر قبول الأعمال بقوله :

«صِفَاتٍ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْأَعْمَالُ إِلَّا بِهَمَا: التَّقَى وَالْإِخْلَاصُ»<sup>(١)</sup>.

وهناك دور آخر للتقوى ألا وهو حفظ العمل الصالح من النقصان أو الزوال وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله :

«جِدُّوْا وَاجْتَهِدُوا، وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا فَلَا تَعْصُوا؛ فَإِنَّ مَنْ يَبْنِي وَلَا يَهْدِمُ يَرْتَفِعُ بِنَاوُهُ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا، وَإِنْ مَنْ يَبْنِي وَيَهْدِمُ يُوشِكُ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ بِنَاوُهُ»<sup>(٢)</sup>.

بل ينظر للعمل القليل المقبول بأنه عمل كثير يرفع بناء العامل كما تقدم في الحديث، ويؤكد ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام :

«لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ تَقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُقْبَلُ؟!»<sup>(٣)</sup>.

وبمعرفة هذه النكتة العلمية يرتفع التوهم الذي يحصل لكثير من المؤمنين لاسيما من يهمل قبول العمل ومن لا يعرف ذلك أو لا يهتم بقبول العمل فلا فائدة من عمله الصحيح وهذا ما رد به السيد الخوئي قدس سره الشريف على أحد السائلين عن الحج وقوله

### مسألة: منزلة المتقين وصفاتهم

إن للمتقين منزلة عظيمة ورتبة عالية عند الله سبحانه وتعالى وكما أن لهم منزلة ورتبة شريفة عند أهل الدنيا، وبمجرد الوقوف على الآيات الكريمة التي وردت لبيان منزلتهم ومقامهم يغنينا عن الشرح والإطالة وهي كما يلي :

(١) غرر الحكم: ٥٨٨٧. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢١، ح ٢٢٤٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٨٦، ح ٨. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢١، ح ٢٢٤٢٤.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٧٥، ح ٥. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٠، ح ٢٢٤٢١.

١- المتقي ولي الله تعالى كما في قوله :

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ؛ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- الله تعالى ناصرهم وسندهم كما في قوله تعالى :

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣- المتقون محبوبون لله تعالى :

﴿لَنْ يَكُنَ مِنَ الْوَقْعِ بَعْدِيءٌ وَأَتَقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

٤- حسن العاقبة للمتقين كما في قوله تعالى :

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

٥- بأنهم سكان الجنة كما في قوله تعالى :

(١) سورة الأنفال، الآية : ٣٤.

(٢) سورة الدخان، الآية : ١٩.

(٣) سورة البقرة، الآية : ١٩٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية : ٧٦.

(٥) سورة هود، الآية : ٤٩.

(٦) سورة ص، الآية : ٤٩.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

٦- إنهم في مقام أمين كما في قوله تعالى :

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ آمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

٧- هم أهل الهدى كما في قوله تعالى :

﴿أَوْ نَقُولَ لَوَأَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

٨- هم أهل القرآن كما في قوله تعالى :

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.

٩- هم الوارثون كما في قوله تعالى :

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصِرُوا إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ  
مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة الحجر، الآية : ٤٥.

(٢) سورة الشعراء، الآية : ٩٠.

(٣) سورة الذاريات، الآية : ١٥.

(٤) سورة الطور، الآية : ١٧.

(٥) سورة الدخان، الآية : ٥١.

(٦) سورة الزمر، الآية : ٥٧.

(٧) سورة آل عمران، الآية : ١٣٨.

(٨) سورة الأعراف، الآية : ١٢٨.

١٠- هم وفد الرحمن كما في قوله تعالى :

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾<sup>(١)</sup>.

١١- هم أهل الصدق كما في قوله تعالى :

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام وصف رائع للمتقين وبيان يأخذ شفاف القلوب القلوب وتوقظ به العقول وتقرب به الأعين وتسرب به النفوس :

١- إن المتقين عباد ملكوا شهواتهم ولم يرزحوا تحت عبوديتها وعاشوا أحراراً فصارت لهم السيادة عليها وبذلوا أنفسهم وآثروا غيرهم عليها فجادوا ومن جاد ساد فلذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

«الْمُتَّقُونَ سَادَةُ الْفُقَهَاءِ قَادَةُ الْجُلُوسِ إِلَيْهِمْ عِبَادَةُ»<sup>(٣)</sup>.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم :

«الْمُتَّقُونَ سَادَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ قَادَةُ أَخْدَ عَلَيْهِمُ أَدَاءِ مَوَاقِفِ الْعِلْمِ وَالْجُلُوسِ إِلَيْهِمْ بَرَكَتُهُ وَالنَّظَرُ إِلَيْهِمْ نُورٌ»<sup>(٤)</sup>.

٢- من أخلاق المتقين قناعتهم بما رزقهم الله تعالى فاستشعروا الغنى واتصفوا به، وتجنبوا أن يعيشوا حياة الباذخين بإسراف وترف فوق حد الضرورة، وعشرتهم مليئة بالفوائد والبركة والطهارة وهذا ما يؤكد الإمام الباقر عليه السلام :

(١) سورة مريم، الآية : ٨٥.

(٢) سورة الزمر، الآية : ٢٣.

(٣) أمالي الطوسي : ص ٢٢٥، ح ٣٩٢. ميزان الحكمة : ج ١١، ص ٤٨٢٣، ح ٢٢٤٣٧.

(٤) كثر العمال : ٥٦٥٣. ميزان الحكمة : ج ١١، ص ٤٨٣٢، ح ٢٢٤٣٨.

«أَنَّ أَهْلَ التَّقْوَى هُمُ الْأَغْنِيَاءُ أَغْنَاهُمُ الْقَلِيلُ مِنَ الدُّنْيَا، فَمَوْنَتُهُمْ يَسِيرٌ، إِنْ نَسِيَتْ الْخَيْرَ ذَكَرُوا، وَإِنْ عَمِلَتْ بِهِ أَعَانُواكَ، أَخْرَوْا شَهَوَاتِهِمْ وَلَذَاتِهِمْ خَلْفَهُمْ، وَقَدَّمُوا طَاعَةَ رَبِّهِمْ أَمَامَهُمْ، وَنَظَرُوا إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ إِلَى وَلايَةِ أَحِبَّاءِ اللَّهِ فَأَحْبَبُوهُمْ، وَتَوَلَّوْهُمْ وَاتَّبَعُوهُمْ»<sup>(١)</sup>.

٣- ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يصفهم بصفات يحبها أهل الأرض وأهل السماء ويطمئن إليهم كل من يعاشرهم لصدقهم وأمانتهم ووفائهم ولذا جاء عنه عليه السلام:

«كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّ لِأَهْلِ التَّقْوَى عِلَامَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ... وَقِلَّةُ الْمَوَاتَاةِ لِلنِّسَاءِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَسَعَةُ الْحِلْمِ، وَاتِّبَاعُ الْعِلْمِ فِيمَا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(٢)</sup>.

٤- لا تفارق التقوى الإخلاص فإذا اتصف أحد بها لا بد من الاتصاف به، كما لا يعيش المتقي حياة الآملين بآمال الدنيا وأمنياتها فيؤخذ بطوى الأمل ويغفل عن الأجل، ومن صفاته النباهة والفطنة فلا تفوته فرصة خير إلا واغتنمها شعوراً منه بقرب الأجل فلذا ذكر الإمام الباقر عليه السلام ذلك بقوله:

«لِلْمُتَّقِي ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ، وَقَصْرُ الْأَمَلِ، وَاجْتِنَاءُ الْمَهْلِ»<sup>(٣)</sup>.

٥- وما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام من صفاتهم في خطبته التي ألقاها تلبية لرغبة أحد أصحابه الذي ألح عليه فيها وهي المشهورة باسم هذا الرجل وهو (همام) فيها الكثير من صفاتهم الرائعة ولذا نذكر بعض المقتطفات تجنباً للإطالة:

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ١٦٦، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٥، ح ٢٢٤٤٢.

(٢) الخصال: ص ٤٨٣، ح ٥٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٥، ح ٢٢٤٤٤.

(٣) غرر الحكم: ٧٣٧٠. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٥، ح ٢٢٤٤٥.



«فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبِسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُّعُ، غَضُوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ. كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup> لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ.

عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ، قُلُوبُهُمْ مُحْزَوْنَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ غَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ، تَجَارَةٌ مَرِيحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسْرَتْهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

فَمِنْ غَلَامَةٍ أَحَدِهِمْ أَنْتَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَخِزْماً فِي لَيْلٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَجِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَعِلْماً فِي جَلَمٍ، وَقَصْداً فِي غِنَى، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ، وَطَلْباً فِي خِلَالٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ، يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمَسِّي وَهْمُهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهْمُهُ الذِّكْرُ، يَبِيتُ حَذِيراً، وَيُصْبِحُ فَرِحاً؛ حَذِيراً لِمَا حَذَّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ<sup>(٢)</sup>».

### الطرق الموصلة إلى التقوى

هذه الرتبة العالية الشريفة التي يطمع فيها كل العقلاء لن ينالها أحد إلا من خلال التمسك بمنهجية مرسومة من قبل الشارع المقدس ولذا نرى أن نبوّب هذه الطرق لتسهيل معرفتها والأخذ بها :

(١) ورد في نهج البلاغة : الذي كُتب لهم.

(٢) ميزان الحكمة : ج ١١، ص ٤٨٢٦ - ٤٨٢٧.

١- الالتزام بالاستقامة في كل مفردات الحياة قولاً وعملاً والابتعاد عن الأفكار والطرق المنحرفة التي تبعد بصاحبها عن القرب الإلهي وعن رتبة المتقين وهذا ما نلمسه في قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- التمسك بالدين الإسلامي الحنيف والتلبس بواجباته والانتفاء عن نواهيه فلذا ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«التَّقْوَى فَمَرَّةُ الدِّينِ وَأَمَارَةُ الْيَقِينِ»<sup>(٢)</sup>.

٣- أن يصوم صوماً حقيقياً، ويتعد عن كل ما يفسد الصوم سواء كان على مستوى الجوارح أو الابتعاد عن المفطرات الفقهية وهذا ما تريده الآية الشريفة كما في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٤- أن يحتاط العبد من الوقوع في الشبهات فضلاً عن الحرام الصريح والباطل الواضح وهذا ما أرشدنا إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«إِنَّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَا يُنْقِى مِنْهُ خَوْفًا مِنَ النُّحُولِ فِي الشُّبُهَةِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) غرر الحكم: ١٧١٤. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٨، ح ٢٢٤٤٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٤) تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ٦٢. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٩، ح ٢٢٤٤٩.

٥- لابد للعبد الذي يطمع أن يكون من المتقين أن يحاسب ويراقب نفسه ويتأكد من حلية ضرورياته، وهو الذي صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لأبي ذر:

«يَا أَبَا ذَرٍّ لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ، فَيَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَطْعُمُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَشْرَبُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ؟ أَمِنْ جِلِّ ذَلِكَ، أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟»<sup>(١)</sup>.

### ما يمنح التقوى

كما أن للتقوى وسائلًا يصل بها الإنسان إلى رتبة المتقين التي هي رتبة الأنبياء والأولياء والعباد الصالحين كذلك هناك ما يمنح الاتصاف بهذه الصفة وما يحول بين المرء وبين هذه الرتبة ونذكرها على النحو الآتي:

١- إذا انغمس الإنسان في زخرف الدنيا وانهر بزبرجدها يتعلق قلبه بها ويعشقهها إلى درجة الوله، فيستولي عليه حب الدنيا فيغلق الباب بوجه التقوى فلا تستطيع الدخول إلى هذا القلب المغرور فضلاً عن الاستقرار فيه، وهذا يتضح من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«حَرَامٌ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَوَلِّهِ بِالدُّنْيَا أَنْ تَسْكُنَهُ التَّقْوَى»<sup>(٢)</sup>.

٢- لا ينسجم بل لا يصح أن يكون المتقي طامعاً بما في أيدي الناس من حطام الدنيا وقذارتها، ولا يكون المتقي خالياً من الحياء فلذا قال الإمام العسكري عليه السلام:

«مَنْ لَمِيتَ وَجْهَ النَّاسِ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) كنز العمال: ٨٥٠١، ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٩، ح ٢٢٤٥٠.

(٢) غرر الحكم: ٤٩٠٤، ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٩، ح ٢٢٤٥٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٣٧٧، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٢٩، ح ٢٢٤٥٤.

٣- إذا أراد العبد أن يتصف بالتقوى وأن يلمس آثارها وفوائدها لابد له من حفظ لسانه عما حرم الله تعالى، ولأهمية هذا الشرط نجد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقسم بالله تعالى فيقول:

«والله، ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه»<sup>(١)</sup>.

٤- هناك إحدى الصفات الذميمة التي لا تليق بالمؤمن، بل قد تبعده عن طاعة الله تعالى حذر منها الإمام المعصوم بقوله:

«ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم»<sup>(٢)</sup>.

### أسئلة مهمة

نعلم أن الصفات الحسنة والفضائل الكريمة لها درجات متفاوتة بحسب من يتصف بها، فلذا نجد أن من الناس من له رتبة المتقين إلا أنه لا يمكن أن يكون في رتبة إمام المتقين عليه السلام ولذا نرى من المهم أن نطرح هذه الأسئلة لكي نجيب عليها بأجوبة أهل بيت العصمة عليهم السلام.

السؤال: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فكيف نتقي الله حق تقاته؟

الجواب: ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعصى، وَأَنْ يُذَكَرَ فَلَا يُنسى»<sup>(٤)</sup>.

(١) مجمع البلاغة: الخطبة ١٧٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣٠، ح ٢٢٤٥٥.

(٢) مجمع البلاغة: الخطبة ٢٩٨. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣٠، ح ٢٢٤٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٤) الدر المنثور: ج ٢، ص ٢٨٢. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣٠، ح ٢٢٤٥٧.

وقد أضاف الإمام الصادق عليه السلام على قول جده صلى الله عليه وآله وسلم (وَيُشْكِرُ فَلَا يُكْفِرُ).

ولكي نقف على نوع هذه التقوى نعرض هذه الأحاديث الشريفة لتبين لنا كيفيتها وهي كما روى عليه السلام:

«اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍ شَغَلَ التَّفَكُّرَ قَلْبُهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِزَ يَوْمِهِ، وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ مَنْ شَغَلَ بِالْفِكْرِ قَلْبُهُ، وَأَوْجَفَ الذِّكْرَ بِلِسَانِهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ»<sup>(٢)</sup>.

السؤال: ما هو تفسير التقوى في نظر أهل البيت عليهم السلام؟

الجواب:

التقوى أن تجتنب الحرام وتعصم نفسك من الوقوع فيه وهذا ظاهر في قولهم عليهم السلام:

«التَّقْوَى اجْتِنَابُ»<sup>(٣)</sup>.

«بِالتَّقْوَى قُرْنَتِ الْعِصَّةُ»<sup>(٤)</sup>.

«التَّقْوَى أَنْ يَتَّقِيَ الْمَرْءُ كُلَّ مَا يُؤْثِمُهُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) لمج البلاغة: الخطبة ٨٣. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣١، ح ٢٢٤٦٤.

(٢) غرر الحكم: ٦٦٠٠. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣١، ح ٢٢٤٦٧.

(٣) غرر الحكم: ١٨٨. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣١، ح ٢٢٤٦٨.

(٤) غرر الحكم: ٤٣١٦. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣١، ح ٢٢٤٦٩.

(٥) غرر الحكم: ١٨٧١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٨٣٢، ح ٢٢٤٧١.

## بحث أخلاقي

### النصيحة علامة المحب

إذا أحب الإنسان غيره لا بد أن يكون ناصحاً معه أو له لكي يؤكد حبه له وإلا يلزم من خلاف ذلك عدم صدق المدعى، فلذا خاطب القرآن الكريم الناس بلسان أحد أنبياء الله تعالى بأنه من الناصحين لهم لما جاء لهم من رسالات الله تعالى التي تقودهم إلى كما لهم ومصالحهم وهذا ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّيَ بَيِّنَاتٍ لَّكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّيَ بَيِّنَاتٍ لَّكُمْ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا بد لنا من الوقوف على معنى النصيحة لكي يتسنى لنا معرفة أهميتها فنقول:  
النصيحة لغة: هي الخالص من العمل، ناصح مناصحة (نصح نفسه بالتوبة: أخلصها، نصح الشيء نصحاً: خلص).

النصيحة اصطلاحاً: أن تخلص الإرشاد من يستحقه.  
ولكي لا يلتبس المعنى على البعض عندما يقرأ (نصح لله، النصيحة لله ولرسوله .... الخ) فنقول:

المراد هنا نصح معه: أي أخلص معه في طاعته وانقياده وامثال أوامره والانتهاز عن نواهيه.

وأما النصيحة للمسلمين هي الإخلاص في الإرشاد أو في التعامل معهم.  
فإذا وزنا سلوك الإنسان مع ربه ومع أخيه المؤمن نجد أن هذا الإخلاص في فعله

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٨.

وقوله ما هو إلا دلالة على حبه لربه أو لأخيه، فمن كان محباً كان ناصحاً ومن كان ناصحاً كان محباً ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما أَخْلَصَ الْمَوَدَّةَ مَنْ لَمْ يَنْصَحْ»<sup>(١)</sup>.

وإذا أراد الإنسان أن ينال محبة الطرف الآخر فما عليه إلا أن يكون ناصحاً له في كل ما تصح فيه النصيحة، وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«النَّصِيحَةُ تُثْمِرُ الْوُدَّ»<sup>(٢)</sup>.

### النصيحة لمن؟

بعد أن عرفنا النصيحة وعرفنا دلالاتها على المحبة، بل وتثمر المحبة أيضاً، صار لا بد من معرفة من له الحق علينا في النصيحة، وهذا ما ستقدمه في العرض الآتي:

#### ١- النصيحة لله تعالى:

قلنا إن النصيحة لله تعالى هي الإخلاص له في الطاعة والانقياد، وإتيان ما يجب واجتناب ما يكره، وهذه النصيحة لا تعود على الله تعالى بالنفع والفائدة لغناه عن طاعة من أطاعه، إلا أننا نجد أن الله تعالى يؤكد على هذه النصيحة بل يجعلها من أحب العبادات إليه تعالى كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَحَبُّ مَا تَعَبَّدَ لِي بِهِ عَبْدِي، النَّصْحُ لِي»<sup>(٣)</sup>.

وما هذا التأكيد إلا لكي ينتفع العبد الناصح بذلك فإن دل على شيء فإنما يدل على لطف الله تعالى ورحمته بعباده.

(١) مستدرک الوسائل، الميرزا النوري: ج ١٢، ص ٤٣٣، ح ١٤٥٤٠. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٣، ح ٢٠١٣٧. غرر الحكم: ح ٩٥٨٠.

(٢) غرر الحكم: ٨٤٤. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٣، ح ٢٠١٤٣.

(٣) الترغيب والترهيب: ج ٢، ص ٥٧٧، ح ١٦. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٢، ح ٢٠١٣١.

## ٢- النصيحة لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم :

ومعنى النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الالتزام بشريعته بعد الإيمان به والتصديق بما جاء به من عند الله العظيم، والحفاظ على دينه والدفاع عن بيضة هذا الدين، والمودة والمولاة لآله الطاهرين عليهم السلام والسير بآدابهم، وهذا ما أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم :

«مَنْ يَضْمَنْ لِي خُمُسًا أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ: النَّصِيحَةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِلدِّينِ اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِمَجَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(١)</sup>.

## ٣- النصيحة لكتاب الله تعالى :

وهذا يتجسد في تلاوته والالتزام بأحكامه وعدم هجره تلاوة وعملا، والتدبر فيه والتبرك بالنظر إليه، وتطهير الألسن والنفوس بآياته وعبره وحكمه وأمثاله وقصصه. وهذا أيضا ورد في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

«وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِلدِّينِ اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِمَجَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٢)</sup>.

## ٤- النصيحة للإمام بالحق :

التولي للإمام ولأوليائه والتبري من أعدائه، والاقتداء بهديه وسمته، والإقرار بحجته والدفاع عنه والاستشهاد بين يديه إذا استلزم الأمر ذلك هو عين النصيحة له، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُصْبِحْ وَيُمْسِ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِإِمَامِهِ وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

(١) مشكاة الأنوار: ص ٣١٠.

(٢) ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٢، ح ٢٠١٣٥.

(٣) الترغيب والترهيب: ج ٢، ص ٥٧٧، ح ١٧. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٢، ح ٢٠١٣٢.



## ٥- النصيحة لعامة المسلمين:

مؤازرتهم ومعاونتهم وإرشادهم ومعاشرتهم بالمعروف والاهتمام بأمرهم والدفاع عن مظلومهم هو ما أرشد إليه الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«وَالنَّصِيحَةُ لِمَجَامِعِ الْمُسْلِمِينَ».

## فوائد

إذا وجدت في شخص بعض هذه الصفات التي سنذكرها الآن فخذ بنصيحته إذا قدمها إليك وهي:

ألف: إذا أراد أن يحكم بين طرفين لا يحكم إلا بالحق دون أن يتأثر بنسب أو مال أو رابطة معينة كالديانة أو المذهبية أو الوطنية.

باء: إذا كان لغيره عليه حق لا يتوانى في إعطائه من نفسه.

جيم: لا يرضى لنفسه شيئاً دون غيره ولا يرضى لغيره إلا ما يرضاه لنفسه.

دال: لا يبغى ولا يظلم ولا يتجاوز حدود الله تعالى.

هذه الصفات ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أَمَّا عَلَامَةُ النَّاصِحِ فَأَرْبَعَةٌ: يَقْضِي بِالْحَقِّ، وَيُعْطِي الْحَقَّ، وَيُعْطِي الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ،

وَيَرْضَى لِلنَّاسِ مَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَعْتَدِي عَلَى أَحَدٍ»<sup>(١)</sup>.

- لا تنتظر من البخيل اللئيم والحاسد البغيض نصيحة ولا تعاتبهم على ذلك

لعدم فائدة العتاب معهم، فإن هذين الصنفين من الناس لا يحركهما إلا الطمع أو

الخوف وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(١) تحف العقول: ص ٢٠. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٤، ح ٢٠١٥٥.

«لَا يَنْصَحُ النَّصِيحُ أَحَدًا إِلَّا عَنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ، فَإِذَا زَالَتِ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ»<sup>(١)</sup>.

وأشار إلى الصنف الثاني (الحاسد) إمامنا الصادق عليه السلام بقوله:  
«النَّصِيحَةُ مِنَ الْحَاسِدِ مُحَالٌ»<sup>(٢)</sup>.

- قد يتلبس بعض السعادة النمامين والمفرقين بين الناس بلباس الناصحين وهم أكثر الناس غشاً فاحذرهم وهذا هو معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه وعهده للمالك الأشتر رضي الله عنه فجاء:

«وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ»<sup>(٣)</sup>.

#### - لا تنس نفسك

تقدم الكلام أن النصيحة الحقبة التي لا غش فيها ولا تلكاً ولا غاية فاسدة هي ما كانت لله تعالى ولرسوله ولكتابه وللإمام الحق ولعامة المسلمين، ولكي تصدر النصيحة من العبد لما ذكرنا لا بد أن يكون صاحب النصيحة ذا نفس مؤمنة مطيعة منقادة لله تعالى ولرسوله وهذا لا يتم إلا من رجل ينصح نفسه قبل غيره كما صرح بذلك أمير المؤمنين بقوله:

«مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ كَانَ جَدِيرًا بِنُصْحِ غَيْرِهِ، مَنْ غَشَّ نَفْسَهُ كَانَ أَغَشَّ لِغَيْرِهِ»<sup>(٤)</sup>.

ولكي يتضح هذا الترابط بين النصيحة وبين العبد المطيع لربه نذكر قول الإمام

(١) غرر الحكم: ص ١٠٩١٠. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥، ح ٢٠١٥٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٩٤، ح ٩. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥، ح ٢٠١٥٧.

(٣) لهج البلاغة: الكتاب ٣١. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥، ح ٢٠١٦١.

(٤) غرر الحكم: ٩٠٤٣، ٩٠٤٤. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥، ح ٢٠١٦٥.

أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ أَنْصَحَهُمْ لِنَفْسِهِ، وَأَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ»<sup>(١)</sup>.

فمن أراد أن يكون ناصحاً لنفسه لابد أن يكون من المطيعين، فالمطيع هو الناصح الحقيقي والعاصي هو الغاش لنفسه كما ورد في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغْشَاهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ»<sup>(٢)</sup>.

ومن كان ناصحاً لله تعالى ولرسوله ولنفسه رزقه الله تعالى القناعة والرضا بما ناله من هذه الدنيا الفانية، ورزقه في الآخرة برضوان ينجيهِ من عذابها ولذا ذكر الإمام الصادق عليه السلام قوله هذا:

«مَا نَاصَحَ اللَّهُ عَبْدٌ مُسْلِمٌ فِي نَفْسِهِ، فَأَعْطَى الْحَقَّ مِنْهَا وَأَخَذَ الْحَقَّ لَهَا، إِلَّا أُعْطِيَ خَصْلَتَيْنِ: رِزْقًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقْتَعُ بِهِ وَرِضًى عَنِ اللَّهِ يُنْجِيهِ»<sup>(٣)</sup>.

### - أسئلة مهمة -

السؤال: من هو الذي لا ينتفع بالنصيحة؟

الجواب: ذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أصنافاً من الناس لا تهمهم النصيحة ولا ينتفعوا بها:

ألف: الفاسد الذي يلتذ بفضيحته ولا يهتم بما قيل فيه وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«كَيْفَ يَنْتَفِعُ بِالنَّصِيحَةِ مَنْ يَلْتَذُّ بِالْفَضِيحَةِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) غرر الحكم: ٣٥١٥. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥، ح ٢٠١٦٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٦. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥، ح ٢٠١٦٣.

(٣) الخصال: ٤٦ - ٤٧. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٥ - ٤٣٢٦، ح ٢٠١٦٦.

(٤) غرر الحكم: ٧٠٠٨. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٦، ح ٢٠١٦٩.

باء: من لا عقد له سواء كان مجنوناً أو أحمقاً أو جاهلاً جهلاً مركباً، فلذا قال الإمام السجاد عليه السلام عن الأحمق الذي لا يهتم بالنصيحة:

«إن تكلم فضحه حقه. وإن سككت قصر به عيه، وإن عمل أفسد، وإن استرعى أضاع، لأعلمه من نفسه يغنيه، ولا علم غير ينفعه، ولا يطيع ناصحه، ولا يستريح مقارنه، تود أمه أنها ثكلته، وامراته أنها فقدته، وجاره بعد داره، وجليسه الوحدة من مجالسته، إن كان أصغر من في المجلس أعى من فوقه، وإن كان أكبرهم أفسد من دونه»<sup>(١)</sup>.

وتكلم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يصف الجاهل بالجهل المركب الذي لا يقبل قولاً ولا موعظة ولا نصيحة فقال:

«إن الجاهل من عدّ نفسه بما جهل من معرفة العلم عالماً وبرأيه مكثفياً فما يزال من العلماء مباعداً وعليهم زارياً ولن خالفه مخطئاً ولن لم يعرف من الأمور مضللاً وإذا ورد عليه من الأمر ما لا يعرفه أنكره وكذب به وقال بجهالته: ما أعرف هذا، وما أراه كان، وما أظن أن يكون، وإنى كان، ولا أعرف ذلك لثقت برأيه وقلة معرفته بجهالته»<sup>(٢)</sup>.

السؤال: ممن نأخذ النصيحة؟

الجواب: نصحنّا الإمام عليه السلام أن نأخذها مما يلي:

ألف: إن أفضل ناصح وأكمل نصيحة هي نصيحة الله تعالى لعبده فلذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَنَّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَّقَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) الأماي للشيخ الطوسي: ص ٦١٤، ح ٤/١٢٦٨.

(٢) الآداب والأخلاق الإسلامي لعبد الله الهاشمي: ص ٦٩٥.

(٣) فتح البلاغة: الخطبة ١٤٧. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٦، ح ٢٠١٧٢.

باء: وأن كتاب الله تعالى القرآن الكريم هو خير ناصح لا يغش ويظل وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«اتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ. واقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ... واعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغْشُ... واستَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَغِيثُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

جيم: هناك من يمين علينا بمبادرة منه فيهب لنا نصيحته لتتدبرها بعقولنا ثم نعمل بما بعد التأكد من صوابها وهذا ما أشار إليه مولى المتقين عليه السلام بقوله:

«اسْمَعُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاها إِلَيْكُمْ، واعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

ورد أيضا عن أمير المؤمنين عليه السلام أن:

«لَا نَأْخُذُ النَّصِيحَةَ مِنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا أَصْلَ.... الخ».

السؤال: ما هي آثار قبول النصيحة أو عدم قبولها؟

الجواب: ألف/ إن لقبول النصيحة آثارا جميلة أوردتها أمير المؤمنين عليه السلام بالأحاديث الآتية:

١- قال الإمام علي عليه السلام:

«مَنْ نَصَحَكَ فَقَدْ نَجَّدَكَ»<sup>(٣)</sup>.

٢- وعنه عليه السلام:

«مَنْ قَبِلَ النَّصِيحَةَ أَمِنَ مِنَ الْفَضِيحَةِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح البلاغة: الخطبة ١٧٦. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٦، ح ٢٠١٧١.

(٢) غرر الحكم: ٢٤٩٤. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٧٤.

(٣) غرر الحكم: ٧٧٦٧. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٨١.

(٤) غرر الحكم: ٨٣٤٤. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٨٢.

٣- وعنه عليه السلام :

«مِنْ أَكْبَرِ التَّوْفِيقِ الْإِخْذُ بِالنَّصِيحَةِ»<sup>(١)</sup>.

٤- وعنه عليه السلام :

«مَنْ أَقْبَلَ عَلَى النَّصِيحِ أَعْرَضَ عَنِ الْقَبِيحِ، مَنْ اسْتَعَشَّ النَّصِيحَ غَشِيَتْهُ الْقَبِيحُ»<sup>(٢)</sup>.

### - وقفة وتأمل

لتأمل في هذه الدرر التي فاض بها علينا سيد الأوصياء عليه السلام فنجده يؤكد على قبول نصيحة الناصح لما فيها من نجاة وخلص من براثن الشيطان وعثرات النفس، ولما فيها من دفع للفضيحة بين الناس التي ستلحق الضرر الكبير بسمعتنا ومنزلتنا في الدنيا وتحجب عنا رضا ربنا ورضوانه في الآخرة.

باء/ ومن ترك التمسك بالنصيحة ظل وهوى، وأدخل السرور على أعدائه والحزن على أحبائه، فلذا قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«مَنْ خَالَفَ النَّصِيحَ هَلَكَ»<sup>(٣)</sup>.

وعنه عليه السلام :

«مَنْ عَصَى نَصِيحَةَ نَصْرَ ضِدِّهِ»<sup>(٤)</sup>.

وعنه عليه السلام :

«مَنْ أَعْرَضَ عَنِ نَصِيحَةِ النَّاصِحِ أَحْرَقَ بِمَكِيدَةِ الْكَاشِحِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) غرر الحكم: ٩٣٠٥. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٨٣.

(٢) غرر الحكم: ٨٦٨٣. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٨٥.

(٣) غرر الحكم: ٧٧٤٣. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٧٩.

(٤) غرر الحكم: ٨٣٥٥. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٨٠.

(٥) غرر الحكم: ٨٦٩٧. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٣٢٧، ح ٢٠١٨٦.

## بحث عقائدي

### الحياة البرزخية

بعد أن أوصى الإمام الحسين عليه السلام بالتقوى وحذر الناس من أيام الله تعالى فما بخطبته على بيان نزول ريب المنون ومرارته واستيلائه على مهج القلوب ووقوفه حاجبا بين العمل وبين صاحبه فينقطع العبد عن الدنيا ليبدأ يومه الأول في آخرته فيأخذ بقوانين النشأة الأخرى، وأدلى مراحل هذه النشأة هي الحياة البرزخية. قبل أن نخوض في تفاصيل هذه الحياة لا بد لنا من معرفة البرزخ لغة واصطلاحاً.

البرزخ في اللغة: الحاجز بين شيئين<sup>(١)</sup>.

البرزخ في الاصطلاح: جاء عن الجرجاني<sup>(٢)</sup>، البرزخ: هو العالم المشهور بين عالم المعاني المجردة والأجسام المادية، وعرفه أهل البيت عليهم السلام بأنه أمر بين أمرين كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

ورد في تفسير نور الثقلين عن علي بن إبراهيم: البرزخ هو أمر بين أمرين، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة، وهو قول الصادق عليه السلام: «والله، ما أخافُ عليكم إلا البرزخ»<sup>(٣)</sup>.

وحده الإمام الصادق عليه السلام بكلام صريح بقوله:

«والله، أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ فِي الْبَرْزَخِ!»

قلت: وما البرزخ؟ فقال:

الْقَبْرُ مِنْذُ حِينَ مَوْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

(١) المعجم الوسيط: ص ٤٩.

(٢) التعريفات للجرجاني: ص ٣١.

(٣) تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٥٥٣، ح ١٢٠. ميزان الحكمة: ج ١، ص ٣٣٦، ح ١٦٨١.

### أحوال البرزخ

تقدم الحديث أن البرزخ هو ما سيكون عليه العبد في القبر الذي يضمه منذ موته إلى حين نشوره وقيامته، فإذا نزل العبد في ذلك المكان الموحش المظلم الضيق انقطع عن عالم الدنيا وما فيها من الأحبة والأموال والمناصب والعناوين الوقتية والجاه العريض، فيصرح دون أن يسمعه أحد، وينادي فلا يجيبه مجيب، فتبدأ أحوال القبر من ضمة القبر إذ إن القبر يضم صاحبه إذا كان عاصياً ضمة فتتلاقى أضلاعه كما ورد ذلك في الروايات الشريفة فلقد جاء في كتاب الأمالي للشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

«أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له: إن سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقام أصحابه معه.

فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلما أن حنط وكفن وحمل على سريره تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا حذاء ولا رداء.

ثم كان يأخذ يمينه السرير مرة ويسرة السرير مرة حتى انتهى به إلى القبر فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحده وسوى اللبن عليه، وجعل يقول: ناولوني حجراً، ناولوني تراباً رطباً يسد به ما بين اللبن.

فلما أن فرغ وحنأ التراب عليه وسوى قبره، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لأعلم أنه سيبلى ويصل البلى إليه؛ ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه، فلما أن سوى التربة عليه قالت أم سعد: يا سعد هنيئاً لك الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أم سعد! مه، لا تجزمي على ربك، فإن سعداً قد أصابته ضمة.

قال: فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجع الناس؛ فقالوا له: يا رسول الله



لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنك تبتع جنازته بلا رداء، ولا حذاء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء، فتأسيت بها.

فقالوا: وكنت تأخذ يمينه السرير مرة وسرة السرير مرة، قال: كانت يدي في يد جبريل آخذ حيث يأخذ، قالوا: أمرت بغسله وصليت على جنازته ولحدته في قبره ثم قلت: إن سعداً قد أصابته ضمة! قال: فقال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم إنه كان في خلقه مع أهله سوء<sup>(١)</sup>.

فإن هذه الضمة التي تصيب الميت هي تطهير له لكي يخرج إلى القيامة نظيفاً من بعض الذنوب كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن علي عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان من تضييع النعم»<sup>(٢)</sup>.

ثم يلي ضمة القبر سؤال منكر ونكير فيسألان العبد أسئلة عديدة فيكون بعدها إما فائزاً أو هو من الخاسرين نتيجة لأجوبته وهذا ما ذكره لنا صاحب الأمالي فقال:

عن موسى بن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال:

«إذا مات المؤمن شيعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أدخل قبره أتاه منكر ونكير فيتعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مد بصره، ويأتياه بالطعام من الجنة، ويدخلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عز وجل:

(١) تسلية الغواد في بيان الموت والمعاد، السيد عبد الله شير: ص ٨٥ - ٨٦.

(٢) تسلية الغواد لعبد الله شير: ص ٨٦.

﴿قَالَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرَيْنَ ﴿٨٨﴾ فَرَّوْحٌ وَرَمَحَانُ﴾<sup>(١)</sup>.

يعني في قبره.

﴿وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

يعني في الآخرة.

ثم قال عليه السلام:

إذا مات الكافر شيعة سبعون ألفاً من الزبانية إلى قبره، وإنه ليناشد حامله بصوت يسمعه كل شيء إلا الثقلان ويقول: لو أن لي كرة فأكون من المؤمنين، ويقول: أرجعون لعلني أعمل صالحاً فيما تركت، فتجيبه الزبانية: كلا إنها كلمة أنت قائلها، ويناديهم ملك: لورد لعاد لما نهى عنه، فإذا أدخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة؛ فيقيمانه ثم يقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيتلجلج لسانه ولا يقدر على الجواب، فيضربانه ضربة من عذاب الله يذعر لها كل شيء ثم يقولان له:

من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان له: لا دريت ولا هديت ولا أفلحت، ثم يفتحان له باباً إلى النار وينزلان إليه الحميم من جهنم وذلك قول الله عز وجل:

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ فَتُرْلَمَنَّ فِي الْحَمِيمِ﴾<sup>(٣)</sup>.

يعني في القبر

﴿وَنَصْلُهُ جَحِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٨ و ٨٩.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٨٩.

(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٢ و ٩٣.

(٤) سورة الواقعة، الآية: ٩٤.

يعني في الآخرة»<sup>(١)</sup>.

هذه الحالة التي يمر فيها الميت هي مرحلة سابقة لمرحلة البرزخ، أي عندما يودّع الإنسان هذه الدنيا وينتقل إلى عالم الآخرة يكون في يومه الآخر من أيام الدنيا والأول من أيام الآخرة فيتجسم له ما كان مهتما به أشد الاهتمام ألا وهو المال والأولاد والعمل فعندها تحصل المحاورة التي تزلزل القلوب وتدمع العيون ويطير لها اللب، وهذا ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في الكافي مسنداً عن سويد بن غفلة قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«إن ابن آدم إذا كان في آخريوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة مثل له ماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنني كنت عليك حريصاً شحيحاً فما لي عندك؟ فيقول: خذ مني كفنك.

قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: والله إنني كنت لكم محباً وإنني كنت عليكم محامياً فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها.

قال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إنني كنت فيك لزاهداً وإن كنت علي لثقيلاً فماذا لي عندك، فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك.

قال: فإن كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأحسنهم رياشاً، فقال: أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك خير مقدم، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عمك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنة وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله»<sup>(٢)</sup>.

(١) أمالي الصدوق: ص ١٧٤. تسلية الفؤاد، لعبد الله شير: ص ٨٧ - ٨٨.

(٢) الكافي: ج ٣، ص ٢٣١. تسلية الفؤاد، عبد الله شير: ص ٨٩ - ٩٠.

ففي هذه الرواية يكون العمل مجملاً لصاحبه.

وهناك ما يدل على تجسم الأعمال تفصيلياً، أي أن الصلاة تتجسم بصورة والصوم بصورة أخرى والزكاة بصورة ثالثة وهكذا فلذا ذكر في المحاسن عن أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام قال :

«إذا مات العبد المؤمن دخلت معه في قبره ست صور، فيهن صورة أحسنهن وجهاً، وأبهأهن هينة، وأطيبهن ريحاً وأنظفهن صورة، قال: فتقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجله، وتقف التي هي أحسنهن فوق رأسه، فإن أتى عن يمينه منعتة التي عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يوتى من الجهات الست، قال: فتقول أحسنهن صورة: من أنتم جزاكم الله عني خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجله: أنا بر من وصلت من إخوانك، ثم يقلن: من أنت، فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأبهأنا هينة؟ فتقول: أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين»<sup>(١)</sup>.

عندما تقرأ الروايات التي تتحدث عن أحوال البرزخ تقف مذهولاً فهناك رواية تشير إلى أن المؤمن مهما بلغ إيمانه ودرجته لا بد له من ضمة القبر لمعصية لم يتب منها وهذا ما حصل لسعد بن معاذ كما جاء في الرواية السابقة الذكر ففي هذه الرواية نجد أن سعداً شيعته الملائكة وعلى رأسهم جبرئيل عليه السلام وحمله سيد الكائنات صلى الله عليه وآله وسلم على عاتقه الشريف وتولى أمر تنزيله في القبر ووضعه في مخلودة قبره وسوى عليه التراب بيده الشريفة إلا أنه لم ينج من ضمة القبر بسبب غلظة مع أهله.

(١) المحاسن: ص ٢٨٨. تلمية الفؤاد، عبد الله شير: ص ٩٣.

### أسئلة مهمة

السؤال: هل هناك من ينجو من ضغطة القبر؟

الجواب: ورد في الروايات أن الناجين من ضغطة القبر قليلون جداً وهذا ما أكدته الإمام الصادق عليه السلام في الكافي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

أيفلت من ضغطة القبر أحد؟، قال، فقال عليه السلام:

«نعوذ بالله منها، ما أقل من يفلت من ضغطة القبر إن رقية لما قتلها عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبرها، فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس:

إني ذكرت هذه وما لقيت فرقت لها واستوهبتها من ضمة القبر قال: فقال اللهم هب لي رقية من ضمة القبر فوهبها الله له»<sup>(١)</sup>.  
وهم كالآتي:

ألف: من شفع فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد الأئمة عليهم السلام كما في تكملة الرواية السابقة فيقول:

إن رقية لما قتلها عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبرها، فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس:

إني ذكرت هذه وما لقيت فرقت لها واستوهبتها من ضمة القبر قال: فقال اللهم هب لي رقية من ضمة القبر فوهبها الله له»<sup>(٢)</sup>.

باء: من مات في وقت شريف من أيام الأسبوع وهو يوم الجمعة ينجو من هذه

(١) الكافي: ج ٣، ص ٢٦٣. تسليمة الفؤاد، عبد الله شير: ص ٩٤.

(٢) الكافي: ج ٣، ص ٢٦٣. تسليمة الفؤاد، عبد الله شير: ص ٩٤ - ٩٥.

الضغطة المخيفة كما في الرواية الآتية، في محاسن البرقي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

«من مات يوم الجمعة كتب الله له براءة من ضغطة القبر»<sup>(١)</sup>.

بل في رواية أخرى هناك توسعة في الوقت مما أشارت إليه الرواية السابقة وهذا ما أشارت إليه الرواية :

«من مات ما بين زوال الشمس يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاده الله من ضغطة القبر»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية ثالثة أن لليلة الجمعة أو يومها دوراً كبيراً في رفع عذاب القبر كله بما فيه ضغطة القبر وهذا ما ذكره الإمام أبو جعفر عليه السلام بقوله :

«بلغني أن النبي قال: من مات يوم الجمعة أوليلة الجمعة دفع عنه عذاب القبر»

جيم : وسنذكر بعض الأعمال التي تساعد على النجاة من ضغطة القبر وهي كما يلي :

(الأول : روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

«مَنْ قَرَأَ سُورَةَ النَّسَاءِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ أَوْ مِنْ مَنْ ضَغَطَةَ الْقَبْرِ»<sup>(٣)</sup>.

الثاني : روي :

«مَنْ أَدَمَّنَ قِرَاءَةَ (حَم) الزَّخْرَفِ آمَنَهُ اللَّهُ فِي قَبْرِهِ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ وَضَغَطَةِ الْقَبْرِ»<sup>(٤)</sup>.

الثالث : روي :

(١) المحاسن : ص ٥٨. تسلية الفؤاد، عبد الله شير: ص ٩١ - ٩٢.

(٢) أمالي الصدوق : ص ١٦٩، تسلية الفؤاد، عبد الله شير: ص ٨٦.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق : ص ١٣١. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي : ص ٦٢.

(٤) ثواب الأعمال للصدوق : ص ١٤١. نقله في البحار: ج ٨٧، ص ٢، ح ٣.

«مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (ن) وَالْقَلَمِ فِي فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ... أَعَاذَهُ اللَّهُ إِذَا مَاتَ مِنْ ضَمَةِ الْقَبْرِ»<sup>(١)</sup>.

الرابع: رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ مَاتَ مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ إِلَى زَوَالِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ»<sup>(٢)</sup>.

الخامس: رُوي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«عَلَيْكُمْ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ، فَمَا مِنْ عَبْدٍ يَقُومُ آخِرَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، وَرَكَعَتِي الشَّفْعِ، وَرَكَعَةَ الْوُتْرِ، وَاسْتَغْفِرَ اللَّهَ فِي قَنَوْتِهِ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلَّا أُجِرَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمُدَّ فِي عَمْرِهِ، وَوَسِعَ عَلَيْهِ فِي مَعِيشَتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

السادس: روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ قَرَأَ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرَ عِنْدَ النَّوْمِ وَفِي مِثْقَلِ الْقَبْرِ»<sup>(٤)</sup>.

السابع: قراءة دعاء:

(أَعَدَدْتُ لِكُلِّ هَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...).

الثامن: الدفن في النجف الأشرف، فمن خواص هذه التربة الشريفة أنها تُسْقِطُ

عَذَابَ الْقَبْرِ وَحِسَابَ مَنْكَرٍ وَنَكِيرٍ عَنْ مَنْ يَدْفَنُ فِيهَا<sup>(٥)</sup>.

التاسع: من الأمور النافعة لرفع عذاب القبر وضع جريدتين رطبتين مع الميت.

(١) ثواب الأعمال: ص ١٤٧. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٦٣.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٢٣١. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٦، ص ٢٢١، ح ١٧.

(٣) روضة الواعظين للنيسابوري: ج ٢، ص ٣٢٠. بحار الأنوار: ج ٨٧، ص ١٦١.

(٤) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٥٣. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٦، ص ٢٠٠، ح ١٤.

(٥) إرشاد القلوب للشيخ الديلمي: ص ٤٣٩. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٦٤.

وروي : أنه يتجافى عنه العذاب ما دامت رطبة.

وروي أيضا :

(مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبر يُعَذَّب صاحبه، فدعا بجريدة فشققها نصفين، فجعل واحدة عند رأسه، والأخرى عند رجله، وأنه قيل له : لم وضعتها؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

«إنه يخفف عنه العذاب ما كانتا خضراوين»<sup>(١)</sup>.

ومن النافع أيضاً صبّ الماء على القبر لما ورد أن العذاب يرفع عن الميت ما دام القبر رطباً<sup>(٢)</sup>.

العاشر : في أول يوم من رجب.

(تصلي عشر ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرّة، وقل هو الله أحد ثلاث مرات... وراك الله فتنة القبر وعذاب يوم القيامة)<sup>(٣)</sup>.

(ويصلي في الليلة الأولى من رجب بعد صلاة المغرب عشرين ركعة بالحمد والتوحيد، فإنها نافعة في رفع عذاب القبر)<sup>(٤)</sup>.

الحادي عشر : أن تصوم أربعة أيام من شهر رجب<sup>(٥)</sup>.

وكذلك صوم اثني عشر يوماً من شعبان<sup>(٦)</sup>.

الثاني عشر : ومن الأمور الموجبة للنجاة من عذاب القبر قراءة سورة الملك فوق

(١) الفقيه : ج ١، ص ١٤٤، ح ٤٠٢. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي : ص ٦٦.

(٢) الكافي : ج ٣، ص ٢٠٠، ح ٦.

(٣) الإقبال لابن طاووس : ص ٦٣٧.

(٤) الإقبال لابن طاووس : ص ٦٢٩.

(٥) ثواب الأعمال للصدوق : ص ٧٩. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي : ص ٦٧.

(٦) ثواب الأعمال للصدوق : ص ٨٧. الأمالي للصدوق : ص ٣٠.



قبر الميت كما روى ذلك القطب الراوندي عن ابن عباس قال:

(إن رجلاً ضرب خباءه على قبر ولم يعلم أنه قبر، فقرأ تبارك الذي بيده الملك، فسمع صائحاً يقول: هي المنجية.

فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:

«هي المنجية من عذاب القبر»<sup>(١)</sup>.

وروى الشيخ الكليني عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر»<sup>(٢)</sup>.

الثالث عشر: في دعوات الراوندي نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ما من أحد يقول عند قبر ميت إذا دفن ثلاث مرّات: (اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد أن لا تُعَذِّبَ هذا الميت) إلّا دفع الله عنه العذاب إلى يوم ينفخ في الصور»<sup>(٣)</sup>.

الرابع عشر: روى الشيخ الطوسي في (مصباح المتعبد) عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«مَنْ صَلَّى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فيهما بفتح الكتاب وإذا زلزلت الأرض زلزالها خمس عشرة مرّة آمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.

الخامس عشر: ومن النافع فعله لرفع عذاب القبر صلاة ثلاثين ركعة في ليلة

(١) الدعوات للقطب الراوندي: ص ٢٧٩. ح ٨١٧. س.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٦٣٣، ح ٢٦. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٦٨.

(٣) الدعوات للقطب الراوندي: ص ٢٧٠، ح ٧٧٠. بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ٥٤، ح ٤٣.

(٤) مصباح المتعبد: ص ٢٢٨.

النصف من رجب يقرأ في كل ركعة الحمد مرة والتوحيد عشر مرات<sup>(١)</sup>.

وكذلك في الليلة السادسة عشرة<sup>(٢)</sup> والليلة السابعة عشرة<sup>(٣)</sup> من رجب.

وكذلك أن يصلي في الليلة الأولى من شعبان مائة ركعة بالحمد والتوحيد، وبعد أن يفرغ من الصلاة يقرأ التوحيد خمسين مرة<sup>(٤)</sup>.

وكذلك يصلي في الليلة الرابعة والعشرين من شعبان ركعتين يقرأ في كل ركعة الحمد مرة، وإذا جاء نصر الله عشر مرات<sup>(٥)</sup>.

وورد ليوم النصف من رجب صلاة خمسين ركعة بالحمد والتوحيد والفلق والناس، فإنها نافعة لرفع عذاب القبر<sup>(٦)</sup>.

ومثلها صلاة مائة ركعة ليلة عاشوراء<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>.

السؤال: هل يعذب المصلوب عذاب القبر لاسيما ضغطة القبر؟

الجواب: أجاب على ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

روى علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس قال: سألته عن المصلوب يعذب عذاب القبر؟ قال: فقال:

«نعم إن الله عز وجل يأمر الهواء أن يضغطة»<sup>(٩)</sup>.

(١) إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٦٥٢.

(٢) إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٦٦٤.

(٣) إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٦٦٥.

(٤) إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٦٨٣. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٦٩.

(٥) إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٧٢٢.

(٦) إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٦٥٨. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٧٠.

(٧) إقبال الأعمال لابن طاوس: ص ٥٥٥ - ٥٥٦.

(٨) منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٦٢ - ٧٠.

(٩) الكافي للكليني: ج ٣، ص ٢٤١، برقم ٤٧٢٨ - ١٦.

وفي رواية أخرى، سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المصلوب يصيبه عذاب القبر فقال :

«إن رب الأرض هو رب الهواء فيوحى الله عز وجل إلى الهواء فيضغطه ضغطة أشد من ضغطة القبر»<sup>(١)</sup>.

ويستشف من هذه الرواية أن الميت يتعذب بعذاب القبر وإن لم يكن له قبر ترابي بحسب الظاهر، ولا يقتصر العذاب على ضغطة القبر بل يتعداه إلى غيره بدليل أن السائل الذي سأل الإمام عليه السلام عن عذاب القبر مطلقاً فلم ينفِ الإمام عليهم السلام العذاب عن الميت المصلوب وإنما أشار إلى الضغطة من باب ذكر مصداق من مصاديق العذاب، أو لعل الإمام عليه السلام دفع إشكالاً مقدراً في ذهن السائل وهو (كيف يضغط المصلوب ولم يكن له قبر من تراب) فرد عليه بأنه يضغط بالهواء.

السؤال : من هو الذي يتعرض لسؤال منكر ونكير، أجميع الناس يسألون أم هناك فئة دون أخرى؟

الجواب : هناك ثلاثة أصناف من الناس، صنف محض الإيمان محضاً أي كان مؤمناً في أعلى درجات الإيمان وأرقى رتب المؤمنين، وصنف آخر محض الكفر، وصنف ثالث هو الصنف الذي بين هؤلاء وأولئك، وكذلك الحال مع المستضعفين والبلهاء والأطفال وأبناء المسلمين الذين لم يبلغوا سن الرشد.

فلذا لا يُسأل إلا الصنف الأول والثاني فقط ولُغِيَ عن الصنف الثالث وهذا ما أكدته الكثير من الروايات كما في قول الإمام الصادق عليه السلام :

ورد في الكافي عن محمد بن مسلم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام :

«لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق : برقم ٤٧٢٩ - ١٧ .

(٢) الكافي : ج ٣، ص ٢٣٦ . تسليمة الفؤاد، السيد عبد الله شير : ص ١٠١ .

وعن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، والآخرون

يلهون عنهم»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن بكير عن أبي جعفر عليه السلام، وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد

الله عليه السلام قالاً:

«إنما يسأل في قبره من محض الإيمان محضاً أو الكفر محضاً، وأما ما سوى ذلك

فيلهى عنهم»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي بكر الحضرمي قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام: من المسؤولون في

قبورهم؟ قال:

«من محض الإيمان ومن محض الكفر».

قال: قلت: فبقية هذا الخلق؟ قال:

«يلهى والله عنهم ما يعبا بهم»<sup>(٣)</sup>.

وينسجم هذا القول مع قوله تعالى:

﴿وَالْآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

السؤال: هل أن أرواح المؤمنين والكفار تزور أهلها بعد الموت؟

الجواب: ورد في الكافي أن المؤمنين والكفار على حد سواء يزورون أهلهم في

أوقات معينة وبصورة العصفور أو أقل منه فيرون أهلهم، فأما المؤمنون يرجعون في فرح

(١) الكافي: ج ٣، ص ٢٣٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكافي: ج ٣، ص ٢٣٧. تسلية الفؤاد، السيد عبد الله شير: ص ١٠١ - ١٠٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٦.

وسرور لما رأوا من حسن حال دين أهلهم، وأما الكفار فإنهم يرون أهلهم ويرجعون  
إمّا بحسرة عندما يرون أن أهلهم يعملون بالصالحات وإما في حزن عندما يرونهم بشر  
وحاجة، ويزور الأموات أهلهم عند زوال الشمس، ولكن المؤمنين يؤذن لهم بالزيارة  
أكثر من مرة في الأسبوع وعلى قدر فضلهم وهذا ما أشارت إليه الروايات الآتية:

روى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده (عن الصادق عليه السلام قال:

«إنّ المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحب ويسترعنه ما يكره وإنّ الكافر ليزور  
أهله فيرى ما يكره ويسترعنه ما يحب.

قال:

ومنهم من يزور كل جمعة، ومنهم من يزور على قدر عمله»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام قال:

«ما من مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتى أهله عند زوال الشمس، فإذا رأى أهله  
يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون  
بالصالحات كانت عليه حسرة»<sup>(٢)</sup>.

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: سألته عن الميت  
يزور أهله؟ فقال:

«نعم»

فقلت: في كم يزور؟ قال:

في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته.

فقلت: في أي صورة يأتيهم، قال:

---

(١) الكافي: ج ٣، ص ٢٣٠.

(٢) المصدر السابق.

في صورة طائر لطيف يسقط على دارهم ويشرف عليهم فإن رآهم بخير فرح وإن رآهم بشراً وحاجة وحزن اغتم»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الرحيم القصير قال: قلت له: المؤمن يزور أهله؟ قال:

«نعم، يستأذن ربه فيأذن له فيبعث معه ملكين فيأتهم في بعض صور الطير يقع في داره ينظر إليهم ويسمع كلامهم»<sup>(٢)</sup>.

عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: يزور المؤمن أهله؟ فقال:

«نعم»

فقلت: في كم؟ قال:

على قدر فضائلهم، منهم من يزور في كل يوم؛ ومنهم من يزور في كل يومين، ومنهم من يزور في كل ثلاثة أيام.

قال: ثم رأيت في مجرى كلامه يقول:

أدناهم منزلة يزور كل جمعة.

قال: قلت في أي ساعة؟ قال:

عند زوال الشمس ومثل ذلك.

قال: قلت في أي صورة؟ قال:

في صورة العصفور وأصغر من ذلك، ويبعث الله عز وجل معه ملكاً فيريه ما يسره ويستتر عنه ما يكره، فيرى ما يسره ويرجع إلى قرة عين»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكافي: ج ٣، ص ٢٣١. تسلية الفؤاد، عبد الله شبر: ص ١١٤ - ١١٥.

### تذكير

لا أظن أن القارئ الكريم قد يغفل عن تكليفه بعدما قرأ هذه الروايات إلا أن الذكرى تنفع المؤمنين.

فأقول:

١- ليجتهد المؤمن في إدخال السرور على روح أمواته من خلال طاعته لله تعالى وتلبسه بالإيمان والعمل الصالح في آناء الليل وأطراف النهار وليكون سببا في إدخال السرور على المؤمن وينال بذلك ثواب من أدخل السرور على المؤمنين.

٢- لا ينسى المؤمن أن يتحف أمواته بشيء من الثواب ليرجع الميت إلى قبره بهديته فرحاً كما ورد في الرواية الشريفة:

جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما تصدرت ميت فياخذها ملك في طبق من نور ساطع ضوءها يبلغ سبع سماوات ثم يقوم على شفير الخندق (القبر) فنادي:

السلام عليكم يا أهل القبور، أهلكم أهدوا إليكم بهذه الهدية فياخذها ويدخل بها في قبره فتوسع عليه مضاجعة»<sup>(١)</sup>.

كما روي بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام:

(قال الراوي: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يصلى عن الميت؟ فقال:

«نعم حتى أنه ليكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق، ثم يؤتى فيقال له:

خفف عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك عنك».

قال: فقلت له: فأشركُ بين رجلين في ركعتين؟ قال:

«نعم...».

ثم قال عليه السلام :

«إن الميت ليفرح بالترحم عليه والاستغفار له كما يفرح الحي بالهدية تهدي إليه»<sup>(١)</sup>.

٣- لا يتوهم المؤمن بأن الثواب الذي يهديه إلى الميت هو ناشئ عن إطعام الطعام أو الصدقة المادية فقط ، وإنما هناك أنواع كثيرة من الثواب تأتي من جراء أعمال سهلة لا مؤنة فيها كإهداء ثواب (الصلوات على محمد وآله) وزيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام أو تلاوة القرآن أو الكلمة الطيبة مع الناس بل كل أعمال البر والخير والمعروف يمكن إهداء ثوابها إلى الموتى.

٤- ركعتان خفيفتان أحب إلى الميت من البكاء والنوح عليه كما ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مرّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقبر دفن فيه بالأمس إنسان وأهله يبكون فقال :

«ركعتان خفيفتان مما تحتفرون أحب إلى صاحب هذا القبر من دنياكم كلها»<sup>(٢)</sup>.

السؤال : ما هي المعاصي التي توجب عذاب القبر؟

الجواب :

ذكرت الروايات مجموعة من المعاصي توجب عذاب القبر للمؤمن ، كالنميمة وسوء الخلق مع الأهل وعدم النزّه من البول .... الخ ، وهذا ما تدلنا عليه الروايات الآتية :

(١) منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٧٤؛ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٨٣، وفيه بدل ثم قال: فقال.....

(٢) تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ٢٢٥.



١- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«استزها من البول، فإن عامة عذاب القبر منه»<sup>(١)</sup>.

٢- عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«عذاب القبر يكون من النمية والبول وعزب الرجل عن أهله»<sup>(٢)</sup>.

السؤال: ما هي الأعمال التي تدفع هول منكر ونكير؟

الجواب: جاء في الروايات أن الصورة التي يأتي فيها الملكان لصورة مهولة مرعبة ترتعد منها الفرائص وتخرس الألسن وتشبح العيون خائفة ويطير لها اللب، وهذا ما يصفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«إذا أقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما منكر ولآخر

نكير يقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً فيقول: هو عبد

الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقولان: قد

كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً، ثم ينور له

فيه، ثم يقال له: نعم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نعم كنومة العروس

الذي لا يوقظه إلا أحب أهله، حتى يبعثه الله من مضجعة ذلك، وإن كان

منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري!

فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التمتي عليه، فتلتئم عليه

فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيه معذباً حتى يبعثه الله من مضجعة ذلك»<sup>(٣)</sup>.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

(١) بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢٧٥. تسلية الفؤاد، عبد الله شير: ص ١٠٨.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٢، ص ٢٦٥، ح ١٠.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٦، ص ٢٧٦. تسلية الفؤاد، عبد الله شير: ص ١١٠.

«فإذا أدخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ومخدان الأرض بأقدامهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول:

الله ربي وديني الإسلام ونبيي محمد (صلى الله عليه وآله)، فيقولان له:

ثبتك الله فيما تحب وترضى، وهو قول الله عز وجل:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم يفسحان له في قبره مد بصره ثم يفتحان له بابا إلى الجنة، ثم يقولان له: نعم قريب العين، نوم الشاب الناعم فإن الله عز وجل يقول:

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

قال: وإن كان لربه عدوا فإنه يأتيه أقبح من خلق الله زيا ورؤيا وأنته ربحا فيقول له: أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وأنه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه فإذا أدخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه ثم يقولان له: من ربك وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري فيقولان: لا دريت ولا هديت، فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربة ما خلق الله عز وجل من دابة إلا وتذعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له بابا إلى النار.

ثم يقولان له: نعم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من النج حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وأنه ليتمنى قيام الساعة فيما هو فيه من الشر»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٤.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج ٣، ص ٢٣٣، ٤٧٠٨-١. تسلية الفؤاد، عبد الله شير: ص ٩٠.

فبعد أن اطلعت على وصف الملكين وهولهما لا بد من الاطلاع على الأعمال التي تنجي منهما ومن سؤالهما وهي كما يلي:

١- أن يلقن الميت بعد دفنه من قبل أحد أقربائه الشهادتين والعقائد الحقّة والولاية لأهل البيت عليهم السلام والاعتراف بإمامتهم والإقرار بالغيب.

٢- أداء الصلاة والزكاة والصبر بأنواعه تدافع عن صاحبها أشد الدفاع مع منكر ونكير.

٣- صيام شهر شعبان بل من صام تسعة أيام منه عطف عليه منكر ونكير.

٤- إحياء ليلة الثلاث والعشرين من شهر رمضان بالعبادة والصلاة مئة ركعة فيها.

٥- الدفن في تربة النجف<sup>(١)</sup>.

---

(١) منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص ٧٠ - ٧٥.





# الخطبة الثالثة

في مكارم الأخلاق



## نص الخطبة

«يا أيُّها النَّاسُ، نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ، وَسَارِعُوا فِي الْمَغَانِمِ، وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعْجَلُوا، وَاكْتَسَبُوا الْحَمْدَ بِالتُّجَحُّجِ، وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَطْلِ ذِمًّا؛ فَمَهْمَا يَكُنْ لَأَحَدٍ عِنْدَ صَنِيعَةٍ<sup>(١)</sup> لَهُ رَأَى أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِشُكْرِهَا فَإِنَّهُ لَهُ بِمُكَافَأَتِهِ فَإِنَّهُ أَجْزَلُ عَطَاءٍ وَأَعْظَمُ أَجْرٍ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَلَا تَمْلُوا النِّعَمَ فَتَحُورَ نِقْمًا. وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ مُكْتَسَبٌ حَمْدًا، وَمُعَقَّبٌ أَجْرًا، فَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاطِرِينَ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ اللَّوْمَ رَأَيْتُمُوهُ سَمِجًا مُشَوَّهاً تَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَتُغْضُ دُونَهُ الْأَبْصَارُ.

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ جَادَ سَادَ، وَمَنْ بَخِلَ رُذِلَ، وَإِنْ أَجَوَدَ النَّاسُ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ، وَإِنْ أَغْفَ النَّاسُ مَنْ غَفَا عَنْ قُدْرَةٍ، وَإِنْ أَوْصَلَ النَّاسُ مَنْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَالْأَصُولُ عَلَى مَغَارِسِهَا بِفُرُوعِهَا تَسْمُو، فَمَنْ تَعَجَّلَ لِأَخِيهِ خَيْرًا وَجَدَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ غَدًا، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(١) المطلب: تأجيل موعد الوفاء بحقه مرة بعد أخرى. والصنعة: كل ما عمل من خير أو إحسان.

بِالصَّنِيعَةِ إِلَى أَخِيهِ كَأَفَاءٍ بِهَا فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ، وَصَرَفَ عَنْهُ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ، وَمَنْ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ مُؤْمِنٍ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».

## المعنى العام

يا أَيُّهَا النَّاسُ: نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ، وَسَارِعُوا فِي الْمَغَانِمِ، وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعْجَلُوا، وَاكْسِبُوا الْحَمْدَ بِالنَّجْحِ، وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَطْلِ ذِمًّا؛ فَمَهْمَا يَكُنْ لِأَحَدٍ عِنْدَ صَنِيعَةٍ لَهُ رَأَى أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِشُكْرِهَا فَإِنَّهُ لَهُ بِمُكَافَأَتِهِ، فَإِنَّهُ أَجْزَلُ عَطَاءٍ وَأَعْظَمُ أَجْرٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ تَسَابَقُوا وَتَبَارَعُوا فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَعَجَلُوا فِي تَحْصِيلِ الرِّبْحِ وَالنَّفْعِ، وَلَا تَكْشِفُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تَسَارِعُوا فِي فِعْلِهِ، وَاطْلُبُوا وَارْبَحُوا الثَّنَاءَ الْجَمِيلَ بِالنَّجَاحِ وَالْفَوْزِ، وَلَا تَطْلُبُوا بِتَأْخِيرِ فِعْلِ الْمَعْرُوفِ الْمَلَامَةَ وَالْإِعَايَةَ، وَإِذَا عَمِلَ أَحَدُ الْعِبَادِ خَيْرًا وَمَعْرُوفًا لِأَخِيهِ دُونَ أَنْ يَنَالَ شُكْرًا مِنْهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَجْزِيهِ وَيَشْكُرُهُ، فَهُوَ كَثِيرٌ وَعَظِيمٌ النَّوَالِ وَالثَّوَابِ لِمَنْ شَاءَ.

(وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ مِنْ نِعْمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَلَا تَمْلُوا النِّعْمَ فَتَحُورَ نِقْمًا).

أَيُّ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا وَتَتَّقِنُوا أَنْ طَلِبَاتِ وَضُرُورِيَّاتِ النَّاسِ وَافْتِقَارُهُمْ إِلَيْكُمْ مِنْ مَنِّ اللَّهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْكُمْ، فَلَا تَسَامُوا وَلَا تَضْجُرُوا هَذِهِ النِّعْمَ فَتَرْجِعَ بِلَاءٌ وَعَقُوبَةٌ.

(وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ مُكْسِبٌ حَمْدًا، وَمُعَقِّبٌ أَجْرًا، فَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاطِرِينَ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ اللَّوْمَ رَأَيْتُمُوهُ سَجِيًّا مُشَوِّهًا تَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَتَغْضُ دُونَهُ الْأَبْصَارُ).



أدركوا وتيقنوا أن العمل الحسن يورث الثناء والشكر، وتارك ثوابا، فلو تمثل عمل الخير بمهنة رجل لكان رجلا ذا هيئة بمهنة تدخل الفرح على من يراها، ولو شاهدتم الشمة والدناء لشاهدتم رجلا قبيحا غير سوي تعرض عنه القلوب وتركه، وتكف عنه العيون.

(أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ جَادَ سَادَ، وَمَنْ بَخِلَ رُذِلَ، وَإِنْ أَجْوَدَ النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ مَنْ لَا يَرْجُوهُ، وَإِنْ أَغْفَ النَّاسِ مَنْ عَفَا عَنْ قُدْرَةٍ، وَإِنْ أَوْصَلَ النَّاسِ مَنْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَالْأَصُولُ عَلَى مَغَارِسِهَا بِفُرُوعِهَا تَسْمُو، فَمَنْ تَعَجَّلَ لِأَخِيهِ خَيْرًا وَجَدَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ غَدًا، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالصَّنِيعَةِ إِلَى أَخِيهِ كَافَأَهُ بِهَا فِي وَفْتِ حَاجَتِهِ. وَصَرَفَ عَنْهُ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ، وَمَنْ نَفَسَ كُرْبَةً مُؤْمِنٍ فَرَّحَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

أيها الناس من اختار أو أتى بالحسن من القول والعمل صار من أهل الشرف والمجد، ومن شح وقتر صار رديئا غير فاضل، وإن أكرم الناس وأسخاهم من بذل إلى من لا ينتظر منه جزاء ولا شكورا، وإن من أكثر الناس مسامحة وصفحاً من صفح عن قدرة واستطاعة، وإن من أرحم الناس وأعطفهم من ترحم وتعطف على قاطع الرحم وعاقها وهاجرها، والمنابت حسب الأرض التي غرست فيها فهي ترتفع وتعلو إذا كان المغرس طيبا، فمن بادر لصنع المعروف وأسدها إلى أخيه يجد أن هذا الصنيع محفوظ له عند أخيه، ومن كان صنيعه لوجه الله تعالى سيدخرها له عند حاجته إليها، ويرد عنه من آلام الدنيا وهمومها، ومن لطف أو فرج مشقة أو حزناً أو همّاً عن أخيه المؤمن وسع الله عليه كل شدة في الدنيا والآخرة، ومن فعل معروفاً يجزيه الله تعالى والله يحب أهل الإحسان.

## بحث أخلاقي

### صنع المعروف

لابد للتعاشيش الإنساني الناجح من طريقة راقية مؤطرة بإرشاد الشريعة وتعاليمها ومزينة بجمال العرف وحسنه، ومليئة بأريحية المجتمع وتألفه، ولا شك في أن الجامع لكل هذه الشروط هو المعروف الذي يمثل الجمال والعدل والإحسان والحق والإيثار، فلذا نجد الآيات الشريفة تؤكد على هذا المعنى الشريف في كل مفردات الحياة، بل الظاهر من النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة أن الحياة معروف والمعروف هو الحياة الحقيقية - والتي - بخلافها لا يكون الإنسان إنسانا، لا تقصد بالمعروف وهو الإحسان فقط دون المعاني الأخرى التي سبق ذكرها بل هو المعروف الذي جمع كل المعاني العالية، ولكي نطمئن من صحة ما تقدم لابد أن نقف على المعنى اللغوي والاصطلاحي للمعروف.

المعروف في اللغة: هو الخير، الإحسان<sup>(١)</sup>، المعروف: اسم لكل فعل يعرف حسنه بالعقل أو الشرع: وهو خلاف المنكر، هو الصنعة التي يسديها المرء إلى غيره<sup>(٢)</sup>.

المعروف في الاصطلاح: هو كل خير وكل فعل حسن عقلا وشرعا.

تناولت الآيات الكريمة هذه الكلمة في مواضع عديدة تشير من خلالها إلى القول الطيب والفعل الحسن كما في قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأُولَئِكَ يُلَمَّعُونَ وَأَدَّاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) المنجد النجدي: ص

(٢) المعجم الوسيط: ص ٥٩٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

وقال تعالى :

﴿الْأَلْفَلَقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ الْمَعْرُوفِ اَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَفِيرِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله عز وجل :

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال الله سبحانه وتعالى في سورة النساء :

﴿وَابْتُلُوا الزَّيْنَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٤١.

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٦٣.

(٤) سورة النساء، الآية : ٦.

كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١﴾.

وقال الباري عز وجل في سورة الممتحنة:

﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاطِنُكَ عَلَيْ أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَشْرِقَ وَلَا يَزْنِي وَلَا يَقْتُلَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِعُهُنَّ وَاسْتَعْفِرْنَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾﴾.

وقال سبحانه وتعالى في سورة آل عمران:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣﴾﴾.

وحث الأحاديث الشريفة على فعل المعروف من خلال وصفها له بصفات عديدة، فتارة يصفه الحديث أنه عين السيادة كما في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«المعروفُ سيادة»<sup>(١)</sup>.

وأخرى هو الحسب كما في قوله عليه السلام:

«المعروفُ حَسَبٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٤) غرر الحكم: ص ٣٢. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٥٨، ح ١٢٥٩٠.

(٥) غرر الحكم: ص ٨٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٥٨، ح ١٢٥٩٢.

وفي ثالثة هو وسيلة لتحصيل المدح والثناء في الدنيا والثواب والجزاء الحسن في الآخرة وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام بقوله:

«اعلموا أنَّ المعروفَ مُكسِبٌ حَمْدًا، ومُعِيبٌ أَجْرًا، فَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا  
لَرَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاطِرِينَ وَيَفُوقُ الْعَالَمِينَ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ اللَّؤْمَ رَأَيْتُمُوهُ  
سَجِيحًا قَبِيحًا مَشُوهًُا تَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ وَتُقْضَى دُونُهُ الْأَبْصَارُ»<sup>(١)</sup>.

بل أن الإمام الصادق عليه السلام لا يرى شيئاً أفضل من المعروف إلا الأجر الإلهي بقوله:

«رَأَيْتُ الْمَعْرُوفَ كَأَسْمِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا ثَوَابُهُ وَذَلِكَ يُرَادُ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

ولأهمية المعروف للفرد والمجتمع معا نجد أمير المؤمنين عليه السلام يدعونا إلى صنعه ولو ببذل أقصى الجهود بقوله:

«اصْطَنِعُوا الْمَعْرُوفَ بِمَا قَدَرْتُمْ عَلَى اصْطِنَاعِهِ»<sup>(٣)</sup>.

ويقول الإمام الجواد عليه السلام بأن الذين يصنعون المعروف هم أول من يستفيد من هذا المعروف بقوله:

«أَهْلُ الْمَعْرُوفِ إِلَى اصْطِنَاعِهِ أَحَقُّ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ لَهُمْ أَجْرَهُ وَفَخْرَهُ،  
فَمَهْمَا اصْطَنَعَ الرَّجُلُ مِنْ مَعْرُوفٍ فَإِنَّمَا يَبْدَأُ فِيهِ بِنَفْسِهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّ شُكْرًا مَا صَنَعَ  
إِلَى نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٣٤٣، ح ١٤٢٤٢. ميزان الحکمة: ج ٦، ص ٢٥٥٨، ح ١٢٥٩٥.

(٢) الکافي: ج ٤، ص ٢٦، ح ٣. ميزان الحکمة: ج ٦، ص ٢٥٥٩، ح ١٢٥٩٦.

(٣) الخصال: ص ٦١٧، ح ١٠. ميزان الحکمة: ج ٦، ص ٢٥٥٩، ح ١٢٦٠٠.

(٤) كشف الغمّة: ج ٣، ص ١٣٧. ميزان الحکمة: ج ٦، ص ٢٥٥٩، ح ١٢٦٠٣.

**لن يبذل المعروف؟**

بعد أن عرفنا أن المعروف جميل بذاته ينبغي أن نعلم أن بذله أجمل لما فيه من تجلي صور الرحمة والحنو والرأفة والمروءة، فلذا جاءت الروايات الشريفة تحث على بذله إلى البر والفاجر من الناس، بل وصلت بحثها على بذله إلى الحيوانات.

إن فعل المعروف خير، وكل ما هو خير لا يصح البخل به على إنسان دون آخر، فلذا صارت فضيلته فوق كل فضيلة وجزاؤه فوق كل جزاء، وهذا ما أشار إليه مولى الموحدين بقوله عليه السلام:

«ابذلْ معروفَكَ لِلنَّاسِ كَافَّةً؛ فَإِنَّ فَضِيلَةَ فِعْلِ الْمَعْرُوفِ لَا يَعْدِلُهَا عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ شَيْءٌ»<sup>(١)</sup>.

ولكي نطلع بدقة على ما حثت عليه الروايات الشريفة نذكرها على النحو الآتي:

١- حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين على فعل المعروف إلى العالمين دون أن يميزوا بين من يستحق ومن لا يستحق بقوله:

«رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الدِّينِ التَّوَدُّ إِلَى النَّاسِ، وَاصْطِنَاعُ الْخَيْرِ إِلَى كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ»<sup>(٢)</sup>.

وعند تأمل هذا الحديث الشريف نستنتج منه ما يلي:

ألف: إن المعروف لا يقتصر على بذل المال أو ما هو مادي فقط بل يتعداه إلى الخلق الحسن والقول الطيب وهذا ما أشار إليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الدِّينِ التَّوَدُّ إِلَى النَّاسِ».

باء: بما أن الخير فعل حسن لا ضرر فيه يحتاجه كل مخلوق في حياته، صار بذله

(١) غرر الحكم: ٢٤٧٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٢، ح ١٢٦٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٤٠١، ح ٤٤٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٢، ح ١٢٦٢٤.

جَمِلاً إِلَى الْإِنْسَانِ الصَّالِحِ وَالطَّالِحِ عَلَى السَّوَاءِ كَمَا فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:  
«وَاصْطَنَاعَ الْخَيْرِ إِلَى كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ».

ولكي لا يقع المؤمن في التباس من أمره فيقول كيف أصنع الخير للفاجر وهو فاجر عاصي لله تعالى؟

فأقول: ورد من جهة أخرى، إذا علمت بأن معروفك سيكون عوناً على الإثم ويستعين به الفاجر على معصية الله تعالى لا يصح لك أن تعينه على ذلك لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَنْتَعُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَمَآوَوْا عَلَى آلِيهِ وَالنَّقَوَّىٰ وَلَا تَعَاوَوْا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوِّ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾<sup>(١)</sup>.

٢- حث أهل بيت العصمة عليهم السلام على بذل المعروف إلى الحيوانات أياً، مما يدل على سعة رحمة الله تعالى، ورعايته لمخلوقاته فلذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمن يستعمله على الصدقات:

«ثُمَّ لِحَدْرٍ<sup>(٢)</sup> إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نَصِيرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا<sup>(٣)</sup>، وَلَا يَمْضُرْ<sup>(٤)</sup> لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بَوْلَهَا، وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً، وَلْيُعْدِلْ بَيْنَ صَوَابِحَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرْفُ عَلَى اللَّاعِبِ<sup>(٥)</sup>

(١) سورة المائدة الآية: ٢.

(٢) أي سُنْ إِلَيْنَا سَرِيعاً.

(٣) فصيل الناقة: ولدها وهو رضيع.

(٤) مَضُرَّ اللَّبَنُ: حلب ما في الضرع جميعه.

(٥) أي يُرَبِّح ما أَلْبَسَ أي أعياه التعب.

وَلْيُسْتَأْزَمِ<sup>(١)</sup> بِالنَّقَبِ<sup>(٢)</sup> وَالظَّالِعِ<sup>(٣)</sup>، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمْرُبُهُ مِنَ الْغُدْرِ<sup>(٤)</sup>، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِ الطَّرِيقِ<sup>(٥)</sup>، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيَمْهَلْهَا عِنْدَ النُّطَافِ<sup>(٦)</sup> وَالْأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدْنًا<sup>(٧)</sup> مُنْقِيَاتٍ<sup>(٨)</sup> غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ<sup>(٩)</sup>»<sup>(١٠)</sup>.

### إشكال وتوجيه

سبق أن بينا أن الأحاديث الشريفة السابقة تحت المؤمن على فعل المعروف لجميع الناس برهم وفاجرهم، وسواء كان من أهل المعروف أو لم يكن كذلك كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اصْطَبَحَ الْخَيْرُ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ، وَإِلَى مَنْ هُوَ غَيْرُ أَهْلِهِ، فَإِنْ لَمْ تُصَبِّ مَنْ هُوَ أَهْلُهُ فَأَنْتَ أَهْلُهُ»<sup>(١١)</sup>.

إلا أننا نجد في مكان آخر أحاديث تحت عنوان ترك بذل المعروف إلى من لا يستحقه وهي كما يلي:

### ١- قال الإمام علي عليه السلام:

- 
- (١) لِيَسْتَأْزَمَ: أي يَرَفِقَ، من الأناة بمعنى الرِّفْقِ.
  - (٢) النَّقَبُ - بفتح فكسر - ما نَقَبَ خَفَهُ - كَفَرَحَ -: أي تَحَرَّقَ.
  - (٣) ظَلَعَ البعيرُ: غمز في مشيته.
  - (٤) الْغُدْرُ - جمع غدِير - ما غادره السيل من المياه.
  - (٥) أي الطرق التي لا مرعى فيها.
  - (٦) النُّطَافُ - جمع نُطْفَةٍ -: المياه القليلة، أي يجعل لها مهلة لتشرب وتاكل.
  - (٧) الْبُدْنُ - بضم الباء وتشديد الدال -: السمينة.
  - (٨) الْمُنْقِيَاتُ: اسم فاعل من أنقَتَ الإبل إذا سَمِتَتْ.
  - (٩) مجهودات: بلغ منها الجهد والعناء مبلغاً عظيماً.
  - (١٠) لهج البلاغة: الكتاب ٢٥. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٣ - ٢٥٦٤، ح ١٢٦٣٢.
  - (١١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٣٥، ص ٧٦. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٢، ح ١٢٦٢٦.



«لَا تَصْلُحُ الصَّيِّعَةُ إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينَ»<sup>(١)</sup>.

٢- قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَيْسَ لِبَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحِطِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مُحَمَّدٌ  
النَّامُ وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ. وَمَقَالَةُ الْجُهَالِ مَا دَامَ مِنْعُماً عَلَيْهِمَا: مَا أَجُودَ يَدُهُ! وَهُوَ عَنْ ذَاتِ  
اللَّهِ بِخَيْلٍ»<sup>(٢)</sup>.

٣- وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمَا تُدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَعْمَلُ  
كَذَلِكَ تُجْزَى. مَنْ يَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى أَمْرِئِ السَّوِّ يُجْزَى شَرًّا»<sup>(٣)</sup>.

٤- ورد في الأمالي للمفيد عن كعب الأحماس:

مَنْ صَنَعَ مَعْرُوفاً إِلَى أَحْمَقَ فَهِيَ خَطِيئَةٌ تُكْتَبُ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>.

٥- قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«ظَلَمَ الْمَعْرُوفَ مَنْ وَضَعَهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ»<sup>(٥)</sup>.

٦- عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«مَنْ أَسَدَى مَعْرُوفاً إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ظَلَمَ مَعْرُوفَهُ»<sup>(٦)</sup>.

وبعد تأمل هذين النوعين من الأحاديث الشريفة نلمس تناقضاً ظاهراً بينهما،

(١) الخصال: ص ٦٢٠، ح ١٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٩، ص ٧٤. ميزان الحكمة: ج ١.

ص ٢٥٦٦، ج ١٢٦٢٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٤١٢، ح ٢٦. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٦، ح ١٢٦٤٤.

(٤) أمالي المفيد: ١٣٧، ح ٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٦، ح ١٢٦٤٥.

(٥) غرر الحكم: ٦٠٦٣. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٦، ح ١٢٦٥٠.

(٦) غرر الحكم: ٨٥٤٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٦، ح ١٢٦٥١.

ولكي لا يقع القارئ الكريم في التباس بين الحث على بذل المعروف وبين النهي عن ذلك لابد من توجيه الأحاديث التي حثت على ترك بذل المعروف وتبدأ كما يلي :

ألف : لا تنهى الأحاديث عن فعل المعروف إلى غير أهله وإنما ترشد إلى ذلك من باب النهي الإرشادي.

باء : تريد الأحاديث أن تبين أن البازل للمعروف إلى غير أهله لا ينتظر منهم جزاء ولا شكورا، ولذا فليكن بذله للمعروف لله تعالى ولجمال وحسن البذل.

جيم : تشير الأحاديث إلى ترك بذل المعروف لمن كان مجربا بنكران الجميل أو من لا يشكر المعروف بدليل القول الذي ورد في الحديث أعلاه وهو :

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

«لَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحَظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ النَّامِ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ. وَمَقَالَةُ الْجُهَالِ مَا دَامَ مَنَعِمًا عَلَيْهِمْ: مَا أَجُودَ يَدُهُ! وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ».

دال : وردت أحاديث تتضمن إرشادات تنهى عن صنف اتصف بالحمق دون غيره من الصفات.

خلاصة القول :

- ١- إن بذل المعروف لأهله أي لمن يفعل المعروف من باب رد الجميل، ولغير أهله الذين يحبون فعل المعروف ولكن لا يستطيعون ذلك.
- ٢- إذا فعلت المعروف لا تنتظر من أحد جزاء ولا شكورا.
- ٣- إن بعض أنواع المعروف كبذل الحكمة لا تضعها إلا عند أهلها، وأما ما يصدر منك من خير دون أن يترتب عليه ضرر فابذله لمن شأت.

### آثار فعل المعروف

وردت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بكثرة مبينة الآثار الطيبة لفعل المعروف سواء كان ذلك في الحياة الدنيا أو في الآخرة ولكي يتضح الموضوع أكثر نبوّب هذه الآثار كالآتي:

#### ١- الآثار في الدنيا -

١- لكي تنال الجاه وتحظى بالتقدم على الغير وتنال الطاعة والاحترام لابد لك من فعل المعروف، وهذا ما أكدّه الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام: «المعروف سيادة».

وقول الإمام الصادق عليه السلام:

«عَجِبْتُ مِمَّنْ يَشْتَرِي الْمَالِيكَ بِمَالِهِ، كَيْفَ لَا يَشْتَرِي الْأَحْرَارَ بِمَعْرُوفِهِ فَيَمْلِكُهُمْ»<sup>(١)</sup>.

٢- ضمن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لفاعل المعروف ربحاً ونمأً نتيجة بذله للمعروف بقوله عليه السلام:

«إِنَّمَا الْمَعْرُوفُ زَرْعٌ مِنْ أَمْنَى الزَّرْعِ، وَكَتَنَزْ مِنْ أَفْضَلِ الْكَتَنُوزِ»<sup>(٢)</sup>.

٣- بذل المعروف يحافظ على النعم ويدفع عنها خطر السلب فيكون مصداقاً للدعاء الشريف: (اللهم أعوذ بك من الذنوب التي تسلب النعم).

وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«المعروف زكاة النعم، وما أدبت زكاته فهو مأمون السلب»<sup>(٣)</sup>.

(١) تحف العقول: ص ٢٠٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٥٩، ح ١٢٦٠٢.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ج ١٤، ص ٤٧٦، ح ٣١٤٤ (١٥).

(٣) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٩٣١.

٤- بذل المعروف يؤدي إلى أن ينال فاعله شكراً ومدحاً من أناس لم يصبهم هذا المعروف، ولكن لحبهم وإنصافهم يشكرون الباذل للمعروف، وهذا ما نستشفه من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فإنه قد يشكرك عليه من يسمع منك فيه»<sup>(١)</sup>.

٥- فعل المعروف يرد على صاحبه بكل ما هو جميل فلذا ورد عن الإمام علي عليه السلام:

«مَنْ عَامَلَ النَّاسَ بِالْجَمِيلِ كَأَقْوَمِهِ»<sup>(٢)</sup>.

٦- يفضل باذل المعروف بكثرة على غيره ممن لم يفعل المعروف، ويقر له جميع الناس بالأفضلية كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ كَثُرَ جَمِيلُهُ أَجَبَعَ النَّاسُ عَلَى تَفْضِيلِهِ»<sup>(٣)</sup>.

٧- من أراد أن ينال قاعدة جماهيرية، وتتسع سمعته الحسنة فما عليه إلا أن يكثر من بذل المعروف مع جميع الناس ولا يقتصر فعله على فئة دون أخرى أو شخص دون آخر وهذا لعله المراد من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ كَثُرَتْ عَوَارِفُهُ كَثُرَتْ مَعَارِفُهُ»<sup>(٤)</sup>.

### الآثار في الآخرة

١- إذا بذل المعروف للمؤمن ينقذ باذله من الدخول إلى نار جهنم كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

(١) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٩٣٠.

(٢) غرر الحكم: ٨٧١٦. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٢، ح ١٢٦١٩.

(٣) غرر الحكم: ٨٤٠٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٢، ح ١٢٦٢٠.

(٤) غرر الحكم: ٨١٦٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٢، ح ١٢٦٢١.

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَمْرُؤٌ عَلَيْهِ بِالرَّجُلِ وَقَدْ أَمَرَهُ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا فُلَانُ أَغْنَيْتَنِي، فَقَدْ كُنْتُ أَصْنَعُ إِلَيْكَ الْمَعْرُوفَ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ لِلْمَلِكِ: خَلِّ سَبِيلَهُ فَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمَلِكَ أَنْ أَجِزَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِ، فَيُخَلِّي الْمَلِكُ سَبِيلَهُ»<sup>(١)</sup>.

٢- أمرنا الله سبحانه بالاستعداد للموت والتزود بالبضاعة الحسنة للمعاد يوم لا ينفع مال ولا بنون، فلذا لابد من صنع المعروف لخلق الله تعالى لكي نذهب بزيادة نافع وهذا ما يشير إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«عَلَيْكُمْ بِصَنَاعَةِ الْمَعْرُوفِ؛ فَإِنَّهَا نِعَمَ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ»<sup>(٢)</sup>.

٣- وعد الله تعالى المؤمنين العاملين بالجنة، وخلق الله تعالى لهذه الجنة أبواباً وجعل بعضاً من هذه الأبواب باسم بعض المؤمنين كباب الريان للصائمين وباب المعروف لأهل المعروف كما ورد ذلك في الحديث الشريف عن أبي هاشم: (سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ يَقُولُ:

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ: الْمَعْرُوفُ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ.

فَحَمِدْتُ اللَّهَ تَعَالَى فِي نَفْسِي وَفَرِحْتُ مِمَّا أَتَكَلَّفُهُ مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ، فَتَنَظَّرَ إِلَيَّ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ:

نَعَمْ قَدْ عَمِلْتَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؛ وَإِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ. جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ يَا أَبَا هَاشِمٍ وَرَحِمَكَ»<sup>(٣)</sup>).

٤- الباذل للمعروف ولو بقي الماء ورعاية الخلق لاسيما العجاوات (الحيوانات) سيجعله الله تعالى تحت ظله الذي لا يستغني عنه أحد في يوم شديد لا ظل فيه كما ورد

(١) المحاسن: ج ١، ص ٢٩٤، ح ٥٨٩. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٠، ح ١٢٦٠٩.

(٢) غرر الحكم: ٦١٦٦. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٠، ح ١٢٦١٠.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ٤٣٢.

(٤) ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦١، ح ١٢٦١٧.

في الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُجِبُّ إِبْرَادَ الْعَبْدِ الْحَرَّى، وَمَنْ سَقَى كَبْدًا حَرَّى مِنْ بَهِيمَةٍ أَوْ غَيْرِهَا أَظْلَهُ اللَّهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»<sup>(١)</sup>.

٥- لا يحتاج أهل المعروف إلى حسناتهم يوم القيامة لاستغنائهم عنها بفضل الله تعالى ومنه، وسيبرعون بها إلى من هو بحاجة إليها كما جاء ذلك في حديث الإمام الصادق عليه السلام:

«أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمُ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ تَرَجَّحَ لَهُمُ الْحَسَنَاتُ، فَيَجُودُونَ بِهَا عَلَى أَهْلِ الْمَعَاصِي»<sup>(٢)</sup>.

#### فوائد

١- لا يمنعك من فعل المعروف وبذله إلى خلق الله تعالى الناكرون والجاحدون فإنك تبذله لله تعالى وهو الذي يشركك عليه وهذا ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«فَلَا يُزْهَدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ كُفْرُ مَنْ كَفَرَهُ، وَلَا جُحُودُ مَنْ جَحَدَهُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ يَسْمَعُ مِنْكَ فِيهِ»<sup>(٣)</sup>.

٢- أنت لمعرفك أحوج من أهل الحاجة إليه كما فيه ثواب كبير وذكر دائم وسمعة حسنة.

٣- لا تتردد في أن تكون وسيلة لإيصال الخير إلى الآخرين وإن لم تكن أنت باذله، فإن لك كأجر الباذل كما أكد ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

(١) الكافي: ج ٨، ص ٥٨، ح ٦٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٣، ح ١٢٦٣١.

(٢) أمالي الطوسي: ص ٣٠٤، ح ٦١٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦١، ح ١٢٦١٥.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٣٤٠، ح ١٤٢٢٩. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٥٩، ح ١٢٥٩٧.

«لَوْ جَرَى الْمَعْرُوفُ عَلَى ثَمَانِينَ كَفّاً لَأَجِرُوا كُلَّهُمْ فِيهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ صَاحِبُهُ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئاً»<sup>(١)</sup>.

٤- لا تعطِ الخير ناقصاً ولا تفعل المعروف إلاّ بتمامه إذا كنت قادراً على ذلك وهذا ما أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:  
«استتمام المعروف أفضل من ابتدائه»<sup>(٢)</sup>.

وما أُرشدنا إليه وصيه الأول أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:  
«جمال المعروف إتمامه»<sup>(٣)</sup>.

٥- إذا وفقت لبذل المعروف عليك الالتزام بخواصه الثلاث التي تجعله معروفاً كاملاً نافعاً في الدنيا والآخرة، فلا بد حينئذ من استقلاله (تصغيره)، وكنمه وسريته، والإسراع به إلى من هو بحاجة إليه وكن لقول أمامك الصادق عليه السلام مطبقاً إذ يقول:

«رَأَيْتُ الْمَعْرُوفَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِثَلَاثِ خِصَالٍ: تَصْغِيرِهِ وَتَسْوِيهِ، وَتَعْجِيلِهِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا صَغَّرْتَهُ عَظَمْتَهُ عِنْدَ مَنْ تَصَنَّعَهُ إِلَيْهِ، وَإِذَا سَوَّيْتَهُ تَمَتَّتَهُ، وَإِذَا عَجَّلْتَهُ هَنَأَتْهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ سَخَفَتْهُ وَنَكَدَتْهُ»<sup>(٤)</sup>.

٦- أن تأتي متأخراً خيرٌ من أن لا تأتي، وأن تبذل المعروف وإن كان قليلاً فهو نافع لاسيما في وقت الحاجة إليه فلذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:  
«لَا تُحَقِّرَنَّ شَيْئاً مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَوْ أَنَّ تَلْقَى لَخَالِكَ وَوَجْهُكَ مَبْسُوطٌ إِلَيْهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٨، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٥، ح ١٢٦٣٨.

(٢) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٩٣٦، ح ٢٦٧٩.

(٣) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٩٣٦، ح ٢٦٧٩.

(٤) الكافي: ج ٤، ص ٣٠، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥١٧، ح ١٢٦٦٢.

(٥) كنز القوائد للكرجكي: ج ١، ص ٢١٢. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٨، ح ١٢٦٦٥.

٧- إذا أردت أن تعلم أنك مقبولا عند الله تعالى وأن معروفك سيجلب لك الثواب الجزيل، أنظر إلى موضعه فإذا أصاب معروفك مواضعه فهو لا شك من الأعمال المقبولة عند الله تعالى وهذا ما أراد الإمام الصادق عليه السلام قوله :  
لما سئل عن علامة قبول العبد عند الله - :

«عَلَامَةُ قَبُولِ الْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُصِيبَ بِمَعْرِفِهِ مَوَاضِعَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ كَذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

### صفات أهل الفضل

ورد في مواقع متعددة من القرآن الكريم ما يشير إلى الأفضلية والتفاضل كما في قوله تعالى :

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وقوله تعالى :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَمَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَمُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾<sup>(٣)</sup>.  
وقوله تعالى :

﴿ وَاسْمِعِلْ وَأَلِيسَع وَيُوشَعَ وَخُوطَا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٤١٩، ح ٤٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٥٦٨، ح ١٢٦٦٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٦.



وما جاءت الآيات الكريمة إلا لتبين أن هناك رجحات لشخص على آخر هي سر التفاضل بين الأنبياء والمرسلين.

فالفضيلة كما جاء في اللغة هي الدرجة الرفيعة في حسن الخلق<sup>(١)</sup>.

وتفاضل القوم: تنافسوا في الفضل أي فيما هو رفيع وشريف وعالٍ.

حث الأئمة الأطهار عليهم السلام على التحلي بالفضائل لما لها من آثار وفوائد عالية وهذا ما نلمسه في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «فخر المرء بفضله لا بأصله»<sup>(٢)</sup>.

ولكي نطلع على صفات أهل الفضل لابد من الوقوف على موجبات الفضيلة التي تعد سلماً للرفعة والعلو:

١- الإيثار الذي هو تقديم مصلحة الغير على مصلحة النفس يوجب الفضيلة لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من أثر على نفسه استحق اسم الفضيلة»<sup>(٣)</sup>.

٢- عدم العجب بالنفس وعدم الترفع على الآخر مما يجعل المرء فاضلاً كما في قول الإمام علي عليه السلام: «كفى بالمرء فضيلة أن يُنقص نفسه»<sup>(٤)</sup>.

٣- الصفح والتسامح والعفو عند القدرة صفات أهل الفضل كما ورد عنه عليه السلام: «الفضل أنك إذا قدرت عفو»<sup>(٥)</sup>.

(١) المعجم الوسيط: ص ٦٩٣.

(٢) جامع أحاديث أهل البيت عليهم السلام، الشيخ هادي النجفي: ج ٨، ص ٤٧٥، ح ١٠٤٥٣.

(٣) ميزان الحكمة: ج ١، ص ١٨، ح ٤ منزلة الإيثار.

(٤) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٤٣٣، ح ٣٢١٢ ما به فضيلة الإنسان.

(٥) المصدر السابق.

٤- الإحسان والابتداء به يقود إلى الفضل كما في قوله عليه السلام:

«الفضل مع الإحسان»<sup>(١)</sup>.

٥- الورع والطاعة والانقياد لله تعالى تجسد التقوى في صاحبها فيكسب بذلك

أن يكون من أهل الفضل كما في وصف أمير المؤمنين عليه السلام للمتقين:

«فالمتقون فيها هم أهل الفضائل: منطقتهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد»<sup>(٢)</sup>.

وهناك كثير من الفضائل التي تصبغ صاحبها بالفضيلة كالمروءة وبث المعروف

والإحسان وأداء المفروضات والنوافل والابتعاد عن الشبهات وهذا ما أشارت إليه

مجموعة من الأحاديث الشريفة تركناها للاختصار، ومن شاء الإطلاع عليها فليطلبها

من مظانها<sup>(٣)</sup>.

وما جاء عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يبين منزلة أهل الفضل

ومقامهم في يوم القيامة كما يبين الأعمال التي جعلتهم هكذا كما في قوله صلى الله

عليه وآله وسلم:

«إذا جُمِعَ الخلائقُ يومَ القيامةِ نادى مُنادٍ: أينَ أهلُ الفضلِ؟ فيقومُ أناسٌ وهم يسيرون

فيَنتَظِلُّونَ سِراعاً إلى الجنةِ، فتَلقاهُم الملائكةُ فيقولونَ: إِنَّا نراكُم سِراعاً إلى

الجنةِ! فيقولونَ: نحنُ أهلُ الفضلِ، فيقولونَ: ما كانَ فضلُكم؟ فيقولونَ:

كُنّا إذا ظَلَمنا عَفَرنا، وإذا أَسِيءَ إلينا عَفَونا، وإذا جُهِلَ عَلَينا حَلَمنا، فيقالُ لَهُم:

ادخُلُوا الجنةَ فَنِعَمَ أَجرُ العالمينَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٤٣٣، ح ٣٢١٢ أفضل الفضائل.

(٣) ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٢١٨ - ٣٢١٩.

(٤) تنبيه الخواطر: ج ١، ص ١٢٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٢١٩ - ٣٢٢٠، ح ١٥٩٦٣.



الخطبة الرابعة

في مكارم الأخلاق





## نص الخطبة

(إِنَّ الْجَلَمَ زَيْنَةً، وَالْوَفَاءَ مُرُوءَةً، وَالصِّلَةَ نِعْمَةً، وَالْإِسْتِكْبَارَ صَلْفًا، وَالْعَجَلَةَ سَفَهًا، وَالسَّفَهَ ضَعْفًا، وَالْغُلُوءَ رُطَبَةً، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الدُّنَا بَشَرًا، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْفُسْقِ رِيئَةً).

إن الأناة وضبط النفس وكظم الغضب حسن وجمال، والصدق بالوعد والعدد كمال الرجولة، والرحمة والتواصل وعدم الهجران منة وفضل من الله تعالى، والتعالي والطيش وعدم قبول الحق عجب وتكبر، والتسرع خفة وطيش وجهل، وهذه الخفة والطيش هي قلة فطنة وضعف فؤاد، وتجاوز الحد والإفراط أمر يتعسر النجاة منه، والقعود مع الأراذل والاختلاط بهم سوء وفساد ومغالطة، والقعود مع أهل العصيان تحمة وظن وشك.

## بحث أخلاقي

### مكارم الأخلاق شيمة المؤمنين

منذ أن وطئ الإنسان بقدميه تراب هذه الأرض وطئها وهو مزود بالأخلاق الفاضلة وعارف بالأخلاق الفاسدة ومأمور من قبل الله تعالى بالتحلي بكل الفضائل لكي يصل إلى غايته التي خلق من أجلها ألا وهي عبادة الله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

فصارت مكارم الأخلاق من لوازم الحياة الصحيحة على الأرض ومن لوازم الأمم التي تنشأ الرفعة والطهارة، فأخذت الشرائع السماوية كمال الإنسان غاية لها وبدأ الأنبياء عليهم السلام بالإرشاد والتربية والتزكية لهذه النفوس الجاحمة التي تميل بطبعها للراحة الدعة، وتوالت الأنبياء عليهم السلام على قيادة البشرية إلى الكمال حتى وصلت إلى خاتمها وسيد رسلها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي صرح بكلمته الخالدة:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(١)</sup>.

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«حُسْنُ الْخُلُقِ مِنْ أَفْضَلِ الْقِسْمِ وَأَحْسَنِ الشَّيْءِ»<sup>(٢)</sup>.

ولكي نقف على معنى الأخلاق وحسنها وما يترتب عليها لابد من الحديث عن العنوانين المختلفة في ذلك.

### الخلق وعاء الدين

تقدم بيان علاقة الدين بالأخلاق الفاضلة، وعرفنا حرص الأنبياء عليهم السلام على تزويد أممهم بالمكارم والسمو ولكي يتضح العنوان لابد من معرفة مفهومه في اللغة والاصطلاح:

الخلق في اللغة: حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر أو روية، ومجموعها أخلاق<sup>(٣)</sup>.

الخلق في الاصطلاح: سلوك يسلكه الإنسان في ميدان الفضائل أو الرذائل

(١) ميزان الحكمة: ج ١، ص ٨٠٤، ح ١١١١.

(٢) غرر الحكم: ٤٨٤٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٣، ح ٥٠٠٠.

(٣) المعجم الوسيط: ص ٢٥٢.

ويصنع صاحبه بالحسن أو القبح.

والسلوك أو الحال الذي يتصف به الإنسان له ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: هي الاتصاف بصفة على وجه السرعة وفقدانها بذات السرعة وهذا ما يسمى (بالحال) كما في حمرة الخجل أو صفرة الوجع التي تحصل للمرء عند وجود السبب لها وترتفع بارتفاعه.

المرتبة الثانية: هي الاتصاف بصفة ما ببطء وتكرار حتى ترسخ في النفس إلى درجة (الملكة) فتصدر عن صاحبها بسهولة وسرعة دون تأمل أو روية.

المرتبة الثالثة: هي اتصاف الإنسان بصفة وصلت إلى حد (الاتحاد) مع ذاته ولا تزول إلا بزوال الذات.

فالحالة الأولى لا يمكن أن نطلق عليها بأنها خلق لسرعة الاتصاف بها وسرعة زوالها، وأمّا الحالة الثانية والثالثة هي المعنية بذلك وهي التي يصدق عليها بأنها (خلق) فالاتصاف بالخلق الفاضل هو الدين أو من الدين وهذا ما أكدّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«جاء رجلٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين يديه فقال: يا رسولَ الله، ما الدين؟ فقال:

حُسْنُ الخلق.

ثمَّ أتاه عن يمينه فقال: ما الدين؟ فقال:

حُسْنُ الخلق.

ثمَّ أتاه من قِبَلِ شِمَالِهِ فقال: ما الدين؟ فقال:

حُسْنُ الخلق.

ثمَّ أتاه من ورائه فقال: ما الدين؟ فالتفتَ إليه وقال:

أَمَا تَفْقَهُ؟! الدِّينُ هُوَ أَنْ لَا تَغْضَبَ»<sup>(١)</sup>.

فلذا صار الخلق وعاءً ومكاناً مناسباً للدين وهذا ما اتصف به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي أفاض الله تعالى عليه نعمة النبوة وحباه بالوحي دون غيره لخلق الرفيع الذي وصل إلى درجة أن ينال مدح الله تعالى وثناء المولى على العبد بقوله :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

### مكارم الأخلاق في نظر أهل البيت عليهم السلام

مكارم الأخلاق هبة يهديها الله تعالى لخلق ترفع بصاحبها إلى الدرجات العليا والمراتب الرفيعة، وهي درع واقية ضد الآثام والذنوب فلذا أكثر أهل البيت عليهم السلام من الحث عليها بأنواعه الآتية :

١- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«عَلَيْكُمْ بِكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ فِيهَا، وَإِنْ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنْ يَعْفُو الرَّجُلُ عَنْ ظُلْمَةٍ، وَيُعْطِيَ مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَأَنْ يَعُودَ مَنْ لَا يَعُودُ»<sup>(٣)</sup>.

٢- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم :

«جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ صِلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، فَحَسَبُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَتِمَسَكَ بِخُلُقٍ مُتَّصِلٍ بِاللَّهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) تنبيه الخواطر: ص ٨٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٦، ح ٥٠٣٠.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) أمالي الطوسي: ص ٤٧٨، ح ١٠٤٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨١ - ١٠٨٢، ح ٥٠٦١. س.

(٤) تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١٢٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٢، ح ٥٠٦٣.



٣- وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«فَهَبْ أَنَّهُ لَا ثَوَابَ يُرْجَى وَلَا عِقَابَ يُتَّقَى، أَفْتَرَّهَدُونَ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؟»<sup>(١)</sup>.

٤- وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«ثَابِرُوا عَلَى أَقْبَتَاءِ الْمَكَارِمِ»<sup>(٢)</sup>.

وهناك الكثير من الأحاديث التي حثت البشرية على التحلي بهذه المكارم التي لا غنى عنها لعقل متبصر ولا لأمة تنشد الحياة الحقيقية، ولكي يتضح الأمر ويسعى المرء لنيل هذه المكارم لابد من الاطلاع عليها ومعرفتها، فلقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حديثان جمع فيهما أغلب مكارم الأخلاق وهما كما يلي:

١- قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَصَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. فَاُمْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ؛ فَإِنْ كَانَتْ فِيكُمْ فَاحِمِدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِي الزَّيَادَةِ مِنْهَا.

فَذَكَرْهَا عَشْرَةً: الْيَقِينُ، وَالْقَنَاعَةُ، وَالصَّبْرُ، وَالشُّكْرُ، وَالْجِلْمُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَالسَّخَاءُ، وَالْغَيْرَةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْمُرُوءَةُ»<sup>(٣)</sup>.

٢- وعنه عليه السلام:

«الْمَكَامُ عَشْرٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ فِيكَ فَلْتَكُنْ، فَإِنَّهَا تَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَلَا تَكُونُ فِي وَلَدِهِ، وَتَكُونُ فِي وَلَدِهِ وَلَا تَكُونُ فِي أَبِيهِ، وَتَكُونُ فِي الْعَبْدِ وَلَا تَكُونُ فِي الْحُرِّ؛ صِدْقُ الْبَاسِ، وَصِدْقُ اللِّسَانِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةُ

(١) غرر الحكم: ٦٢٧٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨١، ح ٥٠٦٠.

(٢) غرر الحكم: ٤٧١٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٩، ح ٥٠٤٦.

(٣) أمالي الصدوق: ص ١٨٤، ح ٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٠، ح ٥٠٥٢.

الرَّحِمِ، وإِقرأ الضَّيْفَ، وإطعام السَّانِلِ، والمُكَافأةُ على الصَّنَاعِ، والتَّذمُّرُ للجارِ  
والتَّذمُّرُ للصاحبِ، ورأسُهُنَّ الحَياءُ»<sup>(١)</sup>.

وعند التأمل في هذين الحديثين نجد الإمام عليه السلام يبحث على رفض الشك باطناً وظاهراً، والرضا بما قسم الله تعالى، والتحلي بعدم الجزع ونبد الجزع ونبد الشعور بالملل لاسيما في الطاعات، والعرفان بالجميل ومكافأة المنعم، والتحلي بضبط النفس عند الغضب، والعشرة بالمعروف والتلبس بالآداب الجميلة، والكرم والبذل ابتداءً أو عند السؤال، والحرص على الدين والمعرض والمقدسات، ورد العادي والثبات له، والفتوة والشيمة، وقول الحقيقة، والحفاظ على أمانات الناس وإرجاعها، والتواصل مع القربى، وإكرام الضيف وحسن الجوار، والتجمل من الله تعالى ومن الناس عند الإقدام على ما يخذش الحياء.

كما أن هناك صفات أخرى عدّها الأئمة عليهم السلام من مكارم الأخلاق كالعفو عن الظالم، ومواساة الرجل أخاه في ماله، وذكر الله تعالى كثيراً.

### - نصائح

١- هناك تلازم بين الخلق الحسن والعقل، وبين الخلق السيئ والجهل وهذا ما يبحث على طلب الإلهي لبناء (كما هو في الأصل) العقل وكماله لكي يتصف صاحبه بالخلق الحسن فلذا نجد أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد على ذلك بقوله:

«الْخُلُقُ الْحَمْدُ مِنْ ثَمَارِ الْعَقْلِ، الْخُلُقُ الْمَذْمُومُ مِنْ ثَمَارِ الْجَهْلِ»<sup>(٢)</sup>.

٢- إذا كانت صورة المؤمن جميلة فليحافظ على جمالها بحسن الخلق، يقولون

(١) الخصال: ص ٤٣١، ح ١١.

(٢) غرر الحكم: ١٢٨٠ - ١٢٨١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٢، ح ٤٩٩٣.

جميلاً في الظاهر والباطن كما ورد ذلك في سفينة البحار عن جرير بن عبد الله قال :  
قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«إِنَّكَ أَمْرٌ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ خُلُقَكَ فَأَحْسِنْ خُلُقَكَ»<sup>(١)</sup>.

٣- إذا ادعى شخص الإيمان فانظر إلى ما يستند عليه هذا لإيمان فإن كان له خلق حسن فنعم السند وإلا فلا، وهذا أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم :

«لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِيمَانَ قَالَ: اللَّهُمَّ قَوِّنِي، فَقَوَّاهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ وَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْكُفْرَ قَالَ: اللَّهُمَّ قَوِّنِي، فَقَوَّاهُ بِالْبُخْلِ وَسُوءِ الْخُلُقِ»<sup>(٢)</sup>.

٤- إذا رغبت في ثواب القائمين والصائمين عليك بالخلق الحسن لتتال درجتهم وهذا ما أشار إليه نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم :

«مَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بَلَغَهُ اللَّهُ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»<sup>(٣)</sup>.

٥- إذا ضعفت نفسك عن العبادة ولم تتوفر لك مستلزمات كصحة البدن وعدم الغفلة والنشاط البدني والإقبال القلبي، ليس لك دواء لدائك إلا حسن الخلق فلذا اسمع قول سيد المرسلين في ذلك إذ يقول :

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ وَشَرَفِ الْمَنَازِلِ، وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ»<sup>(٤)</sup>.

٦- إذا أردت لميزانك أن يكون ثقيلاً يوم توضع الموازين عليك بالتحلي بالخلق الحسن، وهذا ما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

«مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»<sup>(٥)</sup>.

(١) سفينة البحار : ج ١، ص ٤١٠. ميزان الحكمة : ج ٣، ص ١٠٧٣، ح ٤٩٩٨.

(٢) المحجة البيضاء : ج ٥، ص ٩٠. ميزان الحكمة : ج ٣، ص ١٠٧٢، ح ٤٩٨٦.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ٢، ص ٧١، ح ٣٢٨. ميزان الحكمة : ج ٣، ص ١٠٧٤، ح ٥٠٠٩.

(٤) المحجة البيضاء : ج ٥، ص ٩٣. ميزان الحكمة : ج ٣، ص ١٠٧٤، ح ٥٠١٠.

(٥) ميزان الحكمة : ج ٣، ص ١٠٧٤، ح ٥٠١٦. بحار الأنوار : ج ٧١، ص ٣٨٣، ح ١٧.

## أسئلة مهمة

السؤال الأول: ما هي الصفات التي اتصف بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكي ينال المدح الإلهي بقوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم)؟.

الجواب: كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الانقياد والطاعة والعبودية التامة لربه سبحانه، وهذا ما ذكره الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

«هو الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

وكان خلقه القرآن كما ذكر ذلك الحسن البصري وقبله عائشة.

السؤال الثاني: من هو الذي سيجلس قريبا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة ويكون محبوباً إليه؟

الجواب: هذا ما أجاب عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْلِساً أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً

وَأَشَدُّكُمْ تَوَاضُعاً»<sup>(٣)</sup>.

السؤال الثالث: ما هو تفسير حسن الخلق؟

الجواب: ١- أن تكون متواضعا لطيفا ذا رفق ورحمة، وأن لا تتكلم إلا بما يرضي الله تعالى وليقع كلامك في قلوب مستمعيك، وأن تعلق وجهك طلاقة وسماحة، فإن هذه الصفات هي التي يتجسد فيها حسن الخلق كما أخبر بذلك الإمام الصادق عليه السلام لما سُئِلَ عَنْ حَدِّ حُسْنِ الْخُلُقِ قَالَ:

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) معاني الأخبار: ص ١٨٨، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٥، ح ٥٠١٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٨٥، ح ٢٦.

«تَلِينُ جَانِبَكَ، وَتُطِيبُ كَلَامَكَ، وَتَلْقَى أَخَاكَ بِشَرِّ حَسَنٍ»<sup>(١)</sup>.

٢- الرضا بعباء الله تعالى والقناعة به، وعدم الغضب والانفعال عند عدم الحصول على الدنيا، هكذا فسر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حسن الخلق بقوله :

«إِنَّمَا تَفْسِيرُ حُسْنِ الْخُلُقِ: مَا أَصَابَ الدُّنْيَا يَرْضَى، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ لَمْ يَسْخَطْ»<sup>(٢)</sup>.

٣- التنزه عن المعاصي وترك الانغماس فيها، والسعي في طلب الرزق الحلال الطيب، وإكرام الزوجة والأولاد أو من تحب عليك إعالته، هذا مما عدّه أمير المؤمنين من حسن الخلق بقوله :

«حُسْنُ الْخُلُقِ فِي ثَلَاثٍ: اجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ، وَطَلَبُ الْحَلَالِ، وَالتَّوَسُّعُ عَلَى الْعِيَالِ»<sup>(٣)</sup>.

السؤال الرابع: ما هو المميز بين الفضائل والذائل؟

الجواب: عدم الإفراط أو التفريط هو الذي يسبغ الأفعال والأقوال بالصيغة الحسنة، وبعبارة أخرى يقع القبح وتشوه الصورة، ولا بأس أن نبين ذلك من خلال المثال: إذا أردت أن تنفق فإن زاد عن حده فهو إسراف وإن قصر عن حده فهو بخل، وهكذا تجري القاعدة في الأمور الأخرى، وخير ما يؤكد ذلك قول الإمام العسكري عليه السلام إذ يقول :

«إِنْ لِّلْسَخَاءِ مِقْدَارٌ فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ سَرْفٌ، وَلِلْحَزْمِ مِقْدَارٌ فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ جُبْنٌ، وَلِلْاِقْتِصَادِ مِقْدَارٌ فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ بُخْلٌ، وَلِلشَّجَاعَةِ مِقْدَارٌ فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ تَهَوُّرٌ»<sup>(٤)</sup>.

(١) معاني الأخبار: ص ٢٥٣، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٦، ح ٥٠٢٧.

(٢) كنز العمال: ٥٢٢٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٦، ح ٥٠٢٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٩٤، ح ٦٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٦، ح ٥٠٢٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٤٠٧، ح ١١٥.

السؤال الخامس : كيف نحكم على من نعاشر؟

الجواب : ١- ينصح أمير المؤمنين عليه السلام من يريد أن يكون رأياً عن صاحبه أن ينظر إلى أفعاله وصفاته فإن وجد صفة جيدة فليُنظر إلى الصفات الأخرى هل ستكون بجانبها وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله :  
«إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَاقَّةٌ فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتَهَا»<sup>(١)</sup>.

٢- إذا لمست بخلاً وسوء خلق من صاحبك فاحكم ببعده عن الإيمان، وذلك ما صرح به رسول الإنسانية صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :  
«خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ»<sup>(٢)</sup>.

### ثمرات حسن الخلق

ما حثت الشرائع وما صدع الأنبياء عليهم السلام بحسن الخلق إلا لما فيه من فوائد جمّة على مستوى الدنيا والآخرة، ولقد تقدم بيان ثماره في الآخرة في أحاديث متفرقة: كبلوغ صاحب الخلق الحسن درجة الصائمين والقائمين، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجلساً يوم القيامة، وثقل الميزان بالحسنات والثواب الجزيل.

وأما ثماره في الدنيا فهي كالآتي:

١- ينال صاحبه سعة في رزقه ويكثر أصدقاؤه كما قال ذلك الإمام علي عليه السلام:

«حُسْنُ الْخُلُقِ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ، وَيُؤَنِّسُ الرَّفَاقَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) فُجج البلاغة: الحكمة ٤٤٥. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٨، ح ٥١٢٣.

(٢) شرح فُجج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦، ص ٢٣٧. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٥، ح ٥٠٩٧.

(٣) غرر الحكم: ٤٨٥٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٣، ح ٥٠٧٦.

٢- قالوا إن دار الظالم خراب، وأقول إن دار سيئ الخلق مثله، ولكن دار من حسن خلقه عامرة بأهلها وبنائها، وعمر سيئ الخلق قصير مبتور، وعمر حسن الخلق طويل في طاعة الله تعالى، ولذا نجد الإمام الصادق عليه السلام يقول:

«إِنَّ الْبِرَّ وَحُسْنَ الْخُلُقِ يَغُفِّرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ».

٣- إذا سر العاقل أن يكون محبوبا ومحترما عند الناس، فما عليه إلا أن يكون ملتزما بحسن الخلق، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«حُسْنُ الْخُلُقِ يُثَبِّتُ الْمَوَدَّةَ».

### - سوء الخلق في نظر أهل البيت عليهم السلام

تقدم الكلام عن حسن الخلق ومكارمه في نظر أهل البيت عليهم السلام فكان كلاما يسر العقول ويشنف الأسماع ويقوي القلوب ويبعث على التنافس في المكارم، فحسن الخلق طيب يتعطر به المؤمنون، وتاج يتزين به العقلاء، ودرع يتوقى بها مجاهدوا النفوس، ووسيلة يتقرب بها المقربون، وجلباب يتجلبب به أهل الحياء، ودرجة يرتقي بها أهل العلو والرفعة، وفضل يمنّ به المحسنون، وعدل يحكم به الحاكمون، وبر يبذله أهل المعروف، ورضا تقنع به النفوس، واطمئنان تتحلى به القلوب، وأنس يأنس به الأصحاب.

وأما سوء الخلق! مرض يصيب الجاهلين، ونتاجة يفر منها أهل الذوق، ودناءة للنفوس، وتسافل في الدرجات، وفساد للعمل الصالح، وقرين مانع للخير، ووحشة للأهل والأحباب، وحاجب عن التوبة، وغم لا ينجلي، وهم لا ينكشف، وعذاب لا يزول إلا بزوال صاحبه، ونكد للعيش، وبعد عن الله تعالى، وجفوة للدين، ومخالفة لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وترك لسيرة المعصومين عليهم السلام وسبيل إلى النار.

(١) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٩٥، ح ٧٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٣، ح ٥٠٧٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٤٨، ح ٧١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٤، ح ٥٠٨٠.

## آثار سوء الخلق

بعد هذا الوصف الذي وصف أهل البيت عليهم السلام فيه سوء الخلق نجد أنفسنا في غنى عن ذكر آثاره ولكن ليطمئن قلب القارئ بذكر بعض أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام الذين حذروا من سوء الخلق وبيّنوا سوء عواقبه:

١- ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ أَشَقْلَ ذَلِكَ جَهَنَّمَ»<sup>(١)</sup>.

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَعْدٍ كُمْ مَنِي شَبَها؟

قالوا: بلى يا رسول الله، قال:

الفاحِشُ الْمُتَفَحِّشُ الْبَذِيءُ الْبَخِيلُ الْمُخْتَالُ الْحَقُودُ الْحَسُودُ الْقَاسِي الْقَلْبُ الْبَعِيدُ

مِنْ كُلِّ خَيْرٍ يُرْجَى، غَيْرَ الْمَأْمُونِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ يُتَّقَى»<sup>(٢)</sup>.

٣- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«الْخُلُقُ السَّيِّئُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسْلَ»<sup>(٣)</sup>.

٤- ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ أَعْوَزَهُ الصَّدِيقُ وَالرَّقِيقُ»<sup>(٤)</sup>.

وقال عليه السلام:

«مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ ضَاقَ بَرْقُهُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) المحجة البيضاء: ج ٥، ص ٩٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٦، ح ٥١٠١.

(٢) الكافي: ج ٢، ٢٩١، ح ٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٦ - ١٠٨٧، ح ٥١١٠.

(٣) الكافي: ج ٢، ٣٢١، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٤، ح ٥٠٨٦.

(٤) غرر الحكم: ٩١٨٧. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٦، ح ٥١٠٥.

(٥) غرر الحكم: ٨٠٢٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٦، ح ٥١٠٦.



٥- ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«سُوءُ الْخُلُقِ شَرُّ قَرِينٍ»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام:

«سُوءُ الْخُلُقِ نَكَدُ الْعَيْشِ وَعَذَابُ النَّفْسِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام أيضا:

«سُوءُ الْخُلُقِ يُوحِشُ النَّفْسَ، وَيَرْفَعُ الْأُنْسَ»<sup>(٣)</sup>.

٦- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَبَ نَفْسَهُ»<sup>(٤)</sup>.

## - الحلم

أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى صفة لا غنى عنها في الحياة الدنيا لاسيما عند معايشرة اللؤماء والجاهلين، فهذه الصفة تظهر بتمامها في اسم الحليم الذي هو من أسماء الله تعالى الحسنى، إلا أن تفسير هذه الصفة التي يتصف بها الله تعالى غير تفسيرها عندما يتصف بها العبد، ولكي يتضح الأمر بدرجة أكثر لا بد من التعرض لمعرفة مفهوم الحلم لغة واصطلاحاً.

الحلم في اللغة: هو ترك العجلة، الصفح والستر، هو الأناة وضبط النفس، حُلْمٌ: تأني وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة<sup>(٥)</sup>.

(١) غرر الحكم: ٥٥٦٧. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٥، ح ٥٠٨٩.

(٢) غرر الحكم: ٥٦٣٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٥، ح ٥٠٩٠.

(٣) غرر الحكم: ٥٦٤٠. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٥، ح ٥٠٩١.

(٤) بحار الأنوار: ٧٨، ص ٢٤٦، ح ٦٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٨٦، ح ٥١٠٢.

(٥) المعجم الوسيط: ص ١٩٤.

الحلم في الاصطلاح: هو السيطرة على النفس عند هيجان الغضب وضبطها عن الانتقام مع القدرة عليه دون أن يستلزم ذلك الذل والهوان.

وصف أهل البيت عليهم السلام الحلم بأنه من الفضائل التي يتجمل به صاحبه، ويتخذ منه واقياً من الإصابة بالبلايا والعواقب الوخيمة، بل هو من لوازم الإيمان وكمال العقول، وهو علامة الاتزان، وسبب تكون العشيرة، ودلالة على عبادة صاحبه، ووسيلة لسيادته على غيره، وطريقة للانتصار على العدو، ورد للفسيفيه، ومدعاة للسلم.

### بحث عقائدي

#### غضب وحلم الله تعالى

تقدم الكلام عن أن الحلم هو الأناة وضبط النفس والسكن عند الغضب، فلذا ورد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما يصرح بأن الله سبحانه يتصف بالحلم ويسمى بالحليم كما في قوله تعالى :

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ حَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى :

﴿إِنْ تُرِضُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا يُضْعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٧.

وهناك الكثير من الآيات الأخرى التي تصرح بذلك، كما ورد أيضا في الأحاديث الشريفة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من دعائه في يوم الأحزاب:

«إلهي أنت الحليم الذي لا يجهل»<sup>(١)</sup>.

وورد أيضا عن الإمام الكاظم عليه السلام في صفة الله تعالى قوله:

«الحليم الذي لا يعجل»<sup>(٢)</sup>.

ومما لا شك فيه أن الاتصاف بالحلم لا يأتي إلا بعد غضب يعتري الساكن فيهيح بسببه فيبادر إلى رد فعل عنيف أو يحاول ضبط نفسه والسيطرة على سلوكه، فيلزم من ذلك حدوث تغير في حاله، ولكن لا تجري هذه التغيرات في الله سبحانه لاستحالة قيام الحوادث وطريئها على ذاته سبحانه لأنه واجب الوجود، ولكي يتضح الأمر جليا لابد من الوقوف على معنى الغضب الإلهي سواالحلم الإلهي.

قبل الاطلاع على معنى الغضب الإلهي لابد أن نعرف أن الله تعالى يغضب على عباده العصاة كما ورد ذلك في كثير من الآيات الشريفة كما في قوله تعالى:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفْقَهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِتَايِبَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ يَغْيِرُ حَقَّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَذِبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٩١، ص ٢١٢، ح ٧.

(٢) موسوعة العقائد الإسلامية، محمد الريشهري: ج ٤، ص ١٥٢، ح ٤٤٤٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٩٣.

وقوله تعالى:

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾<sup>(١)</sup>.

وهناك الكثير من الآيات الأخرى التي تصرح بذلك فراجع.

ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤكد ذلك كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله رجل: أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ آمِنًا مِنْ سَخَطِ اللَّهِ — قال:

«لَا تَغْضَبْ عَلَى أَحَدٍ تَأْمَنُ غَضَبَ اللَّهِ وَسَخَطَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن الغضب مذكور في التوراة أيضا كما في قوله عليه السلام:

«مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ... يَا مُوسَى، أَمْسِكْ غَضَبَكَ عَمَّنْ مَلَكَتْكَ عَلَيْهِ، أَكْفَ عَنْكَ غَضَبِي»<sup>(٣)</sup>.

وما ذكره السيد المسيح عليه السلام يؤكد أن الأديان السماوية تشير إلى أن الله تعالى يغضب ويحل غضبه على من يستحقه كما في قوله عليه السلام:

(لَمَّا سَأَلَهُ الْخَوَارِئُونَ: أَيُّ الْأَشْيَاءِ أَشَدُّ؟ —: أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ غَضَبُ اللَّهِ.

قالوا: فِيمَا يُتَّقَى غَضَبُ اللَّهِ؟، قال: بَأَنْ لَا تَغْضَبُوا)<sup>(٤)</sup>.

بعد أن عرفنا بموجب الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن الله تعالى يغضب

(١) سورة طه، الآية: ٨١.

(٢) كنز العمال: ٤٤١٥٤. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٠٩، ح ١٥٠٥٢.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٠٣، ح ٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٠٨، ح ١٥٠٥٠.

(٤) مشكاة الأنوار: ص ٢١٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٠٨، ح ١٥٠٥١.

على من يستحق الغضب وينزل غضبه على ذلك العاصي المستحق لهذا الغضب وعرفنا من خلال الآيات التي تقدم ذكرها في ذكر صفة الحلم بأنه تعالى يتصف بالحلم ويصف نفسه سبحانه بالحليم، فبعد هذا صار من الضروري أن نعرف المعنى الحقيقي لغضب الله تعالى وحلمه على عباده فنقول:

عرف أهل اللغة الغضب بأنه: البغض وحب الانتقام من المبعوض<sup>(١)</sup>.

وجاء في المعجم الوسيط، غضب عليه غضباً: سخط عليه وأراد الانتقام منه، الغضب: استجابة لانفعال تتميز بالميل إلى الاعتداء<sup>(٢)</sup>.

الغضب في الاصطلاح: هو هياج يعتري الإنسان يدفعه إلى رد فعل عنيف.

ولو تأملنا ما تقدم من معان للغضب لا نجد لها تصلح للإنطباق على الغضب الإلهي لما فيها من فساد عقائدي فلم يبقَ لنا إلا أن نطرق باب أهل بيت العصمة عليهم السلام ليعرفونا المعنى الحقيقي لغضب الله تعالى.

لقد ورد من محاوراة بين رجل يدعى (عمرو بن عبيد) والإمام الصادق عليه السلام في ذلك وهي كالآتي:

قال عمرو بن عبيد: أخبرني (جعلت فداك) عن قوله جل ذكره:

﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>.

ما غضب الله؟

فقال أبو جعفر عليه السلام:

«غضب الله عقابه يا عمرو، ومن ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر».

(١) المنجد الأبيدي: ص ٧٣٧.

(٢) المعجم الوسيط: ص ٦٥٤.

(٣) سورة طه، الآية: ٨١.

وورد في توحيد الصدوق : (أن أحمد بن الحسن القطان قال : حدثنا الحسن بن علي السكري، قال : حدثنا محمد بن زكريا الجوهري، عن جعفر بن عمار، عن أبيه قال : سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له : يا بن رسول الله أخبرني عن الله عز وجل هل له رضا وسخط؟ فقال :

«نعم وليس ذلك على ما يوجد في المخدوقين ولكن غضب الله عقابه، ورضاه ثوابه»<sup>(١)</sup>.

وعند التأمل في هذين الحديثين الشريفين يتضح لنا المعنى الحقيقي لـ (غضب الله تعالى) وليس هو إلا عقابه أو عذابه وليس ثورة وهياجاً وتغييراً لاستحالة ذلك في الذات الإلهية.

وأما المعنى الحقيقي لحلم الله تعالى هو الغض عن معاصي العباد، وأنه لا يعجل في مؤاخذتهم، بل يمهّل ولا يهمل أي يرجئ العقوبة إلى حين آخر بحكمته، وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

«أوصى الله عز وجل إلى أخي العزيز.. لا تأمن مكري حتى تدخل جنتي، فاهتز عزيزي بكى، فأوصى الله إليه لا تبك يا عزيز، فإن عصيتني بجهلك غفرت لك بحلمي، لأنني كريم لا أعجل بالعقوبة على عبادي وأنا أرحم الراحمين»<sup>(٢)</sup>.

خلاصة الكلام : أن الغضب الإلهي هو العقاب والعذاب وليس هياجاً أو فورة دم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأما الحلم فهو تأخير العقوبة وإرجاؤها إلى حين وليس سكناً وهدوءاً وضبط نفس لاستحالة اتصافه بذلك لأنه تعالى ليس محلاً لظروء الحوادث أو التغير.

(١) كتاب التوحيد للصدوق : ص ١٧٠.

(٢) موسوعة العقائد الإسلامية : ج ٢، ص ١٥١.

### الحلم في نظر أهل البيت عليهم السلام

الحلم هذه الصفة التي لا يستغني عنها العقلاء فسرّها أهل البيت عليهم السلام بأنها الربط الشديد لفوهة النفس لكي لا يخرج غضبها والسيطرة والاستيلاء على القلب عندما تعصف به فورة الدم ولذلك قال الإمام الحسن عليه السلام وقد سئل عن الحلم:

«كظم الغيظ وملك النفس»<sup>(١)</sup>.

ويرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الحلم بأنه القدرة على الاحتمال بقوله:

«كمال العلم الحلم وكمال الحلم كثرة الاحتمال والكظم»<sup>(٢)</sup>.

بل يدعو الإمام إلى أن يترجم الحلم إلى تجلّد وسكوت كما في قوله عليه السلام:

«الحلم كالصبر والصمت»<sup>(٣)</sup>.

ويشير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى زاوية أخرى ليعرف لنا الحلم بالعشرة الهادئة التي يضطر إليها الإنسان عند ابتلائه بلثيم أو أحق أو سيئ العشرة ولذا نجده يقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَيْسَ بِحَلِيمٍ مَنْ لَمْ يُعَاشِرْ بِالْمَعْرُوفِ مَنْ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَخْرَجاً»<sup>(٤)</sup>.

ويرى الإمام الباقر عليه السلام أن دفع الشر والضرر من أفراد الحلم الذي يحتاج عند الابتلاء بذلك كما في قوله عليه السلام:

«لَيْسَ الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَتَّقِي أَحَدًا فِي مَكَانِ التَّقْوَى»<sup>(٥)</sup>.

(١) تحف العقول لابن شعبة الخرائي: ص ٢٢٥.

(٢) موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٢، ص ٤١٢، ٢٩١٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) كنز العمال: ٥٨١٥. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩١٠، ح ٤٣٤٨.

(٥) الكافي: ج ٨، ص ٥٥، ح ١٦. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩١٠، ح ٤٣٥٠.

## - آثار الحلم

لا شك أن لكل فضيلة يتصف بها الإنسان من ثمرات دنيوية وأخرية جزاءً لما اتصف به ومن تلك الفضائل فضيلة الحلم التي تعود على صاحبها بثمرات لا غنى عنها لمن أراد الرفعة والمودة كما يلي:

١- التحلي بالحلم يوجب السيادة والتقدم على الآخرين كما جاء ذلك على لسان أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«مَنْ حَلَمَ سَادَ»<sup>(١)</sup>.

٢- ومن ينشد السلامة والابتعاد عن الدخول في الاختلافات التي توقع الضرر فليتصف بالحلم عند تعامله مع الآخرين كما دل على ذلك قول إمام الموحدين عليه السلام:

«السُّلْمُ ثَمَرَةُ الْحِلْمِ»<sup>(٢)</sup>.

٣- إذا دخل المرء في أزمة مع غيره إلى درجة العداء وكان راغباً في الانتصار عليه فليتحلى بالحلم لينال مبتغاه كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«مَنْ حَلَمَ عَنْ غَدْوَةٍ ظَفِرَ بِهِ»<sup>(٣)</sup>.

٤- ومن أراد الأمان والاطمئنان في الآخرة من غضب الله تعالى فليلتزم بالحلم عندما يغضب في الدنيا وهذا ما أكدته إمام المتقين عليه السلام بقوله:

«الْحِلْمُ عِنْدَ شِدَّةِ الْغَضَبِ يُؤْمِنُ غَضَبَ الْجَبَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٠٨، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩٠٩، ح ٤٣٣٤.

(٢) غرر الحكم: ٩٠١. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩٠٩، ح ٤٣٣٥.

(٣) كزّ الفوائد: ج ١، ص ٣١٩. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩٠٩، ح ٤٣٣٨.

(٤) غرر الحكم: ١٧٧٦. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩١٠، ح ٤٣٤٦.



## - أسئلة مهمة

السؤال : إذا كنت معتادا على الغضب ولم أستطع أن أملك نفسي فما هو العلاج؟

الجواب : ينصح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بتدريب النفس على الحلم حتى يصل صاحبها إلى الاتصاف بالحلم وهذا ما صرح به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

«إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

السؤال : وصف القرآن الكريم إبراهيم بأنه حلیم في قوله تعالى :

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ووصف الله تعالى بأنه حلیم أيضا في قوله تعالى :

﴿وَعَلَّمُوا أَنْ اللَّهَ عَفُّورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

فكيف يصح تسمية إبراهيم عليه السلام باسم من الأسماء الحسنى المختصة بالله تعالى؟

الجواب : ١- إن الله تعالى متصف بالحلم بمعنى تأخير العقوبة دون حدوث انفعال في ذاته المقدسة، بينما يتصف إبراهيم عليه السلام بالحلم بعد حدوث انفعال في ذاته.

٢- الله تعالى حلیم بالاستقلال دون تعلم أو تربية تلقاهما من أحد، وأمّا إبراهيم عليه السلام فهو حلیم بتأديب الله تعالى له.

(١) نَجْدِ الْبَلَاغَةِ: الْحِكْمَةُ ٢٠٧. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩٠٧، ح ٤٣١٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٧٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

السؤال: كيف نُميّز بين الحليم والجبان؟

الجواب: إذا اقترن السكون وضبط النفس بالقدرة على الرد والانتقام فصاحبه

حليم وإذا فقد القدرة على الرد فهو عجز وجبن وذل.

السؤال: ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فهل هناك علاقة بين العلم والحلم؟

الجواب: لا نستطيع أن نتصور عالماً لا يتحلّى بالفضائل لاسيما بفضيلة الحلم

لما لهذه الفضيلة من أهمية في حياة العلماء الذين أخذوا على أنفسهم تعليم الجاهلين

والصبر على إرشادهم وتحمل نزفهم وهذا لا يتم إلا بالتحلي بصفة الحلم، وما جاء

عن أهل البيت عليهم السلام ما أكد هذا المعنى كقول رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا جُمِعَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ»<sup>(٢)</sup>.

وقول أمير المؤمنين عليه السلام الذي يشير إلى أن العلم لا يعطي فائدة تترجى إلا

إذا ازدوج مع الحلم كما في هذا الحديث الشريف:

«لَنْ يُثْبِرَ الْعِلْمُ حَتَّى يُقَارَنَهُ الْحِلْمُ»<sup>(٣)</sup>.

وأكد الإمام الباقر عليه السلام أن اللباس الذي يلبسه العلماء هو الحلم فلذلك

يقول:

«الْحِلْمُ لِبَاسُ الْعَالِمِ، فَلَا تَعْرِينَ مِنْهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النساء، الآية: ١٢.

(٢) كنز العمال: ٥٨٢٩. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩١١، ح ٤٣٦٢.

(٣) غرر الحكم: ص ٧٤١١. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩١١، ح ٤٣٥٨.

(٤) الكافي: ج ٨، ص ٥٥، ح ١٦. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩١١، ح ٤٣٥٦.

## - الوفاء

الوفاء فضيلة وعلامة تدل على أن صاحبها من أهل المعروف والرفعة والعلو لما فيها من آثار حميدة فى الدنيا والآخرة، والاتصاف بالوفاء يتم عن نفس عزيزة تحترم عهودها وأقوالها وعقودها وشروطها، وهى لباس المؤمنين قبل غيرهم فلذا نجد القرآن الكريم فى آيات متعددة أكد على ضرورة الاتصاف بالوفاء بل أمر بذلك كما فى قوله تعالى:

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا اَوْفُوا بِالْعُقُوْدِ اُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْاِنْفَعِ اِلَّا مَا يَتَنَبَّأُ عَلَيْكُمْ عَيَّرْ مُحِلِّ الصَّيْدِ وَاَنْتُمْ حُرْمٌ اِنَّ اللّٰهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيْدُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْرُبُوْا مَالَ الْيَتِيْمِ اِلَّا بِالَّتِيْ هِيَ اَحْسَنُ حَتّٰى يَبْلُغَ اَشَدُّهُ وَاَوْفُوا بِالْعَهْدِ اِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُوْلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ولكى يطّلع القارئ الكريم على مفهوم الوفاء لابد من معرفة معنى الوفاء لغة واصطلاحاً:

الوفاء فى اللغة: وفى فلان نذره: آداه، وفى بعده: عمل به، وفى فلانا حقه: أوفاه إياه<sup>(٣)</sup>.

الوفاء فى الاصطلاح: هو حفظ العهد وعدم نقضه، والالتزام بالوعد وتحقيقه وامضاء العقود وعدم الرجوع فيها دون مسوّغ.

إذن الوفاء وسيلة لدرء صفة الغدر القبيحة، وعلامة على إيمان المؤمن، وردع

(١) سورة المائدة، الآية: ١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

(٣) المعجم الوسيط: ص ١٠٤٧.

لدفع الازدراء والانتقاص، وجمال يزين الأخوة، ورفعة بين الناس، وأحد الأسس الدينية، وركن من الأركان الأخلاقية، وعنوان للمودة، وقرين للصدق.

لقد حثت الشريعة الإسلامية على ضرورة الوفاء بالعهد والعقد والشرط والوعد، وأشارت الأحاديث الشريفة إلى هذه الفضيلة وسموها كما في الأحاديث الآتية:

١- قال الإمام علي عليه السلام:

«الكَرَمُ فَضْلُ الْوَفَاءِ نُبْلٌ»<sup>(١)</sup>.

٢- وعنه عليه السلام:

«الْوَفَاءُ تَوَامُّ الصِّدْقِ»<sup>(٢)</sup>.

٣- وعنه عليه السلام:

«يُحَسِّنُ الْوَفَاءُ يُعْرِفُ الْإِبْرَارُ»<sup>(٣)</sup>.

وهناك بعض الأحاديث التي تشير إلى منزلة صاحب هذه الفضيلة كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَقْرَبُكُمْ غَدًا مِنِّي فِي الْمَوْقِفِ أَصْدَقُكُمْ لِلْحَدِيثِ، وَأَدَاكُمْ لِلْأَمَانَةِ.

وَأَوْفَاكُمْ بِالْعَهْدِ، وَأَحْسَنُكُمْ خُلُقًا، وَأَقْرَبُكُمْ مِنَ النَّاسِ»<sup>(٤)</sup>.

وحديث آخر يصرح أن الوفاء سبب في جعل صاحبه من المصطفين عند الله تعالى وعند الناس كما في قوله أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ أَحْسَنَ الْوَفَاءَ اسْتَحَقَّ الْأَصْطِفَاءَ»<sup>(٥)</sup>.

(١) غرر الحكم: ١٣. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٩٦، ح ٢٢٢٧٦.

(٢) غرر الحكم: ٢٧١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٩٦، ح ٢٢٢٧٤.

(٣) غرر الحكم: ٤٣٣١. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٩٧، ح ٢٢٢٨١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٩٤، ح ١٢. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٩٥ - ٤٧٩٦، ح ٢٢٢٦٣.

(٥) غرر الحكم: ٨٦٩٠. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٩٧، ح ٢٢٢٨٣.

## - سؤال مهم

السؤال : إذا لزم من الوفاء تفويت مصلحة ما، فهل يجوز لنا تركه؟  
الجواب : لا يجوز ذلك أخلاقيا وفقهيا حسب ما ورد عن العلماء الأعلام.

## وقفه

أخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى لا يخلف الميعاد كما جاء فى قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وسيفي لمن وعده بالثواب على عمله الصالح وهذا ما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«مَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلٍ ثَوَابًا فَهُوَ مُنْجِزُهُ لَهُ، وَمَنْ أَوْعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَابًا فَهُوَ فِيهِ

بِالْخِيَارِ»<sup>(٣)</sup>.

وأكد هذا القول أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

«أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَارْغَبُوا فِي مَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ

أَصْنَقُ الْوَعْدِ»<sup>(٤)</sup>.

وما هذا الالتزام بتحقيق الوعد إلا وفاء لما وعدنا به، وفى هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تربية لنا على ضرورة الوفاء بالوعد، إن الوعد دين فى ذمة صاحبه،

(١) سورة الرعد، الآية : ٣١.

(٢) سورة آل عمران، الآية : ٩.

(٣) التوحيد: ص ٤٠٦، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٣٤، ح ٢١٩٤٩.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١١٠. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٣٤، ح ٢١٩٥١.

وحق يجب الوفاء به كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«العدة دين ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ثم أخلف ويل لمن وعد ثم أخلف».

وما هذا التشديد على الوفاء بالوعد إلا علامة على سمو ورفعة الأخلاق الإسلامية.

ولكي نرى عظمة الإسلام من خلال هذه الفضيلة لا بد أن نطلع على ما قاله أئمة المسلمين عليهم السلام بالحق فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يصور لنا حاله عند إعطائه وعداً لأحد الناس بقوله:

«ما بات لرجل عندي موعداً قط فبات يتملأ على فراشه ليغدو بالظفر بحاجته، أشد من تملمي على فراشي حرصاً على الخروج إليه من دين عديته، وخوفاً من عاقب يوجب الخلف؛ فإن خلف الوعد ليس من أخلاق الكرام»<sup>(١)</sup>.

ونردف قول أمير المؤمنين عليه السلام بقول الإمام الصادق عليه السلام الذي ينقل لنا ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جراء التزامه بوعده قطعه لرجل فيقول:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعد رجلاً إلى الصخرة فقال: أنا لك ها هنا حتى تأتي، قال: فاشتلت الشمس عليه.

فقال له أصحابه: يا رسول الله، لو أنك تحولت إلى الظل! قال:

وعدته إلى ها هنا وإن لم يحنى كان منه المحشر»<sup>(٢)</sup>.

فيتضح مما تقدم ضرورة الالتزام بالوعد والوفاء به حتى لو لحق بصاحبه الضرر.

(١) غرر الحكم: ٩٦٩٢. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٣٥، ح ٢١٩٥٩.

(٢) مكارم الأخلاق: ج ١، ص ٦٤، ح ٦٣. ميزان الحكمة: ج ١١، ص ٤٧٣٦، ح ٢١٩٧١.

## - نصيحة معصومية

يعلم أهل بيت العصمة عليهم السلام أن بعض الناس قد يخلف الوعد ويترك الوفاء به اضطراراً دون إرادته بسبب عدم قدرته على إنجاز الوعد فلذا أكدوا على ترك الوعد عند العلم بعدم القدرة على الوفاء به كما في الأحاديث الآتية :

قال الإمام علي عليه السلام :

«لَا تَعْنَنَّ عِدَّةً لَا تَبْقَى مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الصادق عليه السلام :

«لَا تَعْنَنَّ أَخَاكَ وَعَدَا لَيْسَ فِي يَدِكَ وَفَاؤُهُ»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال لرجلٍ قال له : عِدْنِي - :

«كَيْفَ أَعِدُّكَ وَأَنَا لِمَا لَا أَرْجُو أَرْجَى مِنِّْي لِمَا أَرْجُو؟!»<sup>(٣)</sup>.

## الاستكبار

هذه الصفة من الصفات العجيبة إذ إنها رذيلة من جهة وكمال من جهة أخرى ، فهي رذيلة بلحاظ العبد وكمال بلحاظ المولى جل وعلا ، فالكبر رداء الله تعالى فلا يحق لغيره منزعته رداءه والتشبه به ، بل أن العبد بذاته الفقيرة المحتاجة لا يليق به أن يكون مستكبرا ، فإن فعل ذلك فهو ناشئ من جهله وحماقته ، وهذا ما فعله إبليس فاستحق على أثره الطرد والتصغير كما في قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَأَهْطِ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) غرر الحكم : ١٠٢٩٧ . ميزان الحكمة : ج ١١ ، ص ٤٧٣٧ ، ح ٢١٩٧٣ . سس

(٢) بحار الأنوار : ج ٧٨ ، ص ٢٥٠ ، ح ٩٤٤ . ميزان الحكمة : ج ١١ ، ص ٤٧٣٧ ، ح ٢١٩٧٤ .

(٣) كتاب النقيض : ج ٣ ، ص ١٦٥ ، ح ٣٦١٠ . ميزان الحكمة : ج ١١ ، ص ٤٧٣٧ ، ح ٢١٩٧٥ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٣ .

ولذا لا بد من معرفة هذه الصفة الذميمة لغة واصطلاحاً:

استكبر في اللغة: امتنع عن قبول الحق معاندة وتكبرا، والكبر: العظمة والتجبر<sup>(١)</sup>.

الاستكبار في الاصطلاح: هو التعالي على الآخرين وإعطاء قدرٍ لنفسه فوق قدر الغير.

فالتكبر خلق إبليس الذي كان سبباً في طرده من رحمة الله تعالى، فلا يصح لعاقل أن يتصف بهذه الصفة الذميمة لما لها من عاقبة وخيمة وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِيَّاكَ وَالْكِبَرُ؛ فَإِنَّهُ أَظْلَمُ الذُّنُوبِ وَالْأَمُّ الْعُيُوبِ وَهُوَ حِلْيَةُ إِبْلِيسَ»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الصفة الذميمة لها آثار وخيمة ندرجها كما يلي:

١- التكبر يوجب ضياع الأعمال الصالحة كما في قول سيد المتقين عليه السلام:

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلُهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدُهُ الْجَهِيدَ...

عَنْ كَبِيرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ! فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟»<sup>(٣)</sup>.

٢- التكبر يوجب نقصان العقل كما في قول الإمام الباقر عليه السلام:

«مَا دَخَلَ قَلْبٌ أَمْرِي شَيْءٌ مِنَ الْكِبَرِ إِلَّا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ مِثْلُ مَا دَخَلَهُ مِنْ ذَلِكَ،

قَلَّ ذَلِكَ أَوْ كَثُرَ»<sup>(٤)</sup>.

٣- عاقبة التكبر ويكتب صاحبه في سجل الطغاة الظلمة كما في قول رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) لسان العرب: ج ٥، ص ١٢٦.

(٢) غرر الحكم: ٢٦٥٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٠٨، ح ١٧٢٠٦.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٠٨، ح ١٧٢٠٨.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٨٦، ح ١٦٣. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٠٩، ح ١٧٢١٤.



«لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يُتَكَبَّرُ وَيَنْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ، فَيَصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

٤- يُبْعَدُ صَاحِبُهُ عَنْ دَارِ النِّعَمِ كَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«يَا أَبَا ذَرٍّ مَنْ مَاتَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ لَمْ يَجِدْ رَاحَةَ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ قَبْلَ ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

### - فوائد

عند تأمل الأحاديث الشريفة التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام تظهر لنا بعض الفوائد العلمية فيما يرتبط بالتكبر وهي كما يلي:

١- إن التكبر صفة قد تصيب حتى الفقير المعدم إذا كان ذا قلب خالٍ من الخير كما صرح بذلك الإمام الصادق عليه السلام:

«الْكِبَرُ قَدْ يَكُونُ فِي شِرَارِ النَّاسِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ.. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، وَسَوَدَا، تَلَقَّطَ السَّرِيقِينَ، فَقِيلَ لَهَا: تَنَحَّيْ عَنْ طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: إِنَّ الطَّرِيقَ لَمُعْرُضٌ، فَهَمَّ بِهَا بَعْضُ الْقَوْمِ أَنْ يَتَنَاوَلَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهَا، فَإِنَّهَا جَبَّارَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

٢- قد يكون تباعد بعض الناس عمن تباعد عنه تكبرا ولكن هناك من يتباعد عمن هو متباعد عنه احتراما لنفسه ورفعاً لها عن الابتذال كما أشار إليه الإمام علي عليه السلام في قوله في صِفَةِ الْمُتَّقِينَ -:

(١) كنز العمال: ٧٧٤٩. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٠٩، ح ١٧٢٢١.

(٢) بخار الأنوار: ج ٧٧، ص ٩٠، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥١١ - ٣٥١٢، ح ١٧٢٣٣.

(٣) بخار الأنوار: ج ٧٣، ص ٢٠٩، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٠٨، ح ١٧٢١٣.

«بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَتَرَاهُ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخُدِيعَةٍ»<sup>(١)</sup>.

٣- لم يسمح الله تعالى لأحد بالتكبر لأن الكبرياء لباسه وحده الذي لا يليق إلا به سبحانه كما في قول إمام المتقين عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ الْعِزُّ وَالْكَبْرِيَاءُ، وَإِخْتَارُهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ»<sup>(٢)</sup>.

٤- إذا كان قلب المرء عارفاً بالله تعالى ولكنه محبٌ للجمال فيتظاهر به فليس هذا من التكبر بشيء وهذا ما دل عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً! قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ يَبْطِرُ الْحَقَّ وَغَنَطُ النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>.

٥- إن للكبر ظاهراً وباطناً فأما الظاهر ما ظهر على الجوارح وأما الباطن ما كان في قلبه أنه يرى نفسه فوق الغير.

٦- كل متكبر لا يتكبر إلا بسبب شعوره بالنقص كما دل على ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَا مِنْ رَجُلٍ تَكَبَّرَ أَوْ تَجَبَّرَ إِلَّا لِدَلَّةٍ وَجَدَهَا فِي نَفْسِهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥١٠، ح ١٧٢٢٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣، ص ١٢٧. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥١٠، ح ١٧٢٢٧.

(٣) الترغيب والترهيب: ج ٣، ص ٥٦٧، ح ٣١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥١٢، ح ١٧٢٣٤.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٣١٢، ح ١٧. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥١٧، ح ١٧٢٦٢.

٧- من أراد معالجة هذه الصفة الذميمة فعليه أن ينظر إلى عظمة الله تعالى ويحقر نفسه أمام عظمة ربه بالطاعات والعبادات كما أرشد إلى ذلك الإمام الحسن عليه السلام بقوله:

«لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَاطَمَ، فَإِنْ رَفَعَهُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَوَاضَعُوا، وَاعِزَّ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ مَا جَلَالُ اللَّهِ أَنْ يَتَذَلَّلُوا (لَهُ)»<sup>(١)</sup>.

٨- ومن معالجة الكبر ممارسة الحاجات باليد دون الاعتماد على خادم أو غلام أو أحد أفراد الأسرة فإن ذلك مما يخرج الكبر من النفس وهذا ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«مَنْ حَلَبَ شَاتَهُ وَرَقَعَ قَمِيصَهُ وَخَصَفَ نَعْلَهُ وَوَاسَلَ خَادِمَهُ وَحَمَلَ مِنْ سَوْقِيهِ، فَقَدْ بَرَّئَ مِنَ الْكِبَرِ»<sup>(٢)</sup>.

٩- إذا أردت العلو والرفعة فعليك بالتواضع هذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يَرْفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ اللَّهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ»<sup>(٣)</sup>.

١٠- تذكر أن المتكبر لا يحشر كما يحشر الناس بل سيكون أصغر شيء حتى يسحق بأقدام أهل المحشر كما ورد ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يُحْشَرُ الْجَبَّارُونَ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ يَطْوُهُمُ النَّاسُ لِهَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(٤)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٠٤، ح ٣.

(٢) كنز العمال: ٧٧٩٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٢٠، ح ١٧٢٧٧.

(٣) الترغيب والترهيب: ج ٣، ص ٥٦٠، ح ٦. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٢٣، ح ١٧٣٠٠.

(٤) المحجة البيضاء: ج ٦، ص ٢١٥. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٥٢٣، ح ١٧٣٠٢.

## - السفة

كل جميل في باطنه يرغب أن يكون ذا ظاهر جميل أيضا فيسعى لنيل الفضائل ويجاهد نفسه ليتحلى بها، ومن هذه الفضائل التي يتمنى المرء التحلي بها الوفاق والاتزان والتعقل وهذه الفضائل لا تجتمع مع السفة في حال من الأحوال لاسيما إذا عرفنا أن السفة كما ورد في كتب اللغة :

الخفة والطيش والجهل وعدم الحلم ورداءة الخلق<sup>(١)</sup>.

وأما ما اصطلاح عليه فالسفة : هو سلوك بعيد عن العقل والعلم والاحترام يسقط صاحبه من أعين الناس، فلذلك صار سببا في نفرة الأصدقاء والأحبة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«إِيَّاكَ وَالسَّفَةَ فَإِنَّهُ يُوحِشُ الرَّفَاقَ»<sup>(٢)</sup>.

بل قد يكون مدعاة لشتم صاحبه وإلحاق الضرر به كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«السَّفَةُ مِفْتَاحُ السَّبَابِ»<sup>(٣)</sup>.

وفي قول آخر :

«السَّفَةُ يَجْلِبُ الشَّرَّ»<sup>(٤)</sup>.

بل للسفة آثار وخيمة تدعو العاقل للهروب من هذه الصفة القبيحة.

(١) المعجم الوسيط : ص ٣٤٣. المنجد الأبيدي : ص ٥٥٢.

(٢) غرر الحكم : ٢٦٥٥. ميزان الحكمة : ج ٤، ص ١٧٥٤، ح ٨٦٤٢.

(٣) غرر الحكم : ٣١٣. ميزان الحكمة : ج ٤، ص ١٧٥٤، ح ٨٦٤٣.

(٤) غرر الحكم : ٨٣٤. ميزان الحكمة : ج ٤، ص ١٧٥٤، ح ٨٦٤٤.

## أسئلة مهمة

السؤال : ما هو معنى السفه في نظر أهل البيت عليهم السلام؟.

الجواب : وصف أهل البيت عليهم السلام بعض الناس الذين يسلكون سلوكا مشينا من خلال معاشرة الوضع والدوني، أو من يرتكب جريمة شرب المسكر كما في قول الإمامين الحسن والباقر عليهما السلام إذ يقول الإمام الحسن عليه السلام، لما سئل عن السفه :

«اتَّبَاعُ الدُّنَاةِ وَمُصَاحَبَةُ الْغَوَاةِ»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى :

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾<sup>(٢)</sup>.

«كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ فَهُوَ سَفِيهٌ»<sup>(٣)</sup>.

السؤال : ما هي علامة السفه؟.

الجواب : للسفيه علامات يعرف من خلالها وهي كما يلي :

١- يتجاوز على من هو أقل رتبة أو مقاما، وينقاد ويطيع لمن هو أعلى منه رتبة ومقاما كما في قول الإمام الصادق عليه السلام :

«إِنَّ السَّفَهَ خُلُقٌ لِنَبِيٍّ يُسْتَطِيلُ عَلَى مَنْ (هُوَ) دُونَهُ، وَيَخْضَعُ لِمَنْ (هُوَ) قَوْفُهُ»<sup>(٤)</sup>.

٢- السفه من يبذر الأموال ويجهل التصرف بها كما دل على ذلك قول الإمام أبي عبد الله عليه السلام عندما سأله سنان : وما السفيه؟

(١) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٠٤، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٥٥، ح ٨٦٥٣.

(٢) سورة النساء، الآية : ٥.

(٣) تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢٠، ح ٢٢. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٥٥، ح ٨٦٥٤.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٢، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٧٥٥، ح ٨٦٥٥.

فقال عليه السلام :

«الذِي يَشْتَرِي الدَّرْهَمَ بِأُضْعَافِهِ»<sup>(١)</sup>.

السؤال : كيف تتعامل مع السفية؟.

الجواب : هناك مجموعة إرشادات وآداب للتعامل مع السفية صدرت عن أهل

البيت عليهم السلام وهي كالآتي :

١- قابل السفية بسعة الصدر وعدم الوقوع في الغضب كما قال الإمام علي عليه

السلام :

«مَنْ غَاظَكَ بِقُبْحِ السَّفَةِ عَلَيْكَ، فَعِظْهُ بِحُسْنِ الْجِلْمِ عَنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

٢- ترك الرد على مخاطبة السفية وترك العتب معه لما فيه من ضرر كبير، وهذا ما

أشار إليه الإمام علي عليه السلام :

«مَنْ غَذَلَ سَفِيحاً فَقَدْ عَرَّضَ لِلْسَّبِّ نَفْسَهُ»<sup>(٣)</sup>.

## بحث عقائدي

### - الغلو

الغلو انحراف عقائدي وزلل أخلاقي يذهب بصاحبه إلى حيث الابتعاد عن

الإنصاف ومجانبة الحقيقة، بل يسلك بقلب من ابتلى به في طريق الدنس والقذارة ويسير

بعقل المتوهم في طريق الاعوجاج والتعثر، فلذا نجد القرآن الكريم حذر أهل الكتاب من

هذا البلاء الفاجر للعقل والدين بقوله تعالى :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا

(١) تهذيب الأحكام : ج ٩، ص ١٨٢، ح ٧٣١. ميزان الحكمة : ج ٤، ص ١٧٥٥، ح ٨٦٥٦.

(٢) غرر الحكم : ٨٦٢٠. ميزان الحكمة : ج ٤، ص ١٧٥٥، ح ٨٦٥٨.

(٣) غرر الحكم : ٩١٧١. ميزان الحكمة : ج ٤، ص ١٧٥٦، ح ٨٦٦٠.

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا  
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ  
يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١﴾

أي لا تضعوا عيسى بن مريم فوق ما وضعه ربه ولا تصفوه بغير ما وصفه فإن  
فعلكم هذا خلاف الدين الذي أراده الله تعالى لكم، فجعلكم المسيح عليه السلام إلهًا  
يعبد مع الله تعالى هو عين الزيف لاسيما وأنتم تعلمون أن المسيح عليه السلام بشر  
محتاج يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فكيف يرتقي إلى الغنى المطلق وهذا المعنى أكدته  
القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ  
كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا  
كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧١) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَالِيَّةَ وَالنَّيِّعَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ  
بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٧٢﴾

#### الإمام الحسين عليه السلام يحذر من الغلو

وصف الإمام الحسين عليه السلام الغلو بأنه مشكلة عويصة لا حل لها إلا  
بالتخلص من أسبابه فلذا نجده عليه السلام يقول :

«والغلو ورطة» .

ولكي يتضح لنا معنى قول الإمام عليه السلام لا بد من معرفة مفهوم الغلو لغة  
واصطلاحاً :

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١ .

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٩ و ٨٠ .

الغلو لغة : الزيادة والارتفاع ومجاوزه الحد، وغلو المرء في الدين تشدد وجاوز الحد وأفرط<sup>(١)</sup>.

الغلو اصطلاحاً: تجاوز الحد الذي بينته الشريعة وفرضه العقل في العقائد والتكاليف الدينية.

فالغلو يجعل العقيدة فاسدة ويخيب أمل صاحبه إذ يتوهم أنه ينال القرب الإلهي من خلال اعتقاده بهذه الطريقة، ولأن الاعتقاد أو التخلق بصفة ما لا بد أن يكون بعيداً عن الإفراط والتفريط جاءت الأحاديث الشريفة تترى لتبين انحراف المرء الذي يغالي في عقيدته أو في أخلاقه كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«رَجُلَانِ لَا تَنَالُهُمَا شِفَاعَتِي: صَاحِبُ سُلْطَانٍ عَسُوفٌ غَشُومٌ، وَغَالِي فِي الدِّينِ مَارِقٌ»<sup>(٢)</sup>.

ثم ركزت الأحاديث التي صدرت عن النبي وأهل بيته الكرام صلوات الله عليهم على الغلو كونه خروجاً عن الجادة المستقيمة والرأي الصائب، بل هو ابتعاد عن الإسلام كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«صِتْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَا نَصِيبَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ: الْغُلَاةُ وَالْقَدَرِيَّةُ»<sup>(٣)</sup>.

#### - الشيعة براء من الغلو

اتهم الكثيرون الشيعة بأنهم يغالون في عقيدتهم بإمامة أهل البيت عليهم السلام وبدأوا بإطلاق الأحكام الجائرة عليهم فتارة يصفونهم بالكفر وأخرى باليهود وثالثة بالشرك كما جاء ذلك في بعض كتب القوم كقول:

(١) المعجم الوسيط: ص ٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٦٩، ح ١٣. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٢، ح ١٥٢٥٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٧٠، ح ١٤. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٢، ح ١٥٢٥١.



الدكتور الشعبي (وأول هذه الفكرة - فكرة الغلو - نادى بها أصحاب حجر بن عدي الذين قتلوا صبرا بسبب تكفيرهم للخليفة عثمان، وامتناعهم عن البراءة من الإمام علي عليه السلام. ويقول صاحب الملل (والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول)<sup>(١)</sup>.  
إلا أن الشيعة براء من ذلك، بل أنهم ملتزمون بأوامر أهل البيت عليهم السلام التي تنهى عن الغلو وتصف المغالين بالكفر كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام:  
«الغلاة كفار والمفوضة مشركون...»<sup>(٢)</sup>.

### - سؤال مهم

السؤال: هناك روايات في كتب معينة تصوّر أمير المؤمنين عليه السلام بأنه يمارس دور الإله سبحانه كالتمثيل في الأرحام أو توزيع الأرزاق أو غير ذلك مما هو معروف بالصفات الأفعالية، فما هو قولكم؟  
الجواب: رد أهل البيت عليهم السلام على من يقول مثل ذلك القول بالأحاديث الآتية:

١- عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ: مُجِبٌّ مُقْرِطٌ يُقْرِطُنِي بِمَا لَيْسَ لِي، وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَتَائِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي»<sup>(٣)</sup>.

٢- عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«مَنْ تَجَاوَزَ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعُبُودِيَّةَ فَهُوَ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَمِنَ الضَّالِّينَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) الملل والنحل، الشهرستاني: ج ١، ص ١٠٨.

(٢) عيون أخبار الرضا للصدوق: ج ١، ص ٢١٩، ح ٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٨٥، ح ٣٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٣، ح ١٥٢٥٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٥، ح ٢٧٤، ص ٢٠. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٤، ح ١٥٢٦٥.

٣- وعن الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله أبو بصير، قال: عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه الصلاة والسلام: إنهم يقولون! قال عليه السلام: «وما يقولون؟».

قلت: يقولون: يَعْلَمُ قَطَرَ الْمَطَرِ، وَعَدَدَ النُّجُومِ وَوَرَقَ الشَّجَرِ، وَوزَنَ ما في الْبَحْرِ، وَعَدَدَ التُّرابِ، فَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ عليه السلام: «سبحانَ اللهِ سبحانَ اللهِ، لا واللهِ ما يَعْلَمُ هذا إلا اللهُ»<sup>(١)</sup>.

إلا أننا نرى أن فضل أهل البيت عليهم السلام لا يدانيه فضل بعد جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فلذلك قالوا بعض الأحاديث التي تخرج الإنسان عن حد الإفراط والتفريط كقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوفِنا، فُولُوا إِيَّا عَيْدُ مَرْيُوتِنا، وَقُولُوا في فَضْلِنا ما شِئْتُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وقوله عليه السلام:

«لَا تَتَجَاوَزُوا بنا الْعُبُودِيَّةَ ثُمَّ قُولُوا ما شِئْتُمْ وَلَنْ تَبْلُغُوا، وإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوكَ غُلُوكُ النَّصَارَى؛ فَإِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْغَالِيينَ»<sup>(٣)</sup>.

وقول الإمام المهدي عليه السلام لمحمد بن هلال الكرخي:

«يا مُحَمَّدُ بنَ عليٍّ، تَعَالَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا يَصِفُونَ، سُبْحانَهُ وَبِحَمْدِهِ، لَيْسَ نَحْنُ شُرَكَائِهِ في عِلْمِهِ، وَلَا في قُدْرَتِهِ»<sup>(٤)</sup>.

هذا الحديث الشريف يؤكد عدم جواز القول بألوهية أهل البيت عليهم السلام

أو أداء أفعال الله تعالى.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٩٤، ٥٢. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٥، ح ١٥٢٧١.

(٢) الخصال: ص ٦١٤، ح ١٠. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٥، ح ١٥٢٦٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٧٤، ح ٢٠. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٥، ح ١٥٢٦٨.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٦٦، ح ٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٣٠٤٥، ح ١٥٢٧٣.

## بحث أخلاقي

### الفسق

ورد ذكر هذه الدنية في الكتاب الكريم بأنها ارتكاب المنكر وفعل المحرمات وتجاوز الحدود وترك حكم الحق سبحانه وظلم العباد وإفساد البلاد وإنكار الكتب السماوية وعدم الإيمان بالأنبياء والرسل، ولكي نقف على بعض الآيات الكريمة التي ذكر فيها الفسق وصفا لعمل الحرام ودم الغاسقين لانحرافهم عن الشريعة الحقة فلابد أن نبوب هذه الآية الكريمة كالآتي:

١- ذكر الفسق وصفا لفعل الحرام كما في قوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أِهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَنْسِئُوا بِالْأَنْزَلِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَيسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْا الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخِصَّةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- ذكر الفسق وصفا لأكلي اللحم غير المذكي كما في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخَذَ إِلَى أُولِيَاءِهِمْ لِجَدِّ لَوْكُمُ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- ذكر الفسق وصفا للفسادات والنجاسات التي يجب التزهد عنها كما في قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْسَةً أَوْ دَمًا

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمِ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾.

٤- ذكر الفسق وصفا للذين لم يؤمنوا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ (١).

٥- ذكر الفسق وصفا للذين لم يحكموا بالشريعة الإسلامية كما في قوله تعالى :

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْأَيْحِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣).

٦- ذكر الفسق وصفا للمناققين في قوله تعالى :

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١).

وقال الله عز وجل :

﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٥).

٧- ذكر الفسق وصفا للذين لم يؤمنوا بالله ورسوله في قوله تعالى :

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٩٩.

(٣) سورة المائدة، الآية : ٤٧.

(٤) سورة التوبة، الآية : ٨.

(٥) سورة التوبة، الآية : ٦٧.

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وهناك الكثير من الآيات الكريمة التي يضيق بذكرها المقام تركناها للاختصار.

### - الفسق والفساق في نظر أهل البيت عليهم السلام

الحديث عن الفسق والفاستقن في القرآن الكريم كثير بعدد الفاستقن في الأرض إلا أننا نريد أن نطلع على حديث العدل الثاني للقرآن ألا وهم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فلقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام بياناً لفهوم الفسق وتوضيحاً لصفة الفاسق كما في قوله عليه السلام:

«وَمَعْنَى الْفِسْقِ: فَكُلُّ مَعْصِيَةٍ مِنَ الْمَعَاصِي الْكِبَارِ فَعَلَهَا فَاعِلٌ أَوْ دَخَلَ فِيهَا دَخِلَ بِجِهَةِ اللَّذَّةِ وَالشَّهْوَةِ وَالشَّوْقِ الْغَالِبِ، فَهُوَ فِسْقٌ وَفَاعِلُهُ فَاسِقٌ خَارِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِجِهَةِ الْفِسْقِ، فَإِنْ دَامَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَدْخُلَ فِي حَدِّ التَّهَافُوتِ وَالْإِسْتِخْفَافِ فَقَدْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ بِتَهَاوُنِهِ وَإِسْتِخْفَافِهِ كَافِرًا»<sup>(٢)</sup>.

وورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قول يدل على الفاسق ويشير إليه، فهو الإنسان الذي يلهو بما حرم الله تعالى والذي يتعاطى الكلام المحرم كالغناء أو الخوض في الباطل، والذي يتجاوز حدود الله تعالى ويعتدي على عباده ظلماً وطغياناً، والذي يكيل التهم الباطلة لغيره كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَمَّا عَلَامَةُ الْفَاسِقِ فَأَرْبَعَةٌ: اللَّهْوُ وَالْغَوُ وَالْعُدَاوَةُ وَالْبُهْتَانُ»<sup>(٣)</sup>.

وحذر أمير المؤمنين عليه السلام من الانقياد والامتثال لأوامر المتكبرين وإن كانوا

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٧٨، ح ٣١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٢١٠، ح ١٥٩١٣.

(٣) تحف العقول: ص ٢٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٢١١، ح ١٥٩١٤.

من سادة وقادة القوم لما في ذلك من أثر سيئ كما في قوله عليه السلام:

«أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبَرَانِكُمُ الَّذِينَ تَكْبَرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرْفَعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ... فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ... وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ»<sup>(١)</sup>.

ووصف الإمام علي عليه السلام الفاسق بأنه يفعل الحرام برغبة ومحبة دون نفور وتردد بل يبقى ملازماً للحرام حتى يصيبه الوهن وتعطله الشيخوخة كما قال عليه السلام:

«آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَرُوا آجِلًا، وَتَرَكُوا صَافِيًا وَشَرِبُوا آجِنًا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلْفَهُ، وَتَسَيَّ بِهِ وَوَافَقَهُ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُغِتْ بِهِ خِلَانَتُهُ»<sup>(٢)</sup>.

### - آثار الفسق

عند تأمل الآيات الكريمة في القرآن الكريم نقف على العواقب السيئة للفسق، وهي كما يلي:

١- الفسق يوجب هلاك الأمم وعذاب الدنيا قبل الآخرة كما في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدْمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

٢- الفسق يوجب الدخول في جهنم كما في قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَأَمَّا إِلَهُهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٢١١، ح ١٥٩١٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٢١١، ح ١٥٩١٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٠.

٣- الفسق يوجب العذاب الشديد الذي يجعل الطغاة والجبابرة أذلاء كما في قوله

تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طِبَنَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

٤- الفسق يوجب سقوط العذاب من السماء على الفاسقين كما في قوله تعالى:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٥- الفسق يوجب عدم الثقة بصاحبه كما في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٦- الفسق يوجب الضلال وعدم الهداية والإيمان كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا قَوْهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى:

﴿ذَلِكَ آدَتُهُ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَأَنفَوُا اللَّهَ

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

وَأَسْمِعُوا اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾.

٧- الفسق يوجب عدم قبول الأعمال كما في قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَنِيقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَن يُقْبَلَ مِنْكُمْ إِن كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٢).

٨- الفسق يوجب عدم رضى الله تعالى عن الفاسقين :

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ ليرضوا عنهم فَإِن تَرْضَوْا عنهم فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٣).

٩- يكون الفاسق بمنزلة فرعون وقومه كما في قوله تعالى :

﴿ أَسْأَلُكَ بِذَلِكَ فِي جَبِّكَ تَخْرُجَ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّقَبِ فَذَلِكَ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٤).

١٠- الفسق يوجب الحزي يوم القيامة كما في قوله تعالى :

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ رَكَبْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٥).

١١- الفسق يوجب زيغ القلوب وانحرافها عن الحق كما في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٦).

(١) سورة المائدة، الآية : ١٠٨.

(٢) سورة التوبة، الآية : ٥٣.

(٣) سورة التوبة، الآية : ٩٦.

(٤) سورة القصص، الآية : ٣٢.

(٥) سورة الحشر، الآية : ٥.

(٦) سورة الصف، الآية : ٥.





## الخطبة الخامسة

وفيها يذمّ الدّنيا ويحذّر منها





خطبها غداة اليوم الذي استشهد فيه، حمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال :

### نص الخطبة

يا عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ، وَكُونُوا مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَوِيقِيَتْ عَلَى أَحَدٍ أَوْ بَقِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ لَكَانَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ أَحَقُّ بِالتَّبَقُّاءِ وَأَوْلَى بِالرُّضَاءِ وَأَرْضَى بِالْقَضَاءِ؛ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الدُّنْيَا لِلْفَنَاءِ فَجَدِيدُهَا بَالٍ، وَنَعِيمُهَا مُضْمَجِلٌ، وَسُرُورُهَا مُكْفَهَرٌ، وَالْمَنْزِلُ ثَلَاثَةٌ، وَالدَّارُ قُلْعَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

### المعنى العام

يا أيها الخاضعون والمنقادون والمملوكون لله تعالى، اخشوا الله تعالى، كونوا من الدنيا متيقظين ومحترزين، إن الدنيا لو دامت وثبتت لأحد أو دام وثبت عليها أحد لكانت مجموعة الأنبياء أحق من غيرهم بالدوام والخلود، وأجدر بالقبول والاختيار، وأشد قبولاً بالحكم، إلا أن الله تعالى صنع الدنيا وأبدعها للانتهاة والإبادة، فلحديث أو الطري من الدنيا يصبح قديماً وعتيقاً ويعفى عليه الزمن، وطيب عيشها ورفاهيتها قليل متلاشٍ، وفرصها منقبض كالح لا يرى فيه أثر بشر ومكان الزول عميق مخيف والدار دار ارتحال وعدم استقرار، اتخذوا زاداً لمعادكم وأن أفضل الزاد هي خشية الله تعالى وطاعته، وبهذا الزاد تصلون إلى الفوز والنجاح.

## بحث أخلاقي

### ذم الدنيا

عندما نتأمل الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة نشعر بأن لسانها لسان ذم واستصغار، ونلمس في كثرتها شدة التحذير من الاغترار بها والانتفاء في شهواتها والافتتان بزبرجدها، فهذه الدنيا لا تساوي عند الله تعالى جزءاً من مخلوق ضعيف كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو أن الدنيا كانت تعليلُ عند الله عز وجلَّ جناحَ بعوضةٍ ما سقى الكافرَ والفاجرَ منها شربةً من ماءٍ»<sup>(١)</sup>.

فلذا يتوجب على العقلاء أن يحتقروا هذه الدنيا الدنية التي صارت ميداناً لمعصية المولى المنعم جل ذكره والتي قطع في حبها رأس نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام ورأس سيد شباب أهل الجنة عليه السلام فداروا به في البلدان، ولهذه الدنيا المذمومة مجموعة خصائص تميزها عن الدنيا المباحة التي لا ينالها لسان الذم والتحذير وهي كما يلي:

- ١- إذا كانت توجب الاغترار.
- ٢- إذا كانت توجب الخسران.
- ٣- إذا كانت توجب الخروج عن سلوك العقلاء.
- ٤- إذا كانت توجب عدم الصفاء والاستقرار.
- ٥- إذا كانت توجب الشر والباطل.
- ٦- إذا كانت توجب الذل والهوان.

(١) أمالي الطوسي: ص ٥٣١، ح ١١٦٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٤، ح ٥٩٥٤.

وهناك الكثير من الخصائص أو الآثار السلبية التي تمتاز بها الدنيا المذمومة فلذا جاءت الأحاديث الشريفة تترى لتبين سوء عاقبة من يتعلق بزخارفها وزبرجدها كما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام:

– عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَأَوَّلُ كُلِّ ذَنْبٍ»<sup>(١)</sup>.

– وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«إِنَّ الدُّنْيَا لَمُفْسِدَةٌ لِلدِّينِ وَمُسْلِبَةٌ لِلْيَقِينِ، وَإِنَّهَا لِرَأْسُ الْفِتَنِ وَأَصْلُ الْيَحْنِ»<sup>(٢)</sup>.

– وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال:

«مَا مِنْ عَمَلٍ بَعْدَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعْرِفَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

أَفْضَلَ مِنْ بَغْضِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ لِلدُّنْيَا لَشُعْبًا كَثِيرًا وَلِلْمَعَاصِي شُعْبٌ، فَأَوَّلُ مَا

غَضِيَ اللَّهُ بِهِ الْعَبْدَ مَعْصِيَةُ إِبْلِيسَ حِينَ:

﴿إِنِّي وَأَسْتَكَبرَ وَكَأَنَّمِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ثم الحرص وهي معصية آدم وحواء عليهما السلام حين قال الله عز وجل لهما:

﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فأخذوا ما لا حاجة بهما إليه، فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة، وذلك أن

أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه.

ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب

(١) تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١٢٢. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٨٩٦، برقم ١٢٢١، حب الدنيا رأس كل خطيئة.

(٢) غرر الحكم: ٤٨٧٠. ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٨٩٦، برقم ١٢٢١، حب الدنيا رأس كل خطيئة.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

النساء، وحب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو  
والثروة، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقالت الأنبياء  
والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنيا من دنيا بلاغ  
ودنيا ملعونة»<sup>(١)</sup>.

- وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن أول ما عُصي الله به ست: حب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الطعام، وحب  
النساء، وحب النوم، وحب الراحة»<sup>(٢)</sup>.

### أسئلة مهمة

السؤال: هل أن بغض الدنيا يعني عدم جواز التمتع بلذائذها؟

الجواب: كلا: إن بغض الدنيا يختص بالدنيا التي تكون سببا للوقوع في الحرام،  
وكذلك يعني بغضا للذات التي حرّمها الله تعالى وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة  
التالية:

قال الله تبارك وتعالى:

﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧، ص ١٩، ح ٩.

(٢) المحاسن للبرقي: ج ١، ص ٢٩٥، ح ٤٥٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٢.

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١﴾.

وقال عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى  
إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ  
مَعَانِدُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَلْفَى عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾.

وقال تبارك وتعالى :

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا  
تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾.

وهناك الكثير من الآيات التي يستشعر منها ذم الدنيا.

السؤال : متى يجوز حب الدنيا؟

الجواب : عندما تكون وسيلة للقرب الإلهي، وتكون ميداناً للعمل الصالح، وهذا  
ما تشير إليه الآيات الكريمة والروايات الآتية :

قال تعالى :

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً  
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٤.

(٢) سورة النساء، الآية : ٩٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية : ٣٢.

يَا اللَّهَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٧﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾.

٢- وردت أحاديث شريفة تؤكد أن الدنيا مزرعة الآخرة كما في قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدنيا مزرعة الآخرة»<sup>(١)</sup>.

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«بالدنيا تُحْرَزُ الآخرة»<sup>(٢)</sup>.

إن الدنيا المبعوضة هي التي تمنع الإنسان عن بلوغ درجة الكمال وذلك من خلال حبها والتعلق بها إلى درجة نسيان الآخرة، وهذا ما ورد في الأحاديث الشريفة الآتية:

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّهُ مَا سَكَنَ حُبُّ الدُّنْيَا قَلْبَ عَبْدٍ إِلَّا التَّاطَفَ فِيهَا بِثَلَاثَ شُغْلٍ لَا يَنْفَعُ غَنَاؤُهُ وَفَقْرٌ لَا يُدْرِكُ غِنَاؤُهُ وَأَمَلٌ لَا يُنَالُ مُنْتَهَاهُ»<sup>(٣)</sup>.

- وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالدُّنْيَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِثَلَاثِ خِصَالٍ: هَمٌّ لَا يَفْنَى، وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُ، وَرَجَاءٌ لَا يُنَالُ»<sup>(٤)</sup>.

- وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

(١) سورة النحل، الآيات: ٩٧ و٩٨ و٩٩.

(٢) عوالي اللآلي: ج ١، ص ٢٦٦، ح ٦٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٣، ح ٥٧٤٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٣، ح ٥٧٤٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٨٨، ح ٢٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٣، ح ٥٨٣٣.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٠، ح ١٧. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٣، ح ٥٨٣١.



«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هِمَّةً اشْتَدَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ فِرَاقِهَا»<sup>(١)</sup>.

– التمتع بلذائذ الدنيا ليس حراماً إذا كان مما يصلح شأن العبد بل لا يعد حياً للدنيا بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:  
«لَيْسَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا طَلَبُ مَا يُصْلِحُكَ»<sup>(٢)</sup>.

ويظهر من الروايات الشريفة أن هناك شروطاً تجعل التمتع بلذائذ الدنيا مقبولاً عند أهل البيت عليهم السلام بدليل قول الإمام الكاظم عليه السلام:  
«اجْعَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ حَقّاً مِنَ الدُّنْيَا بِإِعْطَانِهَا مَا تَشْتَهِي مِنَ الْحَلَالِ وَمَا لَا يَثْلُمُ الْمُرَّةَ وَمَا لَا سَرْفَ فِيهِ، وَاسْتَعِينُوا بِذَلِكَ عَلَى أُمُورِ الدِّينِ، فَإِنَّهُ رُويَ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِدِينِهِ، أَوْ تَرَكَ دِينَهُ لِدُنْيَاهُ»<sup>(٣)</sup>.

١- أن لا تتجاوز الضرورة والحاجة، بدليل قول الإمام الكاظم عليه السلام:  
«لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِدِينِهِ، أَوْ تَرَكَ دِينَهُ لِدُنْيَاهُ».

٢- أن لا تسبب ضرراً لصاحبها أو لغيره، بدليل وصية لقمان الحكيم لابنه:  
(يَا بُنَيَّ، لَا تَدْخُلْ فِي الدُّنْيَا دُخُولاً يَضُرُّ بِأَخْرَجِكَ، وَلَا تَتْرُكْهَا تَرْكاً تَكُونُ كَلَالاً عَلَى النَّاسِ)<sup>(٤)</sup>.

السؤال: لماذا أكد أهل بيت العصمة عليهم السلام على ضرورة ترك ما تتجاوز الحاجة من الدنيا؟

الجواب: لا يشك عاقل أن لنفسه عليه حقاً ينبغي أن يعطيها إياه، فإذا أعطى

(١) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٨١، ح ٣٤. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٣، ح ٥٨٣٥.

(٢) كنز العمال: ٥٤٣٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٢، ح ٥٨٢٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٣٢١، ح ١٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٣١، ح ٦٠٠٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ١٢٤، ح ١١٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٣١، ح ٦٠٠٤.

نفسه حقها سلم من الدخول في عنوان الظالمين بل دخل في ربة المنصفين ونجا من مكائد الشيطان، ولكي يتضح الأمر حليا نقف على أحاديث أهل البيت عليهم السلام ليعرفونا أسباب تأكيدهم على ذلك :

١- يؤكد أمير المؤمنين عليه السلام على أن ما زاد عن الحاجة في هذه الدنيا ليس من نصيب صاحبه كما في قوله عليه السلام لرجلٍ شكَا إليه الحاجةَ :

«إِعْلَمَنَّ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ تُصَيِّهُ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ قُوَّتِكَ فَإِنَّمَا أَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِعَٰلِمِكَ»<sup>(١)</sup>.

٢- إن الاهتمام بتحصيل ما هو فائض عن الحاجة يؤدي إلى خسران العمر ودنو الأجل كما في قول الإمام علي عليه السلام :

«هَؤُلَاءِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَأَصْفِيَائُهُ تَنَزَّهُوا عَنِ الدُّنْيَا... ثُمَّ اقْتَصَّ الصَّالِحُونَ آثَارَهُمْ... وَأَنْزَلُوا الدُّنْيَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَالْمَيْتَةِ الَّتِي لَا يَجِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْنَعَ مِنْهَا إِلَّا فِي حَالِ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا، وَأَكَلُوا مِنْهَا بِقَدَرِ مَا أَبْقَى لَهُمُ النَّفْسَ وَأَمْسَكَ الرُّوحَ، وَجَعَلُوهَا بِمَنْزِلَةِ الْجِيْفَةِ الَّتِي اشْتَدَّ نَتْنُهَا، فَكُلُّ مَنْ مَرَّ بِهَا أَمْسَكَ عَلَى فِيهِ، فَهُمْ يَتَبَلَّغُونَ بِأَدْنَى الْبَلَاحِ...»<sup>(٢)</sup>.

٣- الاكتفاء بالضرورة مما ينجي من شدة العذاب كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«فِرُّوا مِنْ فُضُولِ الدُّنْيَا كَمَا تَفِرُّونَ مِنَ الْحَرَامِ، وَهَوِّنُوا عَلَى أَنْفُسِكُمُ الدُّنْيَا كَمَا تُهَوِّنُونَ الْجِيْفَةَ، وَقُوتُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ فُضُولِ الدُّنْيَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِكُمْ، تَتَجَوَّأُ مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٩٠، ح ٦١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٥، ح ٥٧٦٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ١١٠، ح ١٠٩، ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٦، ح ٥٧٦٩.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٥٤، ح ١٣٤٩٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٧، ح ٥٧٧٥.

السؤال : ما هو المراد من الزهد في الدنيا؟

الجواب : قبل الخوض في جواب هذا السؤال الذي يصلح أن يكون كتابا خاصا بالزهد، لابد أن أوضح أمراً في غاية الأهمية فأقول :

لا شك أننا نحب درجة الزاهدين ونتمنى منزلتهم في الآخرة، وقد يبادر بعضنا للإتصاف بالزهد ولكن دون جدوى، لأن مجرد حب درجة الزاهدين وتمنيها لا يفي بالغرض بل لابد من مجاهدة النفس وتخليصها من علائق الدنيا وجبايلها قولاً وفعلاً، وأود أن أضيف أيضاً أن التكلم عن الزهد والزاهدين دون التلبس به عملياً أمر مخجل جداً إلا إذا قصدنا تحصيل الثواب من تذكير المؤمنين به وحثهم عليه من باب حب لغيرك ما تحب لنفسك.

بعد هذه المقدمة البسيطة والصادقة والصريحة نعطف البحث إلى معنى الزهد في نظر أهل بيت العصمة والطهارة عليه السلام فأقول :

١- الزهد هو الثقة بالله تعالى والرغبة في عطاياه كما ورد ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا إِسْوَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إِذَا أَنْتَ أَصِيبْتَ بِهَا أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَوَأَنَّهَا أَبْقَيْتَ لَكَ»<sup>(١)</sup>.

٢- الزهد هو أن لا نتعامل مع مفردات الحياة الدنيا كما يتعامل معها أهل الدنيا فلا نفرح إلى درجة البطر بما ننالها منها ولا نحزن إلى درجة الجزع لما فقدناه منها وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

«الزَّهْدُ كُلُّهُ فِي كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(١) كثر العمال: ٦٠٥٩. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٥٦٧، ح ٧٧٠٣.

﴿لَيْكِلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فَمَنْ لِمِ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي وَلِمِ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَهُوَ الزَّاهِدُ»<sup>(٢)</sup>.

٣- الزهد هو أن نعيش ذكر الموت دائماً، ولا نفرق في الأمانى والطموحات التي تنسينا زيارة ملك الموت المفاجئة لنا، وأن نؤدي حقوق الله تعالى من خلال الابتعاد عن المعاصي وأداء الواجبات أما خوفاً أو طمعاً أو شكراً وهذا ما صرح به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قَصْرُ الْأَمَلِ، وَشُكْرُ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَالْوَرَعُ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

٤- الزهد هو التنزه عن حب الظهور والمدح، وعدم الانشغال عن الكمال وتزكية النفس من أوساخ الدنيا وهجر كل ما هو لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر، وترفع عن الشهوات المحرمة وهذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«الزُّهْدُ مِفْتَاحُ بَابِ الْآخِرَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ النَّارِ، وَهُوَ تَرْكُ كُلِّ شَيْءٍ يَشْغَلُكَ عَنِ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ تَأْسُفٍ عَلَى قُوَّتِهَا، وَلَا إِعْجَابٍ فِي تَرْكِهَا، وَلَا انْتِظَارٍ فَرَجٍ مِنْهَا، وَلَا طَلَبٍ مَحَمْدَةٍ عَلَيْهَا، وَلَا عِوَضٍ مِنْهَا، بَلْ تَرَى قُوَّتَهَا رَاحَةً وَكُونَهَا آفَةً، وَتَكُونُ أَبَدًا هَارِبًا مِنَ الْآفَةِ، مُعْتَصِمًا بِالرَّاحَةِ»<sup>(٤)</sup>.

السؤال: ما هو مراد القرآن الكريم (اعلموا إنما الحياة الدنيا هو ولعب وزينة وتفاخر بينكم)؟

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٧٠، ح ٢٧. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٥٦٦، ح ٧٦٩٥.

(٣) تحف العقول: ص ٥٨. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٥٦٧، ح ٧٧٠٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣١٥، ح ٢٠.

الجواب: لا نريد أن نفسر هذه الآية الكريمة ولكن لنا أن نقول ما يلي:

إن الله تعالى حكيم خلق الخلق لغرض وهدف سام كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>.

فيعلم من هذه الآية الكريمة سر وجود الإنسان على هذه الأرض، إذ وجد الإنسان لكي يصل إلى كماله وقربه الإلهي وهذا لا يتم إلا من خلال ما شرعه الله تعالى من شرائع، ونحجه من مناهج، وسنه من سنن، فالالتزام بهذا كله يؤدي إلى الغاية السامية ويحقق الغرض الحكيم، فإذا اتضح هذا يتضح أن الابتعاد عن الشرائع والسنن والاشتغال بغيرها هو عين اللهو واللعب لخلوه من الغرض والنفع الحقيقي فيكون مثل المشغل بأمور الدنيا كمثل الطفل الذي يلعب مع أقرانه لمجرد التسلية واللعب ثم يرجع بعدها إلى بيته يبحث عما ينفعه من طعام وشراب ومأوى، فإذاً يمكن أن نسمي الأفعال الخالية من الأغراض السامية والأهداف النبيلة لعباً، ونطلق على كل ما يشغلنا عما خلقنا لأجله بأنه لهو، ونعدّ ما نتظاهر به من صلاح وحب للخير دون أن يكون له وجود في باطننا زينة، ويلزم من تباهينا في الأحساب والأنساب والثروة والمناصب دون التقوى تفاخر لا قيمة له عند الله تعالى.

فلذا ينبغي للعقلاء أن يجعلوا لأفعالهم أغراضاً نبيلة ترضي الله تعالى وتقربهم إليه لكي لا ينطبق عليهم عنوان اللاعبين، وأن يتبهاوا إلى ذكر الله تعالى فلا يشغلهم تجارة ولا بيع ولا أولاد عن ذلك فيخرجوا عن مصداق أهل اللهو، وأن يطابق ظاهرهم باطنهم في الصلاح فتكون زينتهم أخروية وليست زينة دنيوية، وأن يتعدوا عن التعالي بالقشور كالأحساب والشهرة والمال والمناصب ويتحلوا بالتقوى فينالوا الكرامة الإلهية.

السؤال: كيف نفسر عبادة الناس للدنيا وما هي صفات عبيد الدنيا؟

الجواب: الإنسان مفطور على الإسلام والتسليم والانقياد لله تعالى، فإذا صان فطرته وحفظها من الانحراف دامت سلامتها وظل عبداً صالحاً، وإذا تغيرت هذه الفطرة بالأفكار السقيمة وعصفت بها وساوس الشيطان وغلبة الهوى صار صاحبها عبداً للدنيا دون الله تعالى ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَالْدَّرْهَمَ فَهُوَ عَبْدُ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>.

وورد عنه أيضاً قوله عليه السلام:

«قَدْ خُرِقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلُهُ، وَأَمَاتَتْ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلَّهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلَمْ يَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا»<sup>(٢)</sup>.

وأما صفات عبيد الدنيا فقد جاء في حديث المعراج بيان ذلك:

«أَهْلُ الدُّنْيَا مَنْ كَثُرَ أَكْلُهُ وَضَحِكُهُ وَنَوْمُهُ وَغَضَبُهُ، قَلِيلُ الرِّضَا، لَا يَتَذَكَّرُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، كَسَلَانٌ عِنْدَ الطَّاعَةِ، شَجَاعٌ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ، أَمَلُهُ بَعِيدٌ، وَأَجَلُهُ قَرِيبٌ، لَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ، قَلِيلُ الْمُنَافَعَةِ، كَثِيرُ الْكَلَامِ، قَلِيلُ الْخَوْفِ، كَثِيرُ الْفَرَحِ عِنْدَ الطَّعَامِ.

وَأَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا لَا يَشْكُرُونَ عِنْدَ الرِّخَاءِ، وَلَا يَصْبِرُونَ عِنْدَ الْبَلَاءِ. كَثِيرُ النَّاسِ عِنْدَهُمْ قَلِيلٌ، يَحْمَدُونَ أَنْفُسَهُمْ بِمَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَدْعُونَ بِمَا لَيْسَ لَهُمْ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِمَا يَتَنَوَّنُونَ، وَيَذْكُرُونَ مَسَاوِي النَّاسِ وَيُخَفُّونَ حَسَنَاتِهِمْ.

قَالَ: يَا رَبِّ هَلْ يَكُونُ سِوَى هَذَا الْعَيْبِ فِي أَهْلِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: يَا أَحْمَدُ، إِنَّ عَيْبَ أَهْلِ الدُّنْيَا كَثِيرٌ فِيهِمُ الْجَهْلُ وَالْحُمُقُ، لَا يَتَوَاضَعُونَ لِمَنْ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ، وَهُمْ عِنْدَ

(١) الخصال: ص ١١٣، ح ٩١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٠، ح ٥٩٢٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٠، ح ٥٩٢٩.

أنفسهم عقلاً. وعند العارفين حَقّاً»<sup>(١)</sup>.

السؤال: ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»<sup>(٢)</sup>.

كيف صارت كذلك؟

الجواب: ذكر العلماء عدة أوجه لتفسير هذا الحديث الشريف وهي كما يلي:

عن المحدث الحر العاملي (عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

وهذا الحديث مستفيض من طرق العامة والخاصة، والإشكال فيه: أن كثيراً من المؤمنين حالهم في الدنيا في نهاية الاستقامة والسعة؛ وكثرت من الكفار حالهم في الدنيا في نهاية الضيق والعسر؛ ويمكن دفع هذا الإشكال بوجوه.

الأول: إن المؤمن وإن كان حاله في الدنيا في سعة ويسر إلا أنه بالنسبة إلى حاله في الآخرة ومحلّه فيها سجن في الدنيا والكافر بعكس ذلك، وهذا الجواب مروي عن أبي محمد الحسن عليه السلام حين اعترض عليه اليهودي فأجابه بهذا الجواب.

الثاني: أن يكون محمولاً على الأغلبية بالنسبة إلى جميع المؤمنين وجميع الكفار والبناء على الغالب جائز في سائر المقامات.

الثالث: إن المؤمن في الدنيا لما كان لم يزل في ملاحظة الطاعات والاتباع بالواجبات والمستحبات في جميع الأوقات وفي اجتناب المحرمات والمكروهات ولم يزل يتأمل في العواقب، ويتذكر النار والحساب والعقاب، فهو من حيث ملاحظة هذه الأمور وعدم مفارقتها لها في سجن.

(١) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٣، ح ٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٠ - ١٢٢١، ح ٥٩٣٠.

(٢) دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي: ج ١، ص ٤٧.

والكافر لما كان دائماً في الالهماك في المعاصي واللذات ولا يخطر بباله جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب فالدنيا جنة له.

الرابع : أن يكون المراد الدنيا سجن للمؤمن الكامل في الإيمان وجنة للكافر الكامل في الكفر، كما روي أن أشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمثل فالأمثل.

الخامس : أن يكون خبراً بمعنى الأمر أي ينبغي للمؤمن أن يجعل الدنيا على نفسه بمنزلة السجن كما أن المحبوس في السجن لا يريد تناول ما زاد على أقل الكفاية كسد الرمق وفكره مصروف إلى أسباب الخروج، وهذا المعنى في بقية الحديث لا يخلو عن بُعد، ويمكن أن يوجه بأنه بالنسبة إلى الكافر على وجه التهديد والوعيد كقوله تعالى :

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

أو المعنى : يحق للكافر أن يتخذ الدنيا جنة له فإنه ليس له في الآخرة نصيب إلا العذاب والعقاب.

السادس : أن يكون المعنى أن المؤمن يعدّ الدنيا على نفسه سجناً فلا يرغب إليها ولا يميل إلى لذاتها ويخشى من غوائلها وإن كان متنعماً فيها ظاهراً والكافر بعكس ذلك<sup>(٢)</sup>.

ويمكن لنا أن نضيف وجهاً آخر بلحاظ الزمان إذ إن السجن يتصف بفترة زمنية معينة ثم تنتهي فيتحرر صاحبه من قيوده فكذلك الدنيا لا بد لها من نهاية فيتحرر صاحبها من وطأة شهواتها ولذائذها الفانية فيذهب إلى دار لا لغو فيها ولا تأثيم، وإن كان كافراً فلا يغتر بجنته فهو خارج منها إلى الآخرة حيث العذاب والألم الشديد.

(١) سورة فصلت، الآية : ٤٠.

(٢) مصابيح الأنوار، السيد عبد الله شير: ج ٢، ص ٢٣ - ٢٤.



### - نصيحة معصومية

وردت الكثير من الأحاديث الشريفة التي تبين أن الدنيا ملعونة وذو عاقبة وخيمة إذا اتخذها الإنسان هماً دون الآخرة وهي كما يلي:

١- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«مَنْ أَصْبَحَ والدنيا أَكْبَرُ هَمِّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ. وَالزَّمْ قَلْبَهُ أَرْبَعَ خِصَالٍ: هَمًّا لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ أَبَدًا، وَشُغْلًا لَا يَنْفِرُ مِنْهُ أَبَدًا، وَفَقْرًا لَا يَبْلُغُ غِنَاهُ أَبَدًا، وَأَمَلًا لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«مَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى والدنيا أَكْبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَشَتَّتْ أَمْرَهُ وَلَمْ يَتَلَّ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى والآخرة أَكْبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْغِنَى فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ أَمْرَهُ»<sup>(٢)</sup>.

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدنيا ملعونة وملعون ما فيها، إلا ما ابتغى به وجه الله عز وجل»<sup>(٣)</sup>.

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«الْأَيْنِ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يَسْلُمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا (بالزهد)، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا، ابْتَلَى النَّاسَ بِهَا فَتَنَةً فَمَا أَخَذُوا مِنْهَا لَهَا أَخْرَجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ، وَمَا أَخَذُوا مِنْهَا لَعَبَرُهَا قَدَمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ»<sup>(٤)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام - في زيارة الحسين عليه السلام عند الوداع - قال:

(١) تنبيه الخواطر: ج ١، ص ١٣٠. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٢، ح ٥٩٤٢.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣١٩، ح ١٥. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٢، ح ٥٩٣٩.

(٣) كنز العمال: ٦٠٨٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٤، ح ٥٧٥٥.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٦٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٤، ح ٥٧٥٨.

«وَلَا تَشْغَلْنِي عَنْ ذِكْرِكَ يَا كَثِيرَ عَلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا تَلْهِيَنِي عِجَانُ بُهْجَتِهَا  
وَتَفْتِنَنِي زَهْرَاتُ زِينَتِهَا، وَلَا بِإِقْلَالٍ يُضِرُّ بَعْلِي كَدُّهُ وَبِمَلَأِ صَدْرِي هَمُّهُ، أُعْطِنِي  
مِنْ ذَلِكَ غِنًى عَنْ أَشْرَارِ خَلْقِكَ، وَبِلَاغًا أَنَالُ بِهِ رِضَاكَ»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

«فَارْضُ الدُّنْيَا، فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يُعْمِي وَيُصِمُّ وَيُكْمِرُ وَيُذِلُّ الرَّقَابَ»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام قال :

«حُبُّ الدُّنْيَا يُفْسِدُ الْعَقْلَ، وَيُصِمُّ<sup>(٣)</sup> الْقَلْبَ عَنْ سَمَاعِ الْحِكْمَةِ، وَيُوجِبُ أَلِيمَ  
الْعِقَابِ»<sup>(٤)</sup>.

٣- حبها يورث البعد عن الله تعالى ويحرم القلب اللذات المعنوية كما جاء في  
حديث المعراج :

(قال الله تبارك وتعالى: يَا أَحْمَدُ، لَوْ صَلَّى الْعَبْدُ صَلَاةَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَصُومَ  
صِيَامَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَطَوَّعَ عَنِ الطَّعَامِ مِثْلَ الْمَلَانِكَةِ، وَلَبَسَ لِبَاسَ  
الْعَابِدِينَ، ثُمَّ أَرَى فِي قَلْبِهِ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا ذَرَّةً، أَوْ سَمِعَتْهَا، أَوْ نَاسَتْهَا، أَوْ صَبَّهَا، أَوْ  
زَيَّنَتْهَا، لَا يُجَاوِزُنِي فِي دَارِي، وَلَا تُزَعِّنُ مِنْ قَلْبِهِ مَحَبَّتِي (وَلَا تُظْلِمُنْ قَلْبَهُ حَتَّى  
يَنْسَانِي، وَلَا أَذِقُهُ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِي))<sup>(٥)</sup>.

٤- يحذر أهل البيت عليهم السلام العقلاء من الاغترار بالدنيا لما في ذلك من  
آثار وعواقب وخيمة كما في قوله عليه السلام :

(١) بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٢٨١، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٤، ح ٥٧٥٩.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٣٦، ح ٢٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٢، ح ٥٨٢٦.

(٣) في المصدر (ويُصِمُّ) والصحيح ما أثبتناه كما في طبعة النجف وبيروت.

(٤) غرر الحكم: ٤٨٧٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٢، ح ٥٨٢٧.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٣٦، ح ١٣٤٤٦. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٤، ح ٥٨٤٥.

«أَحْذَرَكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ، وَمَحَلَّةُ تَغْيِصٍ، سَاكِتٌهَا ظَالِمٌ، وَقَاطِنُهَا بَانٌ»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام قال :

«احذروا الدنيا فإنَّ في حلالها حساباً، وفي حرامها عقاباً، وأولها غناء، وآخرها فنا»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً :

«احذروا الدنيا الحذر كله، وضعوا عنكم ثقل هُمومها لما تفتنتم لوشك زوالها، وكونوا أسراً تكونون فيها، احذروا ما تكونون لها»<sup>(٣)</sup>.

وهناك الكثير من الأحاديث في هذا الباب فراجع.

٥- للجهل آثار وخيمة تفسد الدنيا وتوجب عذاب الآخرة ومن هذه الآثار الاغترار بالدنيا كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام :

«الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا يُعَايِنُ مِنْ سُوءٍ تَقْلِبُهَا جَهْلٌ»<sup>(٤)</sup>.

٦- يبرئ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا من مسؤولية الاغترار بها ويلقي اللوم على المغرور فيها بقوله :

«حَقًّا أَقُولُ: مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ وَأَذَنَّتْكَ عَلَى سُوءٍ وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُّكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ (النقص) فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ»<sup>(٥)</sup>.

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٦ . ميزان الحكمة : ج ٣ ، ص ١٢١٠ ، ح ٥٨٦٧ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٧٨ ، ص ٢٣ ، ح ٨٨ . ميزان الحكمة : ج ٣ ، ص ١٢١٠ ، ح ٥٨٦٩ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٧٣ ، ص ١٠٩ ، ح ١٠٩ . ميزان الحكمة : ج ٣ ، ص ١٢١٠ ، ح ٥٨٧٢ .

(٤) غرر الحكم : ٢٠٣٧ . ميزان الحكمة : ج ٣ ، ص ١٢١٤ ، ح ٥٨٩٥ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٣ . ميزان الحكمة : ج ٣ ، ص ١٢١٥ ، ح ٥٩٠٢ .

٧- يرشد الإمام علي عليه السلام أهل النظر الثاقب والنباهة والكياسة إلى ضرورة التحلي بصفات الزاهدين عندما ينظرون إلى الدنيا فيقول:

«أوصيكم بالرِّفْضِ لهذه الدنيا التارِكةَ لَكُمْ، وإنْ لَمْ تُجِبُوا تَرْكُهَا... فلا تَنَافَسُوا في عِزِّ الدنيا وفَخْرِهَا، ولا تَعَجَّبُوا بِزِينَتِهَا ونَعِيمِهَا، ولا تَجَزَّعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا، فإنَّ عِزَّهَا وفَخْرَهَا إلى انْقِطَاعٍ، وإنَّ زِينَتَهَا ونَعِيمَهَا إلى زوالٍ، وضَرَّائِهَا وَبُؤْسُهَا إلى نَفَادٍ (نفاذ)»<sup>(١)</sup>.

٨- حَقَّرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا فينبغي الاقتداء به في رؤيته الحكيمة لندة القذارة لاسيما بعد الاطلاع على قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا بَنَ جُنْدَبٍ، إنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُجَاوِزَ الْجَلِيلَ في دارِهِ وتَسْكُنَ الْفِرْدَوْسَ في جِوَارِهِ فَلْتَهَنْ عَلَيْكَ الدُّنْيَا»<sup>(٢)</sup>.

٩- نَهَى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن تعظيم الآخرين لما لديهم من مال أو جاه أو منصب طمعا فيما لا يهم بل لا بد أن يكون التوقير والتعظيم للتقوى والأخوة في الله تعالى فلذا ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ دُنْيَا وَأَحَبَّهُ لَطَمَعَ دُنْيَاهُ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

١٠- أكد أهل البيت عليهم السلام على الصبر عندما يصاب المرء بما يلاقه من ألم الدنيا فإنه قد خور له في الآخرة وهذا ما يدل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٧، ح ٥٩١٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٨٢، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٥، ح ٥٩٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٦، ص ٣٦٠، ح ٣٠. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٦، ح ٥٩٦٥.

(٤) غرر الحكم: ٩٧٩٣. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٧، ح ٥٩٨٣.

### صور حوارية ومواعظ

خلق الله تعالى الخلق وهو غني عن طاعتهم ومنيع عن ضرر معصيتهم لما يتصف به من صفات الألوهية إلا أنه سبحانه لم يدع خلقه هملاً دون إرشاد وشريعة ومنهاج بل سن لهم السنن ونهج لهم المناهج ليصلوا إلى كمالهم، وما أرشد إليه مدبر الأمور وخالق الخلق سبحانه أن نزهد في هذه الدنيا الدنية ونرفض زخرفها ونبتعد عن زبرجها وهذا ما التزم به سادة الخلق وقادة العباد محمد وآله الأطهار صلوات الله عليهم وسلم تسليماً كثيراً الصورة الأولى فعندما تتأمل هذه الصورة الرائعة التي نقلها عمر بن الخطاب بقوله :

(استأذنتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي مَشْرَبَةٍ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّهُ لَمُضْطَجِعٌ عَلَى خَصْفَةٍ وَإِنْ بَعْضُهُ عَلَى التُّرَابِ وَتَحْتَ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مَحْشُوءَةٌ لِفَنَاءٍ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ وَخَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَكَسْرَى وَقِصْرُ عَلَى سُرْرِ الذَّهَبِ وَفُرْشِ الدِّيبَاجِ وَالْحَرِيرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم:

«أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ طَبِيبَاتُهُمْ وَهِيَ وَشِيكَةُ الانْقِطَاعِ، وَأَنَا أُخِّرْتُ لَنَا طَبِيبَاتُنَا»<sup>(١)</sup>.

نجد عبراً ومواعظ تسر القلوب وتقر بها الأعين وهي كالآتي:

١- إن اضطجاع النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم (على خصفة) أي فراش من سعف النخيل دون أن يكون عليها شيء يحمي جسده الشريف من غظلتها دليل على تجسد التواضع في هذا الوجود المقدس، وبرهان على افتخار الزهد إذ صار لباساً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- وقول عمر (وإن بعضه على التراب...) يشير إلى علاقة المقدسين بأصلهم إذ

يرون أن أجسادهم من التراب وعلى التراب وإلى التراب رغم أن أرواحهم في عليين، فلا يرون ترفعا عن التراب ولا يشعرون بالتقذر منه كما يفعل المتكبرون الجهلة ذلك.

٣- وقوله (وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا) ألا يدل ذلك على عدم استخدام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لولايته التكوينية في مثل هذه الأمور النافهة؟ وإلا لو شاء لتصرف بهذه الوسادة وجعلها من حرير وديباج دون تعب أو نصب إلا أنه أثر أن يعيش وفق الأسباب والمسببات، ولعله أراد أن يعطي رسالة لعمر أو لغيره بأن الدنيا لا تستحق أن تكون هما نعيشه كل يوم، ولا تستحق أن يعصى الله تعالى لأجلها.

٤- ورد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على عمر بقوله (أولئك قوم عجلت طبائهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنما أخرت لنا طبيائنا) فيه الكثير من الحكم والمواعظ :

منها: أن من أخذ نصيبه في الدنيا ليس له نصيب في الآخرة.

منها: أن العباد الصالحين لا يتأملوا من الدنيا راحة وسعادة لخلاصهم معها ولأنهم لم يتخذوها أمأ لهم كما أنما لم تعتبرهم أولادا لها.

منها: أن الدنيا بما فيها من اللذائذ والحلاوة لا بد أن تنتهي في يوم ما فيلاقي أولادها ما ينغصم ويذيقهم المرارة بدل الحلاوة التي يتلذذون بها.

منها: أن الطيبات الفانية ليست لذيدة وإنما اللذة في الطيبات الباقية.

### الصورة الثانية

فاطمة الزهراء عليها السلام وما أدراك ما فاطمة هي بضعة النبي المصطفى وروحه التي بين جنبيه وهي لحمه ودمه وجزء لا يتجزأ منه فلذا نجدها لا تختلف عن أيها بصفة من صفاته، فلقد جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنه قال :

(رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعَلَيْهَا كِسَاءٌ مِنْ أَجَلَّةِ الْإِبْلِ وَهِيَ تَطْحَنُ بِيَدَيْهَا وَتُرْضِعُ وَلَدَهَا، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

«يَا بِنْتَاهُ، تَعَجَّلِي مَرَارَةَ الدُّنْيَا بِخَلَاوَةِ الْآخِرَةِ».

فَقَالَتْ:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمَانِهِ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى آلَانِهِ».

فَأَنْزَلَ اللَّهُ:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾<sup>(١)</sup> (٢).

أرجو إعادة القراءة لهذه الرواية وأرجو أن تتصورها في خيالك لتدمع عيناك كما دمعت عين الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبعد تأمل هذه الصورة تخرج بالمواعظ التالية:

منها: فاطمة سيدة نساء العالمين تلبس كساءً من أحلة الإبل لتعطي رسالة لكل النساء الواعيات أن لا يلهثن وراء الأزياء والموديلات، وأن لا يكلفن أزواجهن فوق طاقتهم لكي يلبسن ما غلا ثمنه، فالبساطة في العيش لا تعد نقصاً كما لا يحق لأحد أن يسخر من صاحبه لاسيما في مجتمع النساء.

منها: أن هذه السيدة الكبرى والصديقة الطاهرة هي بنت سيد الكائنات وزوجة سيد الأوصياء وأم سيدي شباب أهل الجنة ومع ذلك تطحن بيديها لأسرقتها وتعين بعلها على شطف العيش، وتقول لنا لا بد من التكافل بين الرجل والمرأة لتسير الحياة الزوجية بهدوء وطمأنينة وسعادة، وتقول للنساء لا تبحن عن الشائنية مع أزواجهن

(١) سورة الضحى، الآية: ٥.

(٢) نور الثقلين: ج ٥، ص ٥٩٤، ح ١٠، أنظر أيضاً: ص ٥٩٥، ح ١١. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٢٨، ح ٥٩٩١.

طالما رضىتن بهم أزواجاً، فأنا بنت سيد الكائنات وخاتم الأنبياء والرسل ولا أستكف من العمل في بيتي وخدمة أسرتي.

منها: عند رضاعتها ولدها ترشدنا إلى ضرورة رضاعة الأم لولدها لما في ذلك من فائدة صحية لهذا الوليد إذ إن حليب الأم يغذي الولد مادياً ومعنوياً، وتبين بأن هذه الرضاعة لهذا الطفل الصغير عمل صالح تنال الأم به ثواب الله عز وجل.

منها: قول رسول الله لابنته (يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة) لا يختلف عما بينه في الصورة الأولى من أن الدنيا فانية ومرارتها منتهية والآخرة باقية وحلاوتها ولذتها دائمة.

منها: وقولها عليها السلام (يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه....) دليل على الرضا التام بعتاء الله تعالى، وتصريح بأن هذه البساطة من العيش هي نعمة إلهية تحتاج إلى شكر المنعم عليها، كما أنها أكدت على عدم جواز التبرم من هذه الحياة البسيطة.

### الصورة الثالثة

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (عندما سأله يزيد بن سلام: لما سُميت الدنيا دُنْيا؟ قال:

«لأن الدنيا دُنْيةٌ خُلِقَتْ مِنْ دُونِ الآخرة، ولو خُلِقَتْ مع الآخرة لَمُيِّنَ أَهْلُهَا كما لا يُفْنَى أَهْلُ الآخرة».

قال: فأخبرني لِمَ سُميت الآخرة آخرة؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لأنها متأخرةٌ تَجِيءُ من بعد الدنيا، لا توصفُ سِنينَها، ولا تُحصى أيامُها، ولا يموتُ سُكَّانُها»<sup>(١)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧، ص ٣٥٦، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١١٩٢، ح ٥٧٤٠.



هذه الصورة تبين مرتبة الدنيا وكونها فانية محلوها أو بمرها فإذا كانت حلوة بحسب الظاهر فلا تبطر فيها فتكون سببا لدخولك النار، وإن كانت مرة فاغتنم مرارتها لتكون سببا في دخولك الجنة.

#### الصورة الرابعة

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (عندما رأى جابر بن عبد الله، وقد تنفس الصعداء فقال :

«يا جابر، علام تنفسك؟ أعلى الدنيا؟!».

فقال جابر: نعم، فقال له الإمام عليه السلام :

«يا جابر، ملاذ الدنيا سبعة: المأكول، والمشروب، والملبوس، والمنكوح والمركوب، والمشموم، والمسموع.

فألذ المأكولات العسل وهو يصق من ذبابة، وأخلى المشروبات الماء وكفى بإباحته وسباحته على وجه الأرض، وأعلى الملبوسات الديباج وهو من لعاب دودة، وأعلى المنكوحات النساء وهو مبال في مبال ومثال لمثال، وإنما يراذ أحسن ما في المرأة لأقبح ما فيها، وأعلى المركوبات الخيل وهو قوايل، وأجل المشمومات المسك وهو ذم من سرّة دابة، وأجل المسموعات الغناء والترنم وهو إثم، فما هذه صفة لم يتنفس عليه عاقل».

قال جابر بن عبد الله : فو الله ما خطرت الدنيا بعدها على قلبي<sup>(١)</sup>.

أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يوصل لنا رسالة واضحة عن أصل لذائد هذه الدنيا التي يتنافس بل يتقاتل عليها أهلها، فأكد أن هذه اللذائد التي ترونها جميلة فهي كخضراء الدمن في منبت السوء فلا يغتر أحد بها ولا يتهافت عاقل على نيلها.

(١) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١١، ح ٦٩. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢٠٩، ح ٥٨٦٣.

### الصورة الخامسة

عن سُوَيْد بن غفلة قال: (دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بُويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير وليس في البيت غيره، فقلت: يا أمير المؤمنين، بيدك بيت المال ولست أرى في بيتك شيئاً مما يحتاج إليه البيت؟! فقال عليه السلام: «يا بن غفلة، إن اللبيب لا يتأثت في دار الثقلة، ولنا دار آمن قد نقلنا إليها خير متاعنا، وأنا عن قليل إليها صائرون»<sup>(١)</sup>.

- يا لها من صورة مليئة بالعبر والمواعظ، فإذا تأملها العاقل لابد أن يرى ما يلي:
- ١- إن المنصب هو خدمة للناس وليس وسيلة للثراء والرفاه والاستحواذ.
  - ٢- الإمام عليه السلام لم يضع في البيت ما هو ضروري فضلاً عن الكماليات.
  - ٣- يتعامل الإمام عليه السلام مع الدنيا تحت عنوان (نجا المخفون) فلم يثقل نفسه بحطام الدنيا ولم يملأ بيته من زبرجدها.
  - ٤- يشير بقوله (وإنا عن قليل إليها صائرون) إلى فناء الدنيا وقلة مدتها.

### بحث عقائدي

#### الرضا بقضاء الله تعالى

من نعم الله تعالى أن منحنا عقلاً نزن به الأشياء ونميز به بين الحق والباطل ونستدل من خلاله على الخير فنفعله وعلى الشر فتجتنبه، وبهذه النعمة الإلهية التي لا تضاهيها نعمة إلا الإيمان نعرف أن الله تعالى هو خالقنا ومدبر أمرنا ورحيم بنا أرحم من أمهاتنا بل أرحم من أنفسنا بأنفسنا، وهو الحكيم الذي لا خطأ ولا خلل في فعله، وهو العادل الذي لا يجورد في قضائه، المعصوم الذي لا يخطأ في تقديره، والعالم المحيط

(١) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣٢١، ح ٣٨. ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٢١٩، ح ٥٩٢٤.

بكل شيء فلا يفوته شيء، يعلم بما ينفعنا وما يضرنا وما يصلحنا وما يفسدنا، والقادر المطلق الذي يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير، فإذا عرفنا ذلك وأيقنت به أنفسنا وأقرت به عقولنا لابد لنا من التسليم والانقياد له والتوكل عليه في جميع ما يهمنا والرضا والقبول بكل ما يقضي ويقدر، إذ إن عدم الرضا بقضائه وقدره يدل على جهلنا وعدم معرفتنا به ونقصان توحيدنا.

### أسئلة مهمة

السؤال : ما هو الرضا الذي ينبغي أن نعيشه في حياتنا؟

الجواب : الرضا : هو القبول بل التسليم والانقياد وعدم الاعتراض على ما يقضي سبحانه ويقدر.

السؤال : ما هي فوائد وثمرات الرضا؟

الجواب : للرضا مجموعة من الآثار والفوائد والثمرات وهي كما يلي :

١- يوجب القرب الإلهي كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ، فَإِنْ صَبَرَ لِحُبِّهِ، وَإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ»<sup>(١)</sup>.

٢- يوجب الأجر العظيم في يوم لا ينفع فيه مال لا بنون وهذا ما أكدته رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

«أَعْطُوا اللَّهَ الرَّضَا مِنْ قُلُوبِكُمْ تَنْظُرُوا بِثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ تَفْرِكُكُمْ الْإِفْلَاسِ»<sup>(٢)</sup>.

٣- يوجب القناعة والشعور بالكفاية كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

وسلم :

(١) بحار الأنوار : ج ٨٢، ص ١٤٢، ح ٢٦. ميزان الحكمة : ج ٤، ص ١٤٧٦، ح ٧٣٠٦.

(٢) مستدرک الوسائل : ج ٢، ص ٤١٢، ح ٢٣٣١. ميزان الحكمة : ج ٤، ص ١٤٧٦ - ١٤٧٧، ح ٧٣٠٧.

«مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَكْفِيهِ كَانَ أَيْسَرُ مَا فِيهَا يَكْفِيهِ»<sup>١٣</sup>.

٤- يوجب استجابة الدعاء وتحقيق ما نتمنى كما ورد ذلك عن الإمام الحسن عليه السلام:

«أَنَا الضَّامِنُ لِمَنْ لَا يَهْجِسُ فِي قَلْبِهِ إِلَّا الرِّضَا أَنْ يَدْعُو اللَّهَ فَيَسْتَجَابَ لَهُ»<sup>١٤</sup>.

٥- يوجب الشعور بالغنى والتزهد عما في أيدي الناس كما قال الإمام الصادق عليه السلام:

«ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ غَنِيًّا»<sup>١٥</sup>.

٦- يوجب الشعور بالاطمئنان والراحة كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام:

«الرَّوْحُ وَالرَّاحَةُ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ. وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ فِي الشَّكِّ وَالسَّخَطِ»<sup>١٦</sup>.

٧- يمنع وقوع الحزن ويرفعه عن صاحبه كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«مَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ»<sup>١٧</sup>.

وعنه عليه السلام أنه قال:

«الرِّضَا يَنْفِي الْحُزْنَ»<sup>١٨</sup>.

السؤال: ما هي الآثار السلبية والنتائج الوخيمة لعدم الرضا؟

(١) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٦٩، ح ٦. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٧، ح ٧٣١١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٥٩، ح ٧٥. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٧، ح ٧٣٠٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٣٦٨، ح ٤. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٧، ح ٧٣١٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٥٩، ح ٧٥. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٧، ح ٧٣١٦.

(٥) لهج البلاغة: الحكمة ٣٤٩. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٨، ح ٧٣١٩.

(٦) غرر الحكم: ٤١٠. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٨، ح ٧٣٢٠.

الجواب:

١- من لم يرض بما أعطاه الله تعالى وقع في فخ الشك ونسب الظلم إلى الله تعالى كما أكد ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:  
«مَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، اتَّهَمَ اللَّهَ تَعَالَى فِي قَضَائِهِ»<sup>(١)</sup>.

٢- يؤدي عدم الرضا إلى صيرورة الأعمال هباء منثورا كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله:  
«مَنْ رَضِيَ الْقَضَاءَ، أَتَى عَلَيْهِ الْقَضَاءُ، وَهُوَ مُأْجُورٌ وَمَنْ سَخِطَ الْقَضَاءَ، أَتَى عَلَيْهِ الْقَضَاءُ، وَاحْبَطَ اللَّهُ أَجْرَهُ»<sup>(٢)</sup>.

السؤال: هل أن الرضا يعني ترك السعي في الأسباب؟

الجواب: لا يقول بذلك أحد بل أن القول على خلاف ذلك، إذ يحثنا الشرع على السعي والسبب في الأسباب كما في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله عز وجل:

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام صريح في التسبب كما في قوله عليه السلام:

(١) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٠٢، ح ٣٣. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٨، ح ٧٣٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٣٩، ح ٢٦. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٤٧٨، ح ٧٣٢٥.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

«أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ، فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا وَجَعَلَ لِكُلِّ سَبَبٍ شَرْحًا، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَرْحٍ عِلْمًا، وَجَعَلَ لِكُلِّ عِلْمٍ بَابًا نَاطِقًا، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ، ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ»<sup>(١)</sup>.

فإذا عرفنا هذا يتبين لنا أن الرضا هو التسليم والقبول بكل ما يصينا بعد أن نؤدي تكليفنا الشرعي ألا وهو السعي في الأسباب الشرعية المقبولة عند الله تعالى دون أسباب الشيطان، ولا شك في الفرق بين سبل وأسباب الله تعالى وبين سبل وأسباب غيره المعوجة المفضية إلى عاقبة سيئة.

السؤال: كيف نُميّز بين سبل الله تعالى وأسبابه وبين سبل وأسباب غيره؟  
الجواب: هذا أمر بديهي لا لبس فيه، فكل ما هو موافق للشرع فهو سبب وسبيل إلهي وكل ما هو مخالف للشرع فهو غير ذلك.

السؤال: كيف نُميّز أن المكروه الذي أصابنا من الله تعالى أو من غيره؟  
الجواب: في مقام الجواب عن هذا السؤال لابد من الوقوف على ما يأتي:  
١- إذا أصابنا مكروه دون أن نتسبب به، كوقوع زلزال أو غيره من الكوارث فهو من الله تعالى ولا يريد به إلا نفعنا فلذا لا يحمد على مكروهه سواء.  
٢- إذا أصابنا مكروه بسبب جثاه، فهو منا والله تعالى بريء منه كما في كثير من الأسباب التي تؤدي إلى عواقب وخيمة فلذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«سَبَبُ قَسَادِ الْيَقِينِ الطَّمَعُ»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام:

(١) الكافي: ج ١، ص ١٨٣، ٧. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٦٥٢، ح ٨١٦٦.

(٢) غرر الحكم: ٥٥١٣. ميزان الحكمة: ج ٤، ص ١٦٥٢، ح ٨١٧٢.

**- نصيحة يجب أن تسمعها**

إذا ادعى أحد أنه عبد الله تعالى يجب أن يصدق المدعي بالتلبس بثوب العبودية وألا يلزم من دعواه الكذب والنفاق، وليعلم العبد أن المولى لا يريد له إلا الخير ولا راد لما يريد، وعليه أن يعرف أن السبل غير سبيل الله تعالى تؤدي إلى الفشل والتبع وعدم الاطمئنان بل قد تؤدي إلى ذل في الدنيا، وحبط الأعمال وحرمان الثواب ووقوع الخزي والعذاب في الآخرة، وهذا ما يمكن استنباطه من حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود تُريدُ وأريدُ، ولا يكونُ إلا ما أريدُ، فإن أسلمتَ بما أريدُ أعطيتُك ما تُريدُ، وإن لم تُسلمْ لما أريدُ اتعبتُك فيما تُريدُ، ثم لا يكونُ إلا ما أريدُ».

**- التزود بالأعمال الصالحة**

قرن الإيمان بالله تعالى وبأنبيائه ورسله وملائكته واليوم الآخر بالعمل الصالح ولولا هذا العمل الصالح لما صح أن يقال للإيمان إيمان لأن الإيمان هو العمل قبل كل شيء وهذا ما أكدته المحاوره بين الإمام الصادق عليه السلام والزييري إذ سأله (عن أفضل الأعمال عند الله: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به، قلت: وما هو؟ قال عليه السلام:

«الإيمانُ بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمالِ دَرَجَةً وأشرفُها منزلةً وأسانها حظاً».

قال، قلت: ألا تُخبرني عن الإيمان، أقول هوَ وعملٌ، أم قولٌ بلا عمل؟ فقال عليه السلام:

«الإيمانُ عَمَلٌ كُلُّهُ، والقَوْلُ بَعْضُ ذَلِكَ الْعَمَلِ»<sup>(١)</sup>.

فمن هذا اتضح أن الإيمان والعمل متحدان لا ينفك أحدهما عن الآخر وإلا ففسدا وفقدنا عنوانهما الحقيقي، وعند إحصاء وتأمل الآيات الكريمة التي ورد فيها الإيمان مقروناً بالعمل الصالح يظهر لنا مدى أهمية العمل الصالح ونتيقن أن الإيمان لا فائدة فيه بل لا يتقوم إلا بالعمل الصالح، فلذا جاءت موعظة الإمام الحسين عليه السلام في خطبة:

«فتزودوا فإن خير الزاد التقوى».

وتتالت الأحاديث الشريفة التي تؤكد على أهمية القول الصالح وعلى دوره في حياة الإنسان وآخرته، إذ إن الإيمان والعمل الصالح بمثابة الجناحين اللذين يعرج بهما المؤمن إلى لقاء الله تعالى.

### - العمل مفتاح السعادة

كلنا ينشد السعادة ويعمل لنيلها، وكلنا يتمنى الحياة الطيبة الخالية من الهم والحزن، إلا أن ذلك لا ينال إلا بالعمل الصالح المقرون بالإيمان التام المبني على العلم والمعرفة، فمن رام الدرجات الرفيعة وحلم بالسعادة الدنيوية فليؤمن ويعمل صالحاً، ومن رغب بما عند الله تعالى من الرضا والرضوان والفوز بالجنان فليؤمن ويعمل صالحاً، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٣، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٦، ح ١٤٣٢٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.



وصرحت به الآية الأخرى في قوله تعالى :

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾<sup>(١)</sup>.

ولكي يتضح لنا كيف يكون العمل الصالح مفتاحاً للسعادة لا بد من الوقوف على آثاره الدنيوية والأخروية.

### آثار وثمرات العمل الصالح في الدنيا

١- العمل الصالح يوجب الرفعة والدرجة الراقية التي تجعل صاحبها سيداً في الدنيا والآخرة، كما أكد ذلك أمير المؤمنين بقوله :

«الشَّرَفُ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِحُسْنِ الْأَعْمَالِ، لَا بِحُسْنِ الْأَقْوَالِ»<sup>(٢)</sup>.

٢- يصل بك العمل الصالح إلى هدفك السامي كما في قول الإمام علي عليه السلام :

«الْعِلْمُ يُرْشِدُكَ، وَالْعَمَلُ يُبْلِغُ بِكَ الْغَايَةَ»<sup>(٣)</sup>.

٣- يوجب مدح الناس وثناءهم كما صرح بذلك سيد المتقين وأمير المؤمنين بقوله :

«إِنَّمَا يُسْتَنْدَلُ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى السَّنَنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ النَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ»<sup>(٤)</sup>.

٤- للعمل الصالح أثر صالح على عامله وعلى ذريته، وحفظ له ولمن حوله من الناس كما بين ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله :

(١) سورة طه، الآية : ٧٥.

(٢) غرر الحكم : ١٩٢٤. ميزان الحكمة : ج ٧، ص ٢٨١٦، ح ١٤٢٦٠.

(٣) غرر الحكم : ٢٠٦٠. ميزان الحكمة : ج ٧، ص ٢٨١٦، ح ١٤٢٦١.

(٤) نهج البلاغة : الكتاب ٥٣. ميزان الحكمة : ج ٧، ص ٢٨١٧، ح ١٤٢٧٧.

«إِنَّ اللَّهَ لَيُصْلِحُ بِصَلَاحِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ وَلِدَهُ، وَوُلْدَ وَلَدِهِ، وَيَحْفَظُهُ فِي دُورَتِهِ، وَدُورَاتِ حَوْلِهِ، فَلَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ اللَّهِ لِكِرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْغُلَامَيْنِ، فَقَالَ:

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾<sup>(١)</sup>.

الْمُرْتَأَى أَنَّ اللَّهَ شَكَرَ صَلاَحَ أَبَوَيْهِمَا لَهُمَا؟!﴾<sup>(٢)</sup>.

٥- العمل الصالح يوجب القوة في البدن والنفس كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ يَعْمَلْ يَزِدْ قُوَّةً، مَنْ يُقْصِرْ فِي الْعَمَلِ يَزِدْ قُتْرَةً»<sup>(٣)</sup>.

٦- العمل الصالح يؤدي أن يصلح الله دين العبد كما في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ»<sup>(٤)</sup>.

### - آثار العمل الصالح في الآخرة

١- به ينال ما عند الله تعالى من الأجر كما في قول الإمام علي عليه السلام:

«بِالْعَمَلِ يَحْصُلُ الثَّوَابُ لَا بِالْكَسَلِ»<sup>(٥)</sup>.

٢- من خلال العمل الصالح نشعر بقيمة العلم ونلمس فائدته وهذا ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٣٧، ح ٦٣. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٣٣، ح ١٤٣٧٠.

(٣) غرر الحكم: ٧٩٩٠ - ٧٩٩١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٧١٦، ح ١٤٢٥٩.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٣. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٣٤، ح ١٤٣٨٠.

(٥) غرر الحكم: ٤٢٩٥. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨١٦، ح ١٤٢٦٢.

«يُحَسِّنِ الْعَمَلُ تُجْنِي ثَمَرَةَ الْعِلْمِ لِأَيُّ حُسْنِ الْقَوْلِ»<sup>(١)</sup>.

٣- يرفد صاحبه بالنعم الوفيرة كما في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«اعْمَلُوا قَلِيلًا تَنْعَمُوا كَثِيرًا»<sup>(٢)</sup>.

٤- يوجب حب الله تعالى ومن أحب الله فلا خوف عليه ولا يحزن من شيء

وهو ما ذكره الإمام زين العابدين بقوله:

«إِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحْسَنْتُمْكُمْ عَمَلًا، وَإِنْ أَظَمْتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَمَلًا

أَعْظَمْتُكُمْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ رَغْبَةً».

٥- العمل الصالح يهيئ لصاحبه المكان المريح والحياة الهنيئة كما ذكر ذلك الإمام

الباقر عليه السلام بقوله:

«إِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَذْهَبُ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَمَهِّدُ لِصَاحِبِهِ كَمَا يَبْعَثُ الرَّجُلُ غُلَامَهُ

فَيَقْرُسُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ:

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

٦- يرفد صاحبه بالثواب بعد وفاته وهذا ما أكدته الأحاديث الكثيرة كقول النبي

الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«سَبْعَةُ أَسْبَابٍ يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ ثَوَابُهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ: رَجُلٌ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ حَفَرَ بَيْتًا، أَوْ

أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ كَتَبَ مُصْحَفًا، أَوْ وَرَّثَ عِلْمًا، أَوْ خَلَّفَ وَلَدًا

صَالِحًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) غرر الحكم: ٤٢٩٦. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨١٧، ح ١٤٢٦٨.

(٢) تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١٨٣. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨١٧، ح ١٤٢٧٢.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٨٥، ٤٦. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢١، ح ١٤٢٨٦.

(٥) تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١١٠. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢١ - ٢٨٢٢، ح ١٤٢٨٨.

## - نصوص -

١- لا تنال الآخرة ولا ينجو العبد إلا بالعمل الصالح وإن كان ذا مال ومنصب  
كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ لِأَخَدِكُمْ ثَلَاثَةَ أَخْلَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ يُسْتَعْتَبُ بِمَا سَأَلَهُ فَذَلِكَ مَالُهُ، وَمِنْهُمْ خَلِيلٌ  
يَنْطَلِقُ مَعَهُ حَتَّى يَلِجَ الْقَبْرَ وَلَا يُعْطِيهِ شَيْئاً وَلَا يَصْحَبُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ قَرِيبُهُ،  
وَمِنْهُمْ خَلِيلٌ يَقُولُ: وَاللَّهِ أَنَا ذَاهِبٌ مَعَكَ حَيْثُ ذَهَبْتَ وَلَسْتُ مُفَارِقَكَ! فَذَلِكَ  
عَمَلُهُ، إِنْ كَانَ خَيْراً وَإِنْ كَانَ شَرّاً»<sup>(١)</sup>.

أو كان ذا نسب وحسب وهذا بعينه ما ذكره الإمام أمير المؤمنين عليه السلام  
بقوله:

«مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْنَعْ بِهِ نَسَبُهُ (حَسْبُهُ)»<sup>(٢)</sup>.

٢- ضرورة الاستمرار على عمل الخير وإن كان قليلا لما في ذلك من أجر عظيم  
وفائدة كبرى، هذا ما ذكرته الأحاديث الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم بقوله:

«الْمُدَاوِمَةُ عَلَى الْعَمَلِ فِي اتِّبَاعِ الْآثَارِ وَالسُّنَنِ وَإِنْ قَلَّ، أَرْضَى اللَّهُ وَأَنْفَعُ عِنْدَهُ فِي  
الْعَاقِبَةِ مِنَ الْجَهْدِ فِي الْبِدْعِ وَاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«الْمُدَاوِمَةُ الْمُدَاوِمَةُ! فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِينَ غَايَةً إِلَّا الْمَوْتَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) كنز العمال: ٤٢٧٥٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢١، ح ١٤٢٨٤.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٢٣، ٣٨٩. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ١٨، ص ١٣٤. ميزان الحكمة:  
ج ٧، ص ٢٨١٦، ح ١٤٢٦٣.

(٣) الكافي: ج ٨، ص ٨، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٢، ح ١٤٢٩٣.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١، ص ١٣٠، ح ١٧٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٢، ح ١٤٢٩٢.

وعن الإمام الباقر عليه السلام بقوله :

«أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، وَإِنْ قَلَّ»<sup>(١)</sup>.

٣- للمداومة على فعل الخير آثار حسنة يحتاجها الفرد والمجتمع هذا ما أكدته

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

«أَمَّا الْمُدَاوِمَةُ عَلَى الْخَيْرِ فَيَتَشَعَّبُ مِنْهُ: تَرْكُ الْفَوَاحِشِ، وَالْبُعْدُ مِنَ الطُّيُوسِ، وَالتَّخَرُّجُ، وَالْيَقِينُ، وَحُبُّ النَّجَاةِ، وَطَاعَةُ الرَّحْمَنِ، وَتَغْظِيمُ الْبُرْهَانِ، وَاجْتِنَابُ الشَّيْطَانِ، وَالْإِجَابَةُ لِلْعَدْلِ، وَقَوْلُ الْحَقِّ. فَهَذَا مَا أَصَابَ الْعَاقِلَ بِمُدَاوِمَةِ الْخَيْرِ»<sup>(٢)</sup>.

٤- العمل الصالح القليل أفضل من العمل الكثير الذي لا تطيقه النفس وتمل منه

القلوب فلذا أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك بقوله :

«إِنَّ النَّفْسَ مَلُولَةً، وَإِنْ أَخَذَكُمْ لَا يَدْرِي مَا قَدَرُ الْمُدَّةِ، فَلْيَنْظُرْ مِنَ الْعِبَادَةِ مَا يُطِيقُ، ثُمَّ لِيُدَاوِمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ مَا دِيمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ»<sup>(٣)</sup>.

٥- انتبه إلى عملك وأحرص أن تكون له عاقبة حسنة ولذة دائمة، وهذا ما نبهنا

إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

«شَتَانٌ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَنْهَبُ لَذَّتُهُ وَيَبْقَى تَبِعَتُهُ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مُؤَوَّنَتُهُ وَيَبْقَى أَجْرُهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢١٩، ح ٢٥. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٢، ح ١٤٢٩٥.

(٢) تحف العقول: ص ١٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٤، ح ١٤٣٠٦.

(٣) كنز العمال: ٥٣١٢. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٤، ح ١٤٣٠٧.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ١٢١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٨، ص ٣١٠. ميزان الحكمة: ج ٧،

ص ٢٨٣٤، ح ١٤٣٧٥.

### - أسئلة مهمة -

السؤال: لم نرى أن الجزاء على العمل أكبر وأضخم من العمل؟

الجواب: هناك بحث في بيان مدى الترابط بين العمل والجزاء وملخصه:

قبل بيان هذا الترابط لابد من توضيح السؤال أو الإشكال الوارد على العدل

الإلهي ثم يتسنى لنا الجواب عنه.

الإشكال: إن الجزاء الأخروي في مقام العقاب لا يتناسب مع الذنب الذي

يصدر عن العبد وهذا يدل على عدم عدل الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً،

فمثلاً:

لو عبث إنسان في طريق العامة وأحدث فيه ما يعيبه لابد له من عقوبة جزاء لما

فعل، إلا أن هذه العقوبة خروج عن العدالة ومخالفة لها.

وهكذا لو صدرت عن الإنسان غيبة مثلاً فمات دون أن يتوب عنها لابد أن

تكون لها عقوبة ولكن هذه العقوبة لابد أن تتناسب مع الفعل الحرام، إلا أننا نرى أن

عقوبة فاعل الغيبة هي أن يكون طعاماً لكلاب النار، أليس هذه العقوبة قاسية

وشديدة، ومن هذا المنطلق نرى أن العقوبة لا تناسب الذنب وهذا ما يخالف العدل

الإلهي؟

الجواب: ورد الجواب عند أهل الاختصاص من خلال هذه المقدمات وهي كما

يلي:

١- إن الآخرة عالم لا يشبه عالم الدنيا في كثير من قوانينه، وعلى سبيل المثال:

ألف: في عالم الدنيا يحصل التغير والانتقال من مرحلة إلى أخرى كالإنسان يبدأ

طفلاً رضيعاً ثم يكون صبياً ثم يصبح شاباً ثم يعرج على الكهولة فالشيخوخة، أما في

عالم الآخرة لا طفولة ولا كهولة ولا شيخوخة بل لا موت ولا فناء.

باء: هذا العالم هو عالم الزراعة والآخرة عالم الحصاد وتحصيل الثمار، أي أن العمل هنا دون حساب، وهناك الحساب والجزاء فقط، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَإِنَّ غَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»<sup>(١)</sup>.

جيم: في هذا العالم تستطيع أن تصحح الخطأ وتتوب عن الذنوب أما في الآخرة ليس لك الحق في ذلك.

٢- إننا نؤمن أن ما يفعله الإنسان هنا هو الذي يحدد نوع المصير هناك وهذا ما أكده رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الأحاديث الشريفة التي لو تأملها المنصف يجد الجواب على سؤاله والحل لإشكاله وهي كما يلي:

جاء في حديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«لَمَّا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ شَاهَدْتُ مَلَائِكَةً يَبْتَثُونَ بُيُوتًا: بَعْضُ مَنْ ذَهَبَ وَآخَرُ مَنْ فِضَّةٌ. وَأَخْيَانًا يَتَوَقَّفُونَ عَنِ الْعَمَلِ، فَسَأَلْتُهُمْ لِمَاذَا تَعْمَلُونَ أَخْيَانًا وَتَقِفُونَ عَنِ الْعَمَلِ أَخْيَانًا؟ فَاجَابُوا، حَتَّى تَصِلَنَا إِمْدَادَاتُ صَاحِبِ الْبَيْتِ.. فَسَأَلْتُ وَمَا تَقْصُدُونَ بِالْإِمْدَادَاتِ؟ قَالُوا: ذِكْرُ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا قَوْلُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

فَقِي كُلِّ وَقْتٍ يَقُولُ نَحْنُ نَبِيٌّ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَوَقَّفُ نَحْنُ أَيْضًا نَتَوَقَّفُ»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في حديث آخر عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم:

«كُلُّ مَنْ يَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ يُعْرِسُ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً، وَكُلُّ مَنْ يَقُولُ الْحَمْدُ

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري: ج ٤، ص ١٢٢، ح ١٣٥١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٤، ص ١٢٠٨. العدل الإلهي، الشهيد مرتضى المظهري: ص ٢٥٤.

لله يُغْرِسُ اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً وَكُلُّ مَنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يُغْرِسُ لَهُ اللهُ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ، وَكُلُّ مَنْ يَقُولُ اللهُ أَكْبَرُ يُغْرِسُ اللهُ لَهُ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ. فقال له رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: إِذَنْ أَشْجَارُنَا فِي الْجَنَّةِ كَثِيرَةٌ، فَأَجَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

نَعَمْ وَلَكِنْ حَازِرُوا أَنْ تَبْعُوا إِلَيْهَا نَارًا تُخْرِقُهَا عَنْ بَكْرَةِ أَبِهَا، وَكَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

مما تقدم نخلص إلى جواب وهو أن الأعمال تتجسم في الآخرة وكما يدل على ذلك قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ مَصَافًا ۚ تَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

وقوله تعالى:

﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُنَوِّلُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وهناك إضافة إلى ما تقدم من الجزاء هو أثر للعمل فلا يقال لماذا لا يتناسب الأثر مع العمل القبيح فمثلا: لو شرب رجل سما في خمس دقائق وبسهولة ودون أن يؤذي أحدا فإنه يموت فلا يقال لماذا مات؟

(١) سورة محمد، الآية: ٣٣.

(٢) العدل الإلهي للشهيد مرتضى المطهري: ص ٢٥٤.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٩.



وإذا زنى أحد وأصيب بمرض زهري مدى حياته فلا يقال لماذا لا يوجد تناسب بين الفعل الذي لم يستغرق إلا ساعة وبين نتيجة الفعل التي امتدت طوال عمر الفاعل، فإن هذه آثار لتلك الأعمال وهكذا في الآخرة فإن للأفعال آثارا لا تناسب الفعل.

السؤال: ما هي العوامل التي تساعد على قبول الأعمال؟

الجواب: ذكرت الأحاديث الشريفة خصلاً كثيرة ينبغي أن يتصف بها العامل لكي يقبل عمله وهي كما يلي:

١- التقوى: ينبغي أن يتصف العامل بالتقوى والتلبس بالطاعات لأن الله تعالى لا يتقبل إلا من المتقين كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وأكد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته للصحابي الجليل أبي ذر رضي الله عنه على أن التقوى سبب في قبول العمل وإن كان قليلاً:

«يَا أَبَا ذَرٍّ كُنْ بِالْعَمَلِ بِالتَّقْوَى أَشَدَّ اهْتِمَاماً مِنْكَ بِالْعَمَلِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ عَمَلٌ بِالتَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقْبَلُ عَمَلٌ يُقْبَلُ؟! يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- العقل: هو الملاك الذي يمتاز به المكلف عن غيره والميزان الذي توزن به الأمور، والقوة التي تدرك بها العلوم والأشياء فلذا ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام:

«قَلِيلُ الْعَمَلِ مِنَ الْعَاقِلِ مَقْبُولٌ مُضَاعَفٌ، وَكَثِيرُ الْعَمَلِ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَالْجَهْلِ

مَرْدُودٌ»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

(٢) مكارم الأخلاق: ج٢، ص٣٧٥، ح٢٦٦١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٢٧، ح١٤٣٣٣.

(٣) تحف العقول: ص٢٨٧. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٢٧، ح١٤٣٣٤.

٣- الإخلاص: كل عمل لا يتصف بالإخلاص فهو رياء ومردود على صاحبه لأنه لم يرد به وجه الله تعالى يكله إلى من عمل له فإذا كان عمله لسمعة بين الناس أو تحصيل فائدة منهم فليأخذ أجره ممن عمل له وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِنَّكَ لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْ عَمَلِكَ إِلَّا مَا أَخْلَصْتَ فِيهِ»<sup>(١)</sup>.

السؤال: ما هي الموانع التي تمنع قبول الأعمال؟

الجواب: تقدم ذكر العوامل التي تساعد على قبول الأعمال والآن لابد أن نذكر المؤمنين من موانع قبول الأعمال وهي كما يلي:

١- عدم الاتصاف بالورع عن المعاصي وافتقار العامل للخلق الحسن الذي يعاشر به الناس وسرعة الانفعال والغضب هي ما تمنع قبول الأعمال كما في قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«ثَلَاثٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ لَمْ يَقْمَلْهُ عَمَلٌ: وَرَعٌ يَخْجُزُهُ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخُلُقٌ يُدَارِي بِهِ النَّاسَ، وَحِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ الْجَاهِلِ»<sup>(٢)</sup>.

٢- الاختلال في العقائد وانكار أصول الدين سبب مهم في منع قبول العمل، سوء الخلق مع الوالدين والتقصير معهما حاجبا لمنع العمل، والخيانة والهروب عند الجهاد مانع ثالث بمنع قبول الأعمال كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ثَلَاثَةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الرَّخْفِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) غرر الحكم: ٣٧٨٧. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٢٨، ح١٤٣٣٥.

(٢) الخصال: ص١٢٥، ح١٢١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٢٨، ح١٤٣٣٧.

(٣) كثر العمال: ٤٣٨٢٤، ٤٣٩٣٧. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٢٨، ح١٤٣٤١.

٣- إطلاق اللسان فيما حرم الله تعالى من الغيبة والنميمة والفحش بالقول والبذاءة والغناء وقذف المؤمنين وهجائهم والسخرية والاستهزاء بهم وغير ذلك من زلات اللسان هو من أكبر الموانع لقبول العمل بل هو ينسف العمل نسفا كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَا غِيلَ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ لِسَانَهُ»<sup>(١)</sup>.

وكما في قول الإمام الصادق عليه السلام لعباد بن كثير البصري الصوفي:

«وَيْحَكَ يَا عَبَّادُ! غَرَّكَ أَنْ عَفَّ بَطْنُكَ وَفَرَّجُكَ؟! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.  
اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ شَيْئاً حَتَّى تَقُولَ قَوْلًا عَدْلًا»<sup>(٣)</sup>.

٤- إخفاء الحقد والضغائن في القلب على المؤمنين سبب آخر يمنع قبول الأعمال كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُؤْمِنٍ عَمَلًا وَهُوَ مُضْمِرٌ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ سُوءًا»<sup>(٤)</sup>.

٥- الاستمرار على المعصية بإصرار يعد من الكبائر التي لا يقبل معها أي طاعة كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام:

(لَا وَاللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئاً مِنْ طَاعَتِهِ عَلَى الْإِصْرَارِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِيهِ»<sup>(٥)</sup>.

السؤال: كيف نشخص العمل السيئ عند إلتباس الحق بالباطل؟

(١) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٨٥. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٨، ح ١٤٣٤٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ و ٧١.

(٣) الكافي: ج ٨، ص ١٠٧، ح ٨١. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٩، ح ١٤٣٤٣.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٣٦١، ح ٨. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٩، ح ١٤٣٤٧.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٩، ح ١٤٣٤٦.

الجواب:

لا شك أن الأعمال الصالحة معروفة واضحة وكذلك الأعمال السيئة إلا أن هناك ميزانا نوزن به العمل نعرف من خلاله قبح العمل أو حسنه، ويمكن تلخيص ذلك من خلال هذه النقاط المهمة:

١- إذا كان العمل مخجلاً يستحي منه فهو قبيح، كما هو في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«اخْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السَّرِّ، وَتُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ»<sup>(١)</sup>.

٢- إذا كان العمل يدعو للاعتذار فهو قبيح، كما ورد في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«اخْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُبِّلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَذَرَ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

٣- إذا كان العمل مما ينكره صاحبه فهو قبيح، حيث قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَكُلَّ عَمَلٍ إِذَا ذُكِرَ لِصَاحِبِهِ أَنْكَرَهُ»<sup>(٣)</sup>.

٤- إذا كان العمل سبياً في تفرق الناس عنك أو يحط من مقامك، أو يوقع عليك ضرراً في الدنيا وإثماً في الآخرة، حيث ورد في قول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَكُلَّ عَمَلٍ يُتَفَرَّغُ عَنْكَ حُرّاً، أَوْ يُنْذَلُ لَكَ قَدْرًا، يَجْلِبُ عَلَيْكَ شَرًّا، أَوْ تَحْمِلُ بِهِ إِلَى الْقِيَامَةِ وَزْرًا»<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٦٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٩، ح ١٤٣٥٦.

(٢) ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٩، ح ١٤٣٥٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٦٩، ح ١٩. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٢٩، ح ١٤٣٥٨.

(٤) غرر الحكم: ٢٧٢٧. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٣١، ح ١٤٣٥٩.

**- نصائح ضرورية**

دأب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام على إسداء النصائح إلى المؤمنين وإرشاد الأمة إلى طريق السعادة الدنيوية والأخروية، ومما يدخل تحت هذا العنوان ما ورد عنهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) من أحاديث تعد من نعم الله تعالى علينا وهي كما يلي:

١- أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالتمسك بالعلم واتخاذ في كل عمل يريدون عمله كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لابن مسعود:

«يَا بَنَ مَسْعُودٍ، إِذَا عَمِلْتَ عَمَلًا فَأَعْمَلْ بِعِلْمٍ وَعَقْلٍ، وَإِيَّاكَ وَأَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا بِغَيْرِ تَدْبِيرٍ وَعِلْمٍ؛ فَإِنَّهُ جَلُّ جَلَالُهُ يَقُولُ:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ﴾<sup>(١)</sup>».

٢- على كل من يعمل عملاً لا بد أن يضع نصب عينيه الثواب والعقاب لكي تستقيم أعماله وتكون عند الله تعالى مرضية مقبولة كما أكد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«اعْمَلْ عَمَلٌ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَجَازِيهِ بِإِسَائِهِ وَإِحْسَانِهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة النحل، الآية: ٩٢.

(٢) مكارم الأخلاق: ج ٣، ص ٣٦١، ح ٢٦٦٠. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٣١، ح ١٤٣٦٠.

(٣) غرر الحكم: ٢٣٥٢. ميزان الحكمة: ج ٧، ص ٢٨٣١، ح ١٤٣٦١.



## الخطبة السادسة

وفيهما يُذكر بفضائل أهل البيت

عليهم السلام ويأمر باتّباعهم





حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي فقال:

### نص الخطبة

(نَحْنُ حِزْبُ اللَّهِ الْغَالِبُونَ، وَعِترَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْأَقْرَبُونَ،  
وَأَهْلُ بَيْتِهِ الطَّيِّبُونَ، وَاحْدُ الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ جَعَلَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثَانِي  
كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الَّذِي فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ  
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَالْمَعُولُ عَلَيْنَا فِي تَفْسِيرِهِ لَا يُبْطِنُنَا نَأْوِيهِ، بَلْ نَتَّبِعُ حَقَائِقَهُ، فَأَطِيعُونَا فَإِنِ طَاعَتُنَا  
مَفْرُوضَةٌ، أَنِ كَانَتْ بَطَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَفْرُوضَةً، قَالَ اللَّهُ غَزَوَجَلَّ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ  
فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ غَزَوَجَلَّ:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ  
وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وَأَحْذَرُكُمْ الْإِصْغَاءَ إِلَى هَوَى الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَتَكُونُوا

(١) سورة النساء، الآية : ٥٩.

(٢) سورة النساء، الآية : ٨٣.



كَأُولَئِكَ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ:

﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّ جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتْ الْفِئَتَانِ  
نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فَتَلْقَوْنَ لِلسَّيُوفِ ضَرْبًا، وَلِلرُّمَاحِ وَرْدًا، وَلِلْعُمَدِ حَطْمًا، وَلِلسَّهَامِ غَرَضًا، ثُمَّ لَا يُقْبَلُ  
مِنْ نَفْسٍ إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا).  
(نَحْنُ حِزْبُ اللَّهِ الْغَالِبُونَ، وَعِثْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْأَقْرَبُونَ،  
وَأَهْلُ بَيْتِهِ الطَّيِّبُونَ، وَأَخَذَ الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ جَعَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ  
ثَانِي كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الَّذِي فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ  
بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَالْمَعُولُ عَلَيْنَا فِي تَفْسِيرِهِ، لَا يُبْطِنُنَا تَأْوِيلُهُ، بَلْ نَتَّبِعُ حَقَائِقَهُ،  
فَاطِيعُونَ فَإِنَّا طَاعَتًا مَفْرُوضَةً، إِن كَانَتْ بَطَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَقْرُونَةً، قَالَ اللَّهُ عَزَّ  
وَجَلَّ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ  
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا  
فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ...﴾.

يشير بضمير الجمع إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويعرفهم بأنهم  
الجماعة القوية الصلبة القاهرة والفائزة التي ترتبط بالله تعالى، ونسل رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم وعشيرته الأقربون، وأهل بيته الأزكياء الطاهرون أو أحد الشيعين

العظيمين النفيسين الذين جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجهة المقابلة للقرآن الكريم، هذا الكتاب الذي فيه بيان أجزاء كل شيء، لا يأتيه الباطل أي لا يقع منه ما يخالف الحق أو ما يخالف الصحيح من أمامه أو من وراء ظهره، والمعتمد علينا في توضيح وشرح القرآن الكريم، ولا يتأخر علينا إرجاعه إلى أصله وحقيقته وباطنه، بل نطلب خالصه وكنهه، فانقادوا لنا فإن الانقياد لنا أمر واجب من الله تعالى، لأن طاعتنا ملازمة ومصاحبة لطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٖ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ﴾<sup>(١)</sup>.

وَأَخَذَرُكُمْ بِالضُّعْفَاءِ إِلَى هَتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، فَتَكُونُوا كَأُولِيَانِهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ:

﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّ جَارَ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ ۖ﴾<sup>(٢)</sup>.

فَتَلْقَوْنَ لِلسَّيْفِ ضَرْبًا، وَلِلرَّمْحِ وَرْدًا، وَلِلْعُمْدِ حَطْمًا، وَلِلسَّهْمِ غَرَضًا، ثُمَّ لَا يَقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا.

وأخوفكم من الاستماع إلى صياح الشيطان بكم فإنه لكم عدو ظاهر، فإذا استمتعتم إلى هتوفه ستكونوا كأتباعه فتطرحون للسيوف الصوارم لتصيبكم، وتكونون مكانا لدخول الرماح، مكانا لتحطم وتكسر الأعمدة، وهدفا لرمي السهام، ثم بعد ذلك لا يرضى عنكم إذا لم تكونوا مؤمنين قبل هذا اليوم أو أنكم مؤمنون غير عاملين بالخير والمعروف.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

### - فضل أهل البيت عليهم السلام

تختلف مقامات البشر ورتبهم تبعاً لاختلاف ذواتهم من حيث الخصائص والصفات الذاتية والمؤهلات النفسية، وحيث إن بعض هذه الصفات والمؤهلات ما هو ظاهر فيعرف بها صاحبها، وبعضها منها يبقى باطنا فلا يحيط بها إلا خالقها سبحانه، ولذا صار المدح دليلاً على مقام الممدوح وعلو رتبته، والذم دليلاً على دنو رتبته وتسافله، إلا أننا نواجه سؤالاً مهماً في طرحنا هذا وهو: مَنْ له الحق في تقييم البشر وإعطائهم الرتبة التي تناسب خصائصهم ومؤهلاتهم؟ ومن البديهي أن يكون الجواب كالآتي:

أن من له القدرة على معرفة الخصائص والمؤهلات معرفة تامة دون الوقوع في الاشتباه أو الالتباس هو صاحب الحق في تقييم هؤلاء، وهذا لا ينطبق إلا على المعصوم في الرؤيا والتقييم، وهذا لا يكون إلا من له إحاطة تامة بهؤلاء البشر وهو ليس إلا خالقهم سبحانه بناء على أن العلة عالمة بمعلولها.

فإذا تبين أن الله تعالى هو من له الحق في تقييم خلقه يلزم منه أن ما صدر من مدح إلهي في حق فرد أو مجموعة هو المعيار في تقديم وتفضيل هذا الفرد أو هذه المجموعة على غيرهم وهذا ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فهو مدح إلهي صريح لفرد من أفراد البشر وهو الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم كما مدح غيره من الأنبياء في آيات كثيرة، وقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الفلم، الآية: ٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

هو أيضا مدح صريح لمجموعة من الأفراد وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا صار لأهل بيت العصمة عليهم السلام فضل على غيرهم فضلهم الله تعالى به، وهناك أحاديث كثيرة وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فنقف عليها ليتضح فضلهم وحقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الناس.

### - فضلهم في القرآن الكريم

وردت الآيات الكريمة الكثيرة التي تبين فضل أهل البيت عليهم السلام عن طريق مصادر أهل السنة وهي كما يلي:

١- آية تبين طهارة وعصمة أهل البيت عليهم السلام كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ورد في صحيح مسلم (في كتاب فضائل الصحابة، في باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنده عن صفية بنت شيبة قالت:

قالت عائشة: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»<sup>(١)</sup>.

---

(١) فضائل الخمسة: ج ١، ص ٢٧٠. (أقول) ورواه الحاكم أيضا في مستدرک الصحيحين: ج ٣، ص ١٤٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ورواه البيهقي أيضا في سننه: ج ٢، ص ١٤٩. ورواه ابن جرير أيضا في تفسيره: ج ٢٢، ص ٥، عن عائشة. وذكره السيوطي أيضا في الدر المنثور في تفسير آية التطهير في سورة الأحزاب وقال: أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي حاتم، وذكره الزمخشري في الكشاف في تفسير آية المباهلة بمناسبة وهكذا الفخر الرازي، وقال: واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث (انتهى).

وجاء في سنن الترمذي (روى بسنده عن عمرو بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وآله وسلم :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي عليه السلام خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال:

«أنت على مكانك وأنت على خير»<sup>(٢)</sup>.

٢- آية المباهلة التي تبين عصمة أهل البيت عليهم السلام على النصارى فضلا عن الأمة الإسلامية كما في قوله تعالى:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ورد في سنن الترمذي (روى بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: لما أنزل الله هذه الآية (ندع أبناءنا وأبنائكم) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) فضائل الخمسة: ج ١، ص ٢٧١. سنن الترمذي: ج ٢، ص ٢٠٩. (أقول) ورواه أيضا في: ج ٢، ص ٣٠٨، ثم قال: وفي الباب عن أم سلمة ومعتل بن يسار وأبي الحمراء وأنس. ورواه الطحاوي أيضا في مشكل الآثار: ج ١، ص ٣٣٥. ورواه ابن الأثير الجزري أيضا في أسد الغابة: ج ٢، ص ١٢. ورواه ابن جرير الطبري أيضا في تفسيره: ج ٢٢، ص ٦ - ٧، وقال عم أم سلمة.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

– وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال:

«اللهم هؤلاء أهلي»<sup>(١)</sup>.

وروى الزمخشري في الكشاف والفخر الرازي في تفسيره الكبير، في ذيل تفسير آية المباهلة في سورة آل عمران، والشبلنجي في نور الأبصار واللفظ للأخير قال:

قال المفسرون: لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غداً فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب – وكان كبيرهم وصاحب رأيهم – ما ترى يا عبد المسيح؟ قال: لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ولئن فعلتم ذلك لنهلكن (وفي رواية) قال لهم: والله ما لآعن قوم قط نبياً إلا هلكوا عن آخرهم، فإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فودعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد احتضن الحسن عليه السلام وأخذ بيد الحسين عليه السلام وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه، وعلي عليه السلام يمشي خلفها، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لهم: «إذا دعوت فأمّنوا».

فلما رآهم أسقف نجران قال: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نباهلك وأن نتركك على دينك وتركنا على ديننا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فإن أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلم وعليكم ما عليهم»

(١) فضائل الخمسة: ج ١، ص ٢٩١. سنن الترمذي: ج ٢، ص ١٦٦. (أقول) ورواه الحاكم أيضاً في مستدرک الصحيحين: ج ٣، ص ١٥٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ورواه البيهقي أيضاً في سننه: ج ٧، ص ٦٣.

فأبوا ذلك فقال :

«إني أنا بذكم» .

فقالوا : ما لنا بجرب العرب طاقة ولكننا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا، وأن نؤدي إليك في كل سنة ألفي حلة، ألفاً في صفر وألفاً في رجب (قال : وزاد في رواية) وثلاثاً وثلاثين درعاً عادية وثلاثة وثلاثين بعيراً وأربعة وثلاثين فرساً غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم على ذلك، وقال :

«والذي نفسي بيده إن العذاب تدلى على أهل نجران ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير ولا ضطرم عليهم الوادي نارا ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر، وما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا» .

(قال) أخرجه الخازن وغيره<sup>(١)</sup> .

٣- سورة هل أتى تبين مقام ورتبة أهل البيت عليهم السلام عند ربهم كما في :

﴿وَيُطِيعُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حَيْهٍ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿١﴾ .

ورد في أسد الغابة لابن الأثير الجزري (في ترجمة فضة النوبية، روى بسنده عن مجاهد، عن ابن عباس قال : في قوله تعالى :

﴿يُؤْتُونَ بِالذِّكْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧) وَيُطِيعُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حَيْهٍ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٣﴾ .

قال : مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما جدتهما رسول الله صلى الله

(١) فضائل الخمسة : ج ١، ص ٢٩١ - ٢٩٢ . نور الأبصار، الشبلنجي : ص ١٠٠ .

(٢) سورة الإنسان، الآيتان : ٨ و ٩ .

(٣) سورة الإنسان، الآيتان : ٧ و ٨ .

عليه - وآله - وسلم وعادهما عامة العرب، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك نذراً، فقال علي عليه السلام:

«إن برنا مما بهما صمت لله عز وجل ثلاثة أيام شكراً».

وقالت فاطمة عليها السلام كذلك، وقالت جارية - يقال لها فضة نوبية - إن برنا سيداي صمت لله عز وجل شكراً فألب الغلامان العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير.

فانطلق علي عليه السلام إلى شمعون الخيرى فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير فجاء بها فوضعها فقامت فاطمة عليها السلام إلى صاع فطحته واختبرته وصلى علي عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من أولاد المسلمين أطعموني أطعمكم الله عز وجل على موائد الجنة، فسمعه علي عليه السلام فأمرهم فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء.

فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة عليها السلام إلى صاع وخبرته وصلى علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم يتيم فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد يتيم بالباب من أولاد المهاجرين استشهد والدي أطعموني فأعطوه الطعام فمكثوا يومين لم يذوقوا إلا الماء.

فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة عليها السلام إلى الصاع الباقي فطحته واختبرته فصلى علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت النبوة تأسرونا وتشدوننا ولا تطعمونا، أطعموني فإني أسير فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأى ما



بهم من الجوع فأنزل الله تعالى:

﴿هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ۝ (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝ (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلَنا وَسْعِيرًا ۝ (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ (٥) غَيْرَ يَشْرَبُونَ بِمَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ (٦) يُؤْتُونَ بِالنَّذِيرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ مُسْتَطِيرًا ۝ (٧) وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ (٨) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرِجْوَةِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝ (٩)﴾.

ثم قال: أخرجها أبو موسى<sup>(٢)</sup>.

وذكر الواحدى فى أسباب النزول (فى بيان نزول قوله تعالى:

﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

فى سورة هل أتى قال: قال عطاء عن ابن عباس، وذلك أن علي بن أبي طالب عليه السلام نوبة أجر نفسه يسقى نخلًا بشيء من شعر ليلة حتى أصبح وقبض الشعر وطحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة فلما تم إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثانى فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأله فأطعموه إياه، ثم عمل الثلث الباقي فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه وطووا، يومهم ذلك، فأنزلت فيه هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الإنسان، الآيات: ١ إلى ٩.

(٢) فضائل الخمسة للسيد مرتضى الفيروز آبادي: ص ٣٠١ - ٣٠٢. أسد الغابة لابن أثير: ج ٥، ص ٥٣٠.

(٣) فضائل الخمسة للسيد مرتضى الفيروز آبادي: ج ١، ص ٣٠٢ - ٣٠٣. أسباب النزول، الواحدى: ص ٣٣١.

(أقول) وذكره المحب الطبري أيضاً فى الرياض النضرة: ج ٢، ص ٢٢٧، وقال فيه: يقال له الحريرة دقيق بلا دهن

وقال: هذا قول الحسن وقادة إن الأسير كان من المشركين، وقال سعيد ابن جبیر: الأسير المحبوس من أهل

القبلة. وذكره أيضاً فى ذخائره: ص ١٠٢.

الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بفضل أهل البيت عليهم السلام ويأمر بالتباعرهم ..... ٢٠١

٤- آية المودة التي دعا الله تعالى فيها الأمة الإسلامية إلى محبة واحترام أهل البيت عليهم السلام، يفهم من هذه الآية الكريمة ما لهؤلاء الأطهار عليهم السلام من منزلة عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ورد في تفسير ابن جرير الطبري:

(روى بسنده عن أبي إسحاق قال: سألت عمرة بن شعيب عن قول الله عز وجل:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

قال: قربى النبي صلى الله عليه وآله وسلم<sup>(٢)</sup>.

ورد عن السيوطي في الدر المنثور (وأخرج ابن مردويه من طريق ابن المبارك عن ابن عباس في قوله: (إلا المودة في القربى) قال - رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -: «تحفظوني في قرابتي»<sup>(٣)</sup>.

ورد أيضا عن السيوطي في الدر المنثور (وأخرج أبو نعيم والديلمي عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «(لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) أن تحفظوني في أهل بيتي وتودوهم بي»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) فضائل الخمسة، السيد مرتضى الفيروز آبادي: ج ١، ص ٣٠٦. تفسير الطبري: ج ٢٥، ص ١٧.

(٣) فضائل الخمسة، السيد مرتضى الفيروز آبادي: ج ١، ص ٣٠٧. الدر المنثور للسيوطي.

(٤) المصدر السابق.

### - فضلهم عليهم السلام في السنة النبوية

بعد أن بينا فضلهم عليهم السلام في القرآن الكريم عن طريق مصادر أهل السنة صار من المناسب أن نقرن ذلك الذي بينا بيان ما جاء في فضلهم عليهم السلام على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعن ذات الطريق ليكون حجة لنا على غيرنا وهو كالآتي:

١- حديث الثقلين الذي يصرح بفضل أهل البيت عليهم السلام ودورهم في قيادة الأمة ويبين حاجتها لهم كحاجتها لكتاب الله تعالى كما ورد ذلك في سنن الترمذي:

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ - كُوفِيٌّ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، قَالَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَطِيَّةٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَالْأَعْمَشُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - وَآلِهِ - وَاسْلَمَ - :

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكَتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَكْثَرُ مِنَ الْآخِرِ كِتَابُ اللَّهِ خَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا».

قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ<sup>(١)</sup>.

٢- وما ذكره صاحب مستدرک الصحيحين فيه بيان أن أهل البيت عليهم السلام هم المراجع الذي ترجع إليه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وهم الذين يرفعون الاختلاف الذي يقع فيها:

(عن سليمان الأعمش قال: ثنا حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع ونزل

(١) سنن الترمذي: ج ١٣، ص ٤٠٩، ح ٤١٥٧.

الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بفضائل أهل البيت عليهم السلام ويأمر باتباعهم ..... ٢٠٢

غدير خم أمر بدوحات فقمين، فقال:

«كأنني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى، وعترتي، فانظروا كيف تحلفوني فيهما، فإنهما لن ينفردا حتى يردا علي الحوض»<sup>(١)</sup>.

٣- الروايات التي تذكر أن نسب أهل البيت عليهم السلام وحسبهم فوق كل نسب وحسب وأفضل من كل نسب وحسب في الدنيا والآخرة كثيرة نذكر منها:  
جاس في الجامع الصغير للسيوطي:

«كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسي وصهري»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في مسند أحمد: (عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنِ الْمُسَوَّرِ قَالَ: بَعَثَ حَسَنُ بْنُ حَسَنِ إِلَى الْمُسَوَّرِ يَخْطُبُ بِنْتًا لَهُ قَالَ لَهُ تُوَافِينِي فِي الْعَتَمَةِ فَلَقِيَهُ فَحَمِدَ اللَّهُ الْمُسَوَّرُ فَقَالَ مَا مِنْ سَبَبٍ وَلَا نَسَبٍ وَلَا صِهْرٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَسَبِكُمْ وَصِهْرِكُمْ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - وَآلِهِ - وَسَلَّمَ قَالَ:

«فَاطِمَةُ شَجَنَةٌ مِنِّي يَسْطُنِي مَا بَسَطَهَا وَيَقْبِضُنِي مَا قَبَضَهَا وَإِنَّهُ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَنْسَابُ وَالْأَسْبَابُ إِلَّا نَسَبِي وَسَبِّي».

وَتَحْتَكُ ابْنَتُهَا وَلَوْ رَوَّجْتُكَ قَبَضَهَا ذَلِكَ فَذَهَبَ عَاذِرًا لَهُ<sup>(٣)</sup>.

٤- هناك روايات متفرقة تشير إلى فضائل متعددة يقف المرء مذهولا أمامها وهي

كالآتي:

(١) المستدرک علی الصحیحین للنیسابوری: ج ١٠، ص ٢٧٧، ح ٤٥٥٣، وج ١١، ص ١٨، ح ٤٦٩٤، باختلاف

بسيط (إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله، وأهل بيتي، وإنما لن ينفردا حتى يردا علي الحوض).

(٢) الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ٦٣٦١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ٣٨، ص ٣٩٢، ح ١٨١٦٧.

عن النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم :

«يا أيها الناس إني فرط لکم وانکم واردون علی الحوض حوض أعرض ما بين صنعاء وبصرى فيه عدد النجوم قدحان من فضة وانی ساندکم حين تردون علی عن الثقلين فانظروا كيف تخلفونی فیهما الثقل الأكبر کتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديکم فاستمسکوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا عتقی أهل بیتی فإنه قد نبأنی اللطیف الخیر أنهما لن یفتقا حتی یردا علی الحوض».

الطبرانی ، وأبو نعيم فی الحلیة ، والخطیب عن أبی الطفیل عن حذیفة بن أسید<sup>(١)</sup>.

وجاء فی مسند أحمد بن حنبل : ( حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ شَدَّادِ أَبِي عَمَّارٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَذَكَرُوا عَلِيًّا فَلَمَّا قَامُوا قَالَ لِي أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - وآله - وَسَلَّمَ قُلْتُ بَلَى قَالَ أَتَيْتُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَسْأَلُهَا عَنْ عَلِيٍّ قَالَتْ : «تَوَجَّهَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - وآله - وَسَلَّمَ» .

فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - وآله - وَسَلَّمَ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِهِ حَتَّى دَخَلَ فَأَذْنَى عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ فَأَجْلَسَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجْلَسَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخْذِهِ ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ أَوْ قَالَ كِسَاءَهُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ :

(١) الجامع الكبير للسيوطي : ج ١ ، ص ٢٦٧٨٨ ، ح ٦٧٧ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣ .

الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بفضائل أهل البيت عليهم السلام ويأمر بالتباعضهم ..... ٢٠٥

«اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ»<sup>(١)</sup>.

نكتفي بهذا المقدار لعلنا أنه كاف لكل ذي لب، علما أن هناك فضائل لا يحيط بها أحد من الناس إلا الراسخون في العلم.

## - بحث عقائدي

### - العدل الثاني

الحديث عن القرآن والوقوف على حقائقه وبواطنه لا يتسنى إلا للمعصوم الذي سده الله تعالى ليكون حجة على الناس، وهذا أمر لا جدال فيه كما في القرآن الكريم من غرائب وعجائب وعلوم وحكم عبر وأمثال محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وبلاغة وبيان وفصاحة وتحدي وانتصار وغيب وشهود وأدب وأخلاق وعقائد وسنن، ولخص كل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه للقرآن عندما قال :

«ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام، فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره، فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهاهم، فيصوب آراءهم جميعا واللهم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد. أفامرهم الله بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول:

﴿مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٣٤، ص ٣٥٠، ح ١٦٣٧٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

وفيه تبيان كل شيء. وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً، وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه وتعالى:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وإن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق»<sup>(٢)</sup>.

ولابد أن يكون القرآن الكريم هكذا لكي يصلح أن يكون منهاجاً للبشر إلى الكمال والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

ولكي نسلط الضوء على وصف القرآن الكريم لابد أن نطلع على أقوال محمد وآل محمد صلوات الله عليهم في وصف كتاب الله العظيم:

١- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قيل له: أَمْتُكَ سَتَفْتَنُ: ما المخرجُ من ذلك، قال:

«كِتَابُ اللَّهِ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَنِي يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، مَنْ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام في صفة القرآن قال:

«جَعَلَهُ اللَّهُ رَبًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَزَيْعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ وَمَحَاجَ لَطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَدَوَاءَ لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظِلْمَةٌ»<sup>(٤)</sup>.

وعنه عليه السلام أيضاً:

«اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغْشَى، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يَضِلُّ،

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) نهج البلاغة، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ج ١، ص ٥٤ - ٥٥، ح ٨.

(٣) تفسير العياشي: ج ١، ص ٦، ح ١١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٢٥، ح ١٦٤١١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة: ١٩٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٩٩. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٢٥، ح ١٦٤١٢.

الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بفضائل أهل البيت عليهم السلام ويأمر باتباعهم ..... ٢٠٧

والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه زيادة أو نقصان، زيادة في هدى أو نقصان من عمى<sup>(١)</sup>.

٣- عن الإمام الحسن عليه السلام قال :

«إن هذا القرآن فيه مصابيح الثور وشفاء الصدور، فليجل جالٍ بوضوئه، وليلجم الصفة قلبه فإن التفكير حياة القلب البصير كما يمشي المستتر في الظلمات بالنور»<sup>(٢)</sup>.

٤- عن الإمام الصادق عليه السلام لما سُئل : ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضافة؟، قال :

«لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمانٍ دون زمانٍ، ولا لناسٍ دون ناسٍ، فهو في كل زمانٍ جديدٌ. وعند كل قومٍ غضٌ إلى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

٥- عن الإمام الرضا عليه السلام في صفة القرآن قال :

«هو خيل الله المتين، وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدى إلى الجنة، والمنجي من النار، لا يخلق على الأزمنة، ولا يغيث على الألسنة، لأنه لم يجعل لزمانٍ دون زمانٍ، بل جعل دليل البرهان، والحجة على كل إنسان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»<sup>(٤)</sup>.

بعد أن عرفنا وصف القرآن عن أهله صار تأكيد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على التمسك به هادياً ولازماً للأمة التي تبغي النجاة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٦. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٠، ص ١٨. ميزان الحكمة : ج ٨، ص ٣٣٢٥ - ٣٣٢٦، ١٦٤١٣.

(٢) كشف الغمة : ج ٢، ص ١٩٩. ميزان الحكمة : ج ٨، ص ٣٣٢٩ - ٣٣٣٠، ح ١٦٤٣٨.

(٣) بحار الأنوار : ج ٩٢، ص ١٥، ح ٨ و ٩. ميزان الحكمة : ج ٨، ص ٣٣٢٨، ح ١٦٤٣٥.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ٢، ص ١٣٠، ح ٩. ميزان الحكمة : ج ٨، ص ٣٣٢٩، ح ١٦٤٣٦.



ولكي نصل إلى معرفة من له القدرة على فهم القرآن الكريم لابد أن نقف على حقيقةهم:

١- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«ما أنزل الله عز وجل آية إلا لها ظهر وبطن، وكل حرف حد، وكل حد مُطع»<sup>(١)</sup>.

٢- عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال:

«كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»<sup>(٢)</sup>.

٣- عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إن القرآن بطناً، وللبطن بطناً، وله ظهر، وللظهر ظهر... وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء، وآخرها في شيء، وهو كلام متصل يتصرف على وجوه»<sup>(٣)</sup>.

وبعد معرفة حقيقته اتضح لنا فهمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله الطاهرين عليهم السلام عن تفسير القرآن الكريم بالفهم الخاص والرأي والجهل كما في قولهم (صلوات الله عليهم).

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قال الله جل جلاله: ما آمنَ بي من فسرَ رأيهِ كلامي»<sup>(٤)</sup>.

(١) كنز العمال: ٢٤٦١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٤٩، ح ١٦٥٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ٢٠، ح ١٨. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٤٩، ح ١٦٥٧١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ٩٥، ص ٤٨. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٤٩، ح ١٦٥٧٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ١٠٧، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٤٩، ح ١٦٥٧٥.

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

«مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

٣- عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

«مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»<sup>(٢)</sup>.

٤- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«أَكْثَرُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي رَجُلٌ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ يَضَعُهُ عَلَى غَيْرِ

مَوَاضِعِهِ»<sup>(٣)</sup>.

٥- عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

«مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ لَمْ يُؤْجَرْ، وَإِنْ أَخْطَأَ كَانَ إِنْثُهُ عَلَيْهِ»<sup>(٤)</sup>.

٦- قال الإمام الباقر عليه السلام لِقَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ :

«يَا قَتَادَةُ، أَنْتَ فَقِيهُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ؟».

فَقَالَ : هَكَذَا يَزْعُمُونَ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«بَلْغَنِي أَنْتَ تَفْسِّرُ الْقُرْآنَ».

قَالَ لَهُ قَتَادَةُ : نَعَمْ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

بِعِلْمٍ تَفْسِّرُهُ أَمْ بِجَهْلٍ؟».

قَالَ : لَا، يَعْلَمُ - إِلَى أَنْ قَالَ - :

«يَا قَتَادَةُ إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) كز العمال : ٢٩٥٨ . ميزان الحكمة : ج ٨، ص ٣٣٤٩، ح ١٦٥٧٧.

(٢) بحار الأنوار : ج ٩٢، ص ١١١، ح ٢٠. ميزان الحكمة : ج ٨، ص ٣٣٥٠، ح ١٦٥٧٨.

(٣) منية المرید : ص ٣٦٩. ميزان الحكمة : ج ٨، ص ٣٣٥٠، ح ١٦٥٨٠.

(٤) بحار الأنوار : ج ٩٢، ص ١١٠، ح ١١. ميزان الحكمة : ج ٨، ص ٣٣٤٩، ح ١٦٥٧٦.

(٥) الكافي : ج ٨، ص ٣١١، ح ٤٨٥. ميزان الحكمة : ج ٨، ص ٣٣٥٠، ح ١٦٥٨٢.

وبما تقدم من هذه الروايات الشريفة نصل إلى أن القرآن الكريم أهلاً يبينونه كما أمرهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس أولئك إلا عترة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يتقدمهم أبوهم أمير المؤمنين عليه السلام، وبمجرد الوقوف على قول أمير المؤمنين عليه السلام في حق القرآن الكريم يتضح صدق دعوانا أن علياً وأولاده هم القادرون على حمل القرآن الكريم وفهمه ومعرفته – فيقول أمير المؤمنين :

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَقْسَامٍ، كُلُّ مِنْهَا شَافٍ كَافٍ، وَهِيَ: أَمْرٌ وَرَجْرُ، وَتَرْغِيبٌ، وَتَرْهِيْبٌ، وَجَدَلٌ، وَمَثَلٌ، وَقُصَصٌ، وَفِي الْقُرْآنِ نَاسِخٌ وَمُنْسُوخٌ وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَمُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ، وَعَزَائِمٌ وَرُخَصٌ، وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَفَرَائِضٌ وَأَحْكَامٌ، وَمُنْقَطِعٌ وَمُعْطُوفٌ، وَمُنْقَطِعٌ غَيْرُ مُعْطُوفٍ، وَحَرْفٌ مَكَانَ حَرْفٍ.

وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ خَاصٌّ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ عَامٌّ مُحْتَمِلُ الْعُمُومِ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ وَاحِدٌ وَمَعْنَاهُ جَمْعٌ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ جَمْعٌ وَمَعْنَاهُ وَاحِدٌ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ مَاضٍ وَمَعْنَاهُ مُسْتَقْبَلٌ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ عَلَى الْخَبَرِ وَمَعْنَاهُ حِكَايَةُ عَنْ قَوْمٍ آخَرٍ، وَمِنْهُ مَا هُوَ بَاقٍ مُحَرَّفٌ عَنْ جِهَتِهِ، وَمِنْهُ مَا هُوَ عَلَى خِلَافٍ تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ فِي تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ قَبْلَ تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ بَعْدَ تَنْزِيلِهِ.

وَمِنْهُ آيَاتُ بَعْضِهَا فِي سُورَةٍ وَتَمَامُهَا فِي سُورَةٍ أُخْرَى، وَمِنْهُ آيَاتُ يَصِفُهَا مُنْسُوخٌ وَيَنْصِفُهَا مَتْرُوكٌ عَلَى حَالِهِ، وَمِنْهُ آيَاتٌ مُخْتَلِفَةُ اللَّفْظِ مُتَّفِقَةُ الْمَعْنَى، وَمِنْهُ آيَاتٌ مُتَّفِقَةُ اللَّفْظِ مُخْتَلِفَةُ الْمَعْنَى، وَمِنْهُ آيَاتٌ فِيهَا رُحُصَةٌ وَاطْلَاقٌ بَعْدَ الْعَزِيمَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُجِيبُ أَنْ يُؤْخَذَ بِرُحْصِهِ كَمَا يُؤْخَذُ بِعَزَائِمِهِ،

وَمِنْهُ رُحُصَةٌ صَاحِبُهَا فِيهَا بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ أَخَذَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهَا، وَمِنْهُ رُحُصَةٌ

الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بفضائل أهل البيت عليهم البيت عليهم السلام ويأمر باتباعهم ..... ٢١١

ظَاهِرُهَا خِلَافُ بَاطِنِهَا يُعْمَلُ بِظَاهِرِهَا عِنْدَ التَّقِيَّةِ وَلَا يُعْمَلُ بِبَاطِنِهَا مَعَ التَّقِيَّةِ. وَمِنْهُ مُخَاطَبَةُ لِقَوْمٍ وَالْعَنَى لِآخَرِينَ، وَمِنْهُ مُخَاطَبَةُ لِلنَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) وَمَعْنَاهُ وَقَعَ عَلَى أُمَّتِهِ. وَمِنْهُ لَا يَعْرِفُ تَحَرُّمَهُ إِلَّا بِتَحْلِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْلِيْفُهُ وَتَنْزِيلُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْنَى مَا أُنْزِلَ فِيهِ.

وَمِنْهُ رَدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَاجْتِجَاعُ عَلَى جَمِيعِ الْمُحْسِنِينَ وَالزَّانِدِينَ وَالْدَّهْرِيَّةِ وَالشُّنَوِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُجْبَرَةِ وَعَبْدَةِ الْأَوْثَانِ وَعَبْدَةِ النَّيْلَانِ. وَمِنْهُ اجْتِجَاعُ عَلَى النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ (عليه السلام)، وَمِنْهُ الرَّدُّ عَلَى الْيَهُودِ، وَمِنْهُ الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ وَأَنَّ الْكُفْرَ كَذَلِكَ، وَمِنْهُ رَدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَقَبْلَ الْقِيَامَةِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ<sup>(١)</sup>.

فالابتعاد عن أمير المؤمنين عليه السلام وعترته النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في فهم القرآن الكريم يقود إلى الهلاك وهذا ما صرح به الإمام علي عليه السلام لما سئل عن تفسير المحكم والمتشابه من كتاب الله عز وجل:

«أَمَّا الْمُحْكَمُ الَّذِي لَمْ يَنْسَخْهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا هَلَكَ النَّاسُ فِي الْمُتَشَابِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقِفُوا عَلَى مَعْنَاهُ وَلَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَتَهُ، فَوَضَعُوا لَهُ تَأْوِيلَاتٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ يَرَاهُمْ وَاسْتَعْنَوْا بِذَلِكَ عَنْ مَسْأَلَةِ الْأَوْصِيَاءِ....  
وَأَمَّا الْمُتَشَابِهُ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ الَّذِي انْحَرَفَ مِنْهُ، مُتَّفِقُ اللَّفْظِ مُخْتَلِفُ الْمَعْنَى، مِثْلُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

(١) بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ٤. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٢٣٥١ - ٢٣٥٢، ح ١٦٥٨٨

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

فَنَسَبَ الضَّلَالَةَ إِلَى تَفْسِيهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَهَذَا ضَلَالُهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ بِفِعْلِهِمْ، وَنَسَبَهُ إِلَى الْكُفَّارِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَنَسَبَهُ إِلَى الْأَصْنَامِ فِي آيَةٍ أُخْرَى<sup>(٢)</sup>.

ولكي نخلص إلى وجوب الابتعاد عن الضلال والهلاك علينا التمسك بعترية النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم العدل الثاني للقرآن الكريم كما جاء ذلك في حديث الثقلين الذي رواه جمع كبير من الصحابة.

وتأكيدا لصحة الحديث عند شيعة أهل البيت عليهم السلام نذكر الحديث من مصادر أهل السنة وهي كما يلي:

#### ١. صحيح الترمذي

٢٩٨٠- عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدها أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»<sup>(٣)</sup>.

#### ٢. القاموس المحيط

ومنه الحديث:

«إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١١، أنظر تمام الكلام. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٣٥٢ - ٣٣٥٣، ح ١٦٥٨٩.

(٣) صحيح الترمذي: ج ٣، ص ٢٢٧، ح ٢٩٨٠.

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي: ج ٣، ص ٦٣.

### ٣. مسند أحمد

١٠٧٠٧- حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ طَلْحَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - وَآلِهِ - وَسَلَّمَ قَالَ :  
إِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أَدْعَى فَأَجِيبَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
وَعَتْرَتِي كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّ  
الْطَّيْفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَاَنْظُرُونِي بِمِ  
تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»<sup>(١)</sup>.

### ٤. الطبقات الكبرى لابن سعد

أخبرنا هاشم بن القاسم الكناني، أخبرنا محمد بن طلحة عن الأعمش عن عطية  
عن أبي سعيد الخدري عن النبي، صلى الله عليه - وآله - وسلم، قال :  
«إني أوشك أن أدعى فأجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي،  
كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف  
الخبير أخبرني أنهما لن يفتقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني  
فيهما»<sup>(٢)</sup>.

### ٥. المعجم الكبير للطبراني

٤٩٦٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَيَّانَ الْمَازِنِيُّ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ يَحْيَى ثَنَا أَبُو كَثِيرٍ بْنُ يَحْيَى ثَنَا  
أَبُو عَوَانَةَ وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ سَلِيطِ الْحَنْفِيِّ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ  
عَنْ عَمْرِو بْنِ وَاثِلَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ : لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - وَآلِهِ -  
وَسَلَّمَ مِنْ حُجَّةِ الْوُدَاعِ وَنَزَلَ غَدِيرِ خُمٍ أَمَرَ بِدَوْحَاتٍ فَقُمْتُ ثُمَّ قَالَ فَقَالَ :

(١) مسند أحمد بن حنبل : ج ٢٢ ، ص ٢٥٢ ، ح ١٠٧٠٧ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد : ج ٢ ، ص ١٩٤ .

«كأنني قد دعيت فأجبت إنني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر  
كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تحلفوني فيهما؟ فانهما لن يتفرعا  
حتى يردا علي الحوض».

ثم قال :

«إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن».

ثم أخذ بيد علي فقال :

«من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فقلت لزید: أنت سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا قد  
راه بعينه وسمعه بأذنيه<sup>(١)</sup>.

#### ٦- جامع الأصول

٦٧٠٨- يزيد بن حيان، قال: انطلقت أنا وحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وعمرُ بْنُ مُسْلِمٍ إلى  
زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حُصَيْنُ: لقد لقيتَ يا زیدُ خيراً كثيراً رأيتَ رسولَ  
الله - صلى الله عليه ( وآله ) وسلم -، وسمعتَ حديثه، حدثنا يا زیدُ ما سمعتَ من رسولِ  
الله - صلى الله عليه ( وآله ) وسلم -، قال: يا ابنَ أخي، فما حدثتُكم فأقبلوا، وما لا فلا  
تُكلفونيهِ، ثم قال:

قام رسولُ الله - صلى الله عليه ( وآله ) وسلم - يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى: حُمَا،  
بين مكةَ والمدينةَ، فحمدَ الله وأثنى عليه، ووعظَ وذكرَ، ثم قال:

«أما بعدُ، ألا أيُّها الناس، إنما أنا بشرٌ يُوشِكُ أن يأتيَ رسولُ ربِّي فأجيب، وإنني  
تاركٌ فيكم ثَقَلَيْنِ، أولُهما: كتابُ الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتابِ  
الله، واستمسكوا به».

(١) المعجم الكبير للطبراني: ج ٥، ص ١٦٦، ح ٤٩٦٩.

فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال:

«وأهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي،

(اذكركم الله في أهل بيتي)».

فقال له حصين: ومن أهل بيتي يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيتي؟ قال: نساؤه من أهل بيتي، ولكن أهل بيتي من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم).

زاد في رواية «كتاب الله، فيه الهدى والنور، من استمسك به - وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضلّ»<sup>(١)</sup>.

#### ٧- مسند عبد بن حميد

٢٦٧- عن يزيد بن حيان، قال: سمعت زيد بن أرقم، يقول: قام فينا رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد أيها الناس فإنما أنا بشريوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه، واني تارك

فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به».

فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال:

«وأهل بيتي؛ اذكركم الله في أهل بيتي ثلاث مرات».

فقال حصين: يا زيد، ومن أهل بيتي؟ أليست نساؤه من أهل بيتي؟

قال: بلى، إن نساءه من أهل بيتي، ولكن أهل بيتي من حرم الصدقة بعده.

قال: ومن هم؟ قال: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس.

(١) جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير: ج ٩، ص ٦٧٠٨، ح ٦٧٠٨.



قال : كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال : نعم<sup>(١)</sup>.

#### ٨. الدر المنثور

وأخرج أحمد عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم :

«إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله عز وجل حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي وأهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(٢)</sup>.

#### ٩. الجامع الصغير

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

«أما بعد ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي».

#### ١٠. مصنف ابن أبي شيبة

٣٠٠٨١- حدثنا زكريا قال حدثنا عطية عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله

عليه - وآله - وسلم قال :

«إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود

من السماء إلى الأرض»<sup>(٣)</sup>.

(١) مسند عبد بن حميد: ج ١، ص ٢٨٦، ح ٢٦٧.

(٢) الدر المنثور للسيوطي: ج ٢، ص ٤٠١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ج ٦، ص ١٣٣، ح ٣٠٠٨١.

#### ١١. المستدرك على الصحيحين

٤٥٥٣- حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم الحنظلي، ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، ثنا يحيى بن حماد، وحدثني أبو بكر محمد بن بالويه، وأبو بكر أحمد بن جعفر البزار قالا: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا يحيى بن حماد، ثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادي، ثنا خلف بن سالم المخرمي، ثنا يحيى بن حماد، ثنا أبو عوانة، عن سليمان الأعمش قال: ثنا حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقم، فقال:

«كأنني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى، وعترتي، فانظروا كيف تحلفوني فيهما، فإنهما لن ينفرقا حتى يردا علي الحوض<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

#### ١٢. كتاب السنة

١٣٣٥- (حدثنا أبو مسعود الرازي، حدثنا زيد بن عوف، حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع كان بغدير خم، قال:

«كأنني قد دعيت فأجبت، وإني نارك فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي، فانظروا كيف تحلفوني فيهما، ولن ينفرقا حتى يردا علي الحوض، وإن الله مولاي، وأنا ولي المؤمنين».

(١) الحوض: نهر الكوثر.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج ١٠، ص ٣٧٧، ح ٤٥٥٣.

ثم أخذ بيد علي رضي الله عنهما، فقال :

«من كنت وليه فعلي وليه»<sup>(١)</sup>.

فقال : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم؟ فقال : ما كان في الركاب إلا قد سمعه بأذنيه ورآه بعينه.

قال الأعمش : فحدثنا عطية، عن أبي سعيد، بمثل ذلك<sup>(٢)</sup>.

### ١٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

١٤٩٦٢- (عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه - وآله -

وسلم :

«إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود

من السماء إلى الأرض وعتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض».

رواه الطبراني في الأوسط وفي إسناده رجال مختلف فيهم<sup>(٣)</sup>.

### الجامع الصغير بشرح المناوي

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

«إني تارك فيكم».

بعد موتي.

«خليفتي».

(١) النولي والمولى : من المشترك اللفظي الذي يطلق على عدة معان منها الرب، والسيد والمنعم، والمعتق، والناصر. والمحب، والتابع، والجار، وابن العم، والخليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمعتق. والمنعم عليه وكل من وُي أمر أو قام به فهو وليه ومولاه.

(٢) السنة لابن أبي عاصم : ج ٤، ص ٧٢، ح ١٣٣٥.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي : ج ٩، ص ٢٥٧، ح ١٤٩٦٢.

زاد في رواية، أحدهما أكبر من الآخر.

«كتاب الله».

القرآن.

«حبل».

أي هو حبل.

«مدود ما».

زائدة.

«بين السماء والأرض».

قليل أراد به عهده وقيل أراد به السبب الموصل لرضاه.

«وعتقي».

بمثناة فوقية.

«أهل بيتي».

تفصيل بعد إجمال بدلاً أو بياناً وهم أصحاب الكساء يعني أن علمتم بالقرآن

واهتديتم بهدى عترتي العلماء لم تضلوا.

«وانهما لن يفتقا».

أي الكتاب والعتره.

«حتى يردا عليّ الحوض».

الكوثر يوم القيامة وقيل أراد به بعترته العلماء العاملين لأنهم الذين لا يفارقون

القرآن أما نحو جاهل وعالم مخلط فلا وإنما ينظر للأصل والعنصر عند التحلي بالفضائل

والتخلي عن الرذائل فكما أن كتاب الله فيه الناسخ والمنسوخ المرتفع الحكم فكذا ترتفع

القدوة بالمخذولين منهم.

### فيض القدير

٢٦٣١- قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم».

بعد وفاتي.

«خليفتي».

زاد في رواية أحدهما أكبر من الآخر وفي رواية بدل خليفتي ثقلين سماهما به لعظم

شأنهما.

«كتاب الله».

القرآن.

«حبل».

أي هو حبل.

«مدود ما بين السما والأرض».

قليل أراد به عهده وقيل السبب الموصل إلى رضاه.

«وعتي».

بمئنة فوقية.

«أهل بيتي».

تفصيل بعد إجمال بدلا أو بيانا وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم

الرجس وطهرهم تطهيرا.

وقيل من حرمت عليه الزكاة ورجحه القرطبي يعني إن ائتمرت بأوامر كتابه

وانتهيت بنواحيه واهتديتم بهدي عترتي واقتديتم بسيركم اهتديتم فلم تضلوا.

قال القرطبي: وهذه الوصية وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله

وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف

الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بغضائهم أهل البيت عليهم السلام ويأمر باتباعهم ..... ٢٢١

عنها هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبأنهم جزء منه فإنهم أصوله التي نشأ عنها وفروعه التي نشأوا عنه كما قال: «فاطمة بضعة مني».

ومع ذلك فقابل بنو أمية عظيم هذه الحقوق بالمخالفة والعقوق فسفكوا من أهل البيت دماءهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم وخربوا ديارهم وجحدوا شرفهم وفضلهم واستباحوا سبهم ولعنهم فخالفوا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته فوا خجلهم إذا وقفوا بين يديه ويا فضيحتهم يوم يعرضون عليه: «وانهما».

أي والحال أنهما وفي رواية أن اللطيف أخبرني أنهما.  
«لن يفتقا».

أي الكتاب والعترة أي يستمرا متلازمين.  
«حتى يردا عليّ الحوض».

أي الكوثر يوم القيامة.

زاد في رواية كهاتين وأشار بأصبعيه وفي هذا مع قوله أولا إني تارك فيكم تلويح بل تصريح بأنهما كتوأمين خلفهما ووصى أمته بحسن معاملتهما وإشار حقهما على أنفسهما واستمسك بكما في الدين أما الكتاب فلأنه معدن العلوم الدينية والأسرار والحكم الشرعية وكنوز الحقائق وخفايا الدقائق وأما العترة فلأن العنصر إذا طاب أعان على فهم الدين فطيب العنصر يؤدي إلى حسن الأخلاق ومحاسنها تؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته<sup>(١)</sup>.

(١) فيض القدير للمناوي: ج ٣، ص ١٤، ح ٢٦٣١.

## رواة حديث الثقلين (الصحابة)

- ١- أمير المؤمنين عليه السلام.
- ٢- الحسن السبط عليه السلام.
- ٣- أبو ذر الغفاري.
- ٤- سلمان الفارسي.
- ٥- جابر بن عبد الله الأنصاري.
- ٦- أبو الهيثم بن التيهان.
- ٧- حذيفة بن اليمان.
- ٨- حذيفة بن أسيد.
- ٩- أبو سعيد الخدري.
- ١٠- خزيمة بن ثابت.
- ١١- عبد الرحمن بن عون.
- ١٢- طلحة.
- ١٣- أبو هريرة.
- ١٤- سعد بن أبي وقاص.
- ١٥- أبو أيوب الأنصاري.
- ١٦- عمرو بن العاص.
- ١٧- فاطمة الزهراء عليها السلام.
- ١٨- أم سلمة أم المؤمنين.
- ١٩- زيد بن ثابت.
- ٢٠- أم هانئ بنت أبي طالب.

### رواة حديث الثقلين (التابعين)

- ١- سعيد بن مسروق الثوري.
- ٢- سليمان بن مهران الأعمش.
- ٣- محمد بن إسحاق، صاحب السيرة.
- ٤- محمد بن سعد، صاحب الطبقات.
- ٥- أبو بكر بن أبي شيبة، صاحب المصنف.
- ٦- ابن راهويه، صاحب المسند.
- ٧- أحمد بن حنبل، صاحب المسند.
- ٨- عبد بن حميد، صاحب المسند.
- ٩- مسلم بن الحجاج، صاحب الصحيح.
- ١٠- ابن ماجة القزويني، صاحب السنن.
- ١١- أبو داود السجستاني، صاحب السنن.
- ١٢- الترمذي، صاحب السنن.
- ١٣- ابن أبي عاصم، صاحب كتاب السنة.
- ١٤- أبو بكر البزاز، صاحب المسند.
- ١٥- النسائي، صاحب السنن.
- ١٦- أبو يعلى الموصلي، صاحب المسند.
- ١٧- محمد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ والتفسير.
- ١٨- أبو القاسم الطبراني، صاحب المعاجم.



- ١٩- أبو الحسن الدارقطني البغدادي.
- ٢٠- الحاكم النيسابوري، صاحب المستدرک.
- ٢١- أبو نعيم الإصفهاني.
- ٢٢- أبو بكر البيهقي، صاحب السنن.
- ٢٣- ابن عبد البر، صاحب الاستيعاب.
- ٢٤- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.
- ٢٥- محيي السنة البغوي، مصابيح السنة.
- ٢٦- رزين العبدري، الجمع بين الصحاح الستة.
- ٢٧- القاضي عياض، كتاب الشفاء.
- ٢٨- ابن عساكر الدمشقي، تاريخ دمشق.
- ٢٩- ابن الأثير الجزري، أسد الغابة.
- ٣٠- الفخر الرازي، التفسير الكبير.
- ٣١- الضياء المقدسي، كتاب المختارة.
- ٣٢- أبو بكر زكريا النووي، صاحب شرح صحيح مسلم.
- ٣٣- أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال.
- ٣٤- شمس الدين الذهبي، صاحب تاريخ الإسلام - ميزان الاعتدال.
- ٣٥- ابن كثير الدمشقي، التاريخ والتفسير.
- ٣٦- نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد.
- ٣٧- جلال الدين السيوطي، صاحب الدر المنثور.

- ٣٨- شهاب الدين القسطلاني، رثا البخاري.
- ٣٩- شمس الدين الصالحي الدمشقي.
- ٤٠- ابن حجر العسقلاني.
- ٤١- ابن طولوان الدمشقي.
- ٤٢- ابن حجر المكي، صاحب الصواعق.
- ٤٣- صاحب كنز العمال.
- ٤٤- على القاري المروي، الأوقات في شرح المكان.
- ٤٥- المناوي، الجامع.
- ٤٦- الحلبي، السيرة.
- ٤٧- دحلان، صاحب السيرة.
- ٤٨- منصور علي ناصف، صاحب التاج.
- ٤٩- النبهاني.
- ٥٠- المبارك، شارح صحيح الترمذي.

### طاعة الشيطان

قوله عليه السلام:

وَأَحْذَرُكُمْ الْإِصْغَاءَ إِلَى هَتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ،  
فَتَكُونُوا كَأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ،  
﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِتَانُ  
نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

فَتَقْلُقُونَ لِلْشَّيْطَانِ ضَرِيًّا، وَلِلرَّمَاكِ وَرَدًّا، وَلِلْعُمْدِ حَطْمًا، وَلِلسَّهَامِ غَرَضًا، ثُمَّ لَا يَقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا.

لا يحتاج المؤمن إلى بيان عداوة الشيطان ولا يحتاج إلى معرفة طرق النجاة منه بعد أن صرح القرآن الكريم بذلك ما في قوله تعالى :

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿وَقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾<sup>(٣)</sup>.

ولكن لا بأس في التذكير بـعداوة الشيطان والتحذير من حبائله لاسيما إذا عرفنا أن إبليس طرقا خفية ومكاندا كثيرة وأفخاها متعددة يصطاد بها من يغفل عنه، ولكي نفق على تحذيرات أهل البيت عليهم السلام ونواهيهم عن اتباع الشيطان لابد من ذكر ما ورد عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين) :

١- ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يبين أن الشيطان عدو لا صلح معه ولا هدنة حينما يطمئنه فيقول :

(١) سورة فاطر، الآية : ٦.

(٢) سورة يوسف، الآية : ٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية : ٥٣.

الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بفضائل أهل البيت عليهم السلام ويأمر باتباعهم ..... ٢٢٧

«يَا بَنَ مَسْعُودٍ، اتَّخِذِ الشَّيْطَانَ عَدُوًّا؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾»<sup>(١)</sup>.

٢- وحذر أمير المؤمنين عليه السلام من الشيطان لما له من قدرة على اقتحام

قلوب المؤمنين:

«لَحْذَرُوا عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا»<sup>(٢)</sup>.

٣- جاء عن الإمام الصادق عليه السلام ما يؤكد أن للشيطان أفخاخاً ومكائداً

كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَقَدْ نَصَبَ إِبْلِيسُ حَبَائِلَهُ فِي دَارِ الْغُرُورِ، فَمَا يَقْصِدُ فِيهَا إِلَّا أَوْلِيَانَا»<sup>(٣)</sup>.

٤- حذر أمير المؤمنين عليه السلام من فتن الشيطان دونك من خلال بيان هذه الفتن:

«الْفِتْنُ ثَلَاثٌ: حُبُّ النِّسَاءِ وَهُوَ سَيْفُ الشَّيْطَانِ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ وَهُوَ فَحُّ الشَّيْطَانِ،

وَحُبُّ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَهُوَ سَهْمُ الشَّيْطَانِ»<sup>(٤)</sup>.

٥- ولشدة تأثير الشيطان على الإنسان يعلمنا الإمام السجاد عليه السلام في

مناجاته كيف ندعو الله تعالى لينجيننا منه كما في قوله عليه السلام:

«إِلَهِي أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوًّا يُضِلُّنِي، وَشَيْطَانًا يُغْوِينِي، قَدْ مَلَأَ بِالْوَسْوَاسِ صَدْرِي،

وَأَحَاطَتْ هَوَاجِسُهُ بِقَلْبِي، يُعَاضِدُ لِي الْهَوَى، وَيُرِثُنِي لِي حُبُّ الدُّنْيَا، وَيَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ

الطَّاعَةِ وَالرِّزْقِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٢) مكارم الأخلاق: ج ٢، ٢٣٥٤، ح ٢٦٦٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩١٩ - ١٩٢٠، ح ٩٣٦٩.

(٣) غرر الحكم: ٢٦٢٣. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٠، ح ٩٣٧١.

(٤) تحف العقول: ص ٣٠١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٠، ح ٩٣٧٥.

(٥) كنز العمال: ٣٠٨٨٣. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢١، ح ٩٣٧٦.

(٦) بحار الأنوار: ج ٩٤، ص ١٤٣، ح ٢١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٠، ح ٩٣٧٢.

بعد أن عرفنا مكائد الشيطان وحبائله وفتنه صار لزاما علينا مجاهدة هذا المخلوق الذي لا هم له إلا إيقاعنا في معصية الله تعالى، وهذا ما أكدته الإمام الكاظم عليه السلام بقوله لما سُئِلَ عن أوجب الأعداء مجاهدة:

«أَقْرَبُهُم إِلَيْكَ وَأَعْدَاؤُكَ... وَمَنْ يُخْرِضْ أَعْدَاكَ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِبْلِيسُ»<sup>(١)</sup>.

فعدم الابتعاد عن الشيطان يوجب الوقوع في معصية الله تعالى بل يوجب الوقوع في شرك الطاعة وهذا الشرك هو أحد أنواع الشرك الذي قالت عنه الآية الكريمة:

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولنوضح الأمر نقول: إن الأوامر تصدر من الله تعالى أو من قبل أنبيائه ورسله وأوليائه فلذلك قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذه الأوامر لا شك أنها تصب في مصلحة الإنسان في الدنيا وتكسبه الجنان في الآخرة، إلا أن هناك طرفاً آخر يصدر أوامراً مخالفة للأوامر الإلهية بل يزين ويسوّل لنا لنطيعه في هذه الأوامر ألا وهو إبليس، فإن أطعناه في أوامره هذه وأطعنا الله تعالى في أوامر أخرى تكون قد أشركنا في طاعة الله تعالى أمراً آخر وخرجنا عن عنوان التوحيد في الطاعة فلذا الحذر الحذر من الوقوع في الشرك، وهذا لا يتم إلا من خلال مخالفة الشيطان والابتعاد عن المقدمات التي تفضي إلى معصية الله تعالى فضلاً عن نفس المعصية والتمسك بأوامر الله تعالى ونواهيه.

(١) تحف العقول: ص ٣٩٩. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٠، ح ٩٣٧٠.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

### - آثار طاعة الشيطان

لكل عمل أثر وضعي أو غير وضعي، وهكذا طاعة الشيطان فإن لها آثاراً وخيمة وضعية أو غير وضعية كما في الزنا (على سبيل المثال) الذي يقع فيه الإنسان نتيجة وسوسة الشيطان وتزيينه للزاني والزانية، نلاحظ أن الأثر الوضعي هو فساد الحرث والنسل والسقوط عن أعين الناس وغيرها من الآثار الوخيمة وأما الأثر الشرعي فهو الجلد لغير المحصن والرجم للمحصن وغير ذلك من الأمثلة التي لها آثار وضعية أو شرعية أو غير ذلك.

ولكي يتضح الأمر جلياً لابد من التأمل فيما ورد عن أهل بيت الحكمة والعصمة عليهم السلام.

قبل أن أشير إلى آثار طاعة الشيطان التي وردت في الروايات أريد أن أُلخص ذلك في هذه العبارة المستقاة من الآيات والروايات ألا وهي (أن طاعة الشيطان توجب سحق الرحمن ودخول النيران في الآخرة، وضنك العيش وعدم راحة القلب والشقاء في الدنيا) وباختصار أكثر (طاعة الشيطان شقاء الدنيا والآخرة) ولكي نؤكد هذا المعنى لا بأس بالاطلاع على الآيات والروايات التي أشارت إليه وهي كما يلي:

١- قوله تعالى:

﴿يَبْنِيْ اٰدَمَ لَا يَفْنٰىنَكَمُ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اٰبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا ۚ اِنَّهٗ يَرٰنَكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطٰنَ اَوْلِيَآءَ لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۗ﴾<sup>(١)</sup>.

يبين لنا ما حصل لأبونا رغم أنهما لم يطيعوه في معصية، إذ إنهما خالفا الأمر الإرشادي الذي أمرهما الله تعالى به إلا أن طاعة الشيطان أخرجتهما عن الجنة وما فيها

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

من روح وريحان إلى دنيا الألم والعذاب والكد والتعب.

٢- قوله تعالى :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَتَاهُ بِضُلُومٍ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾<sup>(١)</sup>.

يوضح أن اتباع الشيطان يوصل إلى الضلال بل الهلاك في عذاب جهنم في الدنيا والآخرة.

٣- قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِن أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾<sup>(٢)</sup>.

يؤكد على أن الشيطان لا يريد للإنسان إلا أن يعيش قبيحا نجسا بعيداً عن كل ألوان الطهارة والحسن والجمال.

٤- قوله تعالى :

﴿كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝﴾<sup>(٣)</sup>.

تشير هذه الآية الكريمة إلى خذلان الشيطان للإنسان الذي وقع في إغرائه، وتصرح بأن طاعته قد تؤدي إلى الخروج عن الدين في بعض الأحيان.

(١) سورة الحج، الآيتان: ٣ و ٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٢١

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٦.

الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بفضائل أهل البيت عليهم السلام ويأمر بتابعهم ..... ٢٢١

٥- طاعة الشيطان توجب الوقوع في الزلل والخوض في الباطل، بل تلغي شخصية المؤمن ويحل إبليس بدلا عنها في أفعالها وأقوالها وهذا ما أكدته أمير المؤمنين عليه السلام في ذم أتباع الشيطان:

«اتَّخِذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً، وَاتَّخِذْهُمْ لَهُ أَشْرَكَاً، فَبَاضَ وَفَرَخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَذَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَتَنَطَّرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِالسِّتِيهِمْ، فَكَسِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فَعَلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ!»<sup>(١)</sup>

٦- طاعة إبليس توجب الوقوع في الجرائم والكبائر حتى تصل إلى درجة الكفر كما في قول الإمام علي عليه السلام:

«إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمِعَةٍ، وَإِنَّ امْرَأَةً كَانَ لَهَا إِخْوَةٌ فَعَرَضَ لَهَا شَيْءٌ فَأَتَوْهُ بِهَا، فَزَيَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: أَقْتُلْهَا فَإِنَّهُمْ إِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكَ افْتَضَحْتَ، فَقَتَلَهَا وَدَفَنَهَا، فَجَاوَوْهُ فَأَخَذُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: إِنِّي أَنَا الَّذِي زَيَّنْتُ لَكَ فَاسْجُدْ لِي سَجْدَةً أُتْجِيكَ، فَسَجَدَ لَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:

﴿كَتَلِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>

٧- طاعة إبليس توجب الاتصاف بكل رذيلة كالتكبر والحسد والبغي كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٢، ح ٩٣٨١.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٦.

(٣) الدر المنثور: ج ٨، ص ١١٦. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٢ - ١٩٢٣، ح ٩٣٨٣.



«يَقُولُ إِبْلِيسُ لِحُجُودِهِ: الْقُوا بَيْنَهُمُ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ؛ فَإِنَّهُمَا يَعْدِلَانِ عِنْدَ اللَّهِ الشُّرُكَّ»<sup>(١)</sup>.

٨- أخطر ما يقع فيه الإنسان بعد طاعته للشيطان هو نسيان ربه ثم الوقوع في الخسران المبين كما في قوله تعالى:

﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٩- اتباع الشيطان يوجب ضرورة التابع من أوليائه وحزبه فينالهم الخوف كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

### - أسئلة مهمة

السؤال: ما مقدار حدود سلطة الشيطان على الإنسان؟

الجواب: ليس للشيطان سلطة أكثر من التزيين والتسويل والوسوسة والتزغ، أي لا يجبر الإنسان على ارتكاب المعاصي ولا يسلبه الاختيار في الأفعال وهذا ما جاء في لسان الآيات والأحاديث التالية:

١- آية تشير إلى التزغ أي الإغراء بين الناس وحمل بعضهم على بعض كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٧، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٧، ح ٩٣٩٣.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بفضائل أهل البيت عليهم البيت عليهم السلام ويأمر بتبائعهم ..... ٢٢٢

٢- آية تشير إلى إظهار القبيح حسنا فيتصوره الإنسان نفعا فيقع فيه كما في قوله

تعالى :

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾<sup>(١)</sup>.

٣- آية تشير إلى الوسوسة وأثرها القبيح كما في قوله تعالى :

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝﴾<sup>(٢)</sup>.

٤- آية تشير إلى التسويل كما في قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝﴾<sup>(٣)</sup>.

السؤال : ما هي الوسائل التي يتخذها الشيطان لإيقاع الإنسان في المعاصي أو

الكفر؟

الجواب : الوسائل كثيرة وقد ذكر منها أمير المؤمنين عليه السلام ثلاث فتن هي

بمثابة أصول الفتن ليفتن بها الإنسان فيقع في معصية الله تعالى :

«الْفِتْنُ ثَلَاثُ: حُبُّ النِّسَاءِ وَهُوَ سَيْفُ الشَّيْطَانِ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ وَهُوَ فَخُّ الشَّيْطَانِ، وَحُبُّ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَهُوَ سَهْمُ الشَّيْطَانِ»<sup>(٤)</sup>.

السؤال : ما هو ردنا على الذي يلقي باللوم على الشيطان عند وقوعه في المعصية؟

(١) سورة الأنفال، الآية : ٤٨.

(٢) سورة طه، الآية : ١٢.

(٣) سورة محمد، الآية : ٢٥.

(٤) كثر العمال : ٣٠٨٨٣. ميزان الحكمة : ج ٥، ص ١٩٢١، ح ٩٣٧٦.

الجواب: إن إلقاء اللوم على الشيطان هو هروب من المسؤولية وعدم الاعتراف بالتقصير، لما تقدم من أن إبليس ليس له إلا التزيين والوسوسة دون الإجبار على الفعل كما أن الشيطان يتبرأ من فعل الإنسان السيئ ويلقي باللائمة عليه كما في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتَ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وردّ أمير المؤمنين عليه السلام على من يلعن الشيطان الذي أوقعه في المعاصي بقوله:

«لَا تَسِبَنَّ إِبْلِيسَ (الشَّيْطَانَ) فِي الْعَلَنِ وَأَنْتَ صَدِيقُهُ فِي السِّرِّ»<sup>(٢)</sup>.

السؤال: ما هو ردنا على من يقول أن شيطانه تغلب عليه فأوقعه في المعصية؟

الجواب: هذا تبرير يدل على التنصل من المسؤولية ودفع التقصير عن النفس حيث إن الشيطان لا قدرة له على المؤمن القوي لسببين هما:  
ألف. ضعف كيد الشيطان كما في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠، ص ٣٢٩، ح ٧٦٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١.

الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بفضل أهل البيت عليهم السلام ويأمر باتباعهم ..... ٢٢٥

باء. إن المؤمن القوي هو الذي يجاهد الشيطان فينتصر عليه، وأمّا من يضعف أمام الشيطان ويستسلم له لا يعد من المؤمنين الأقوياء (والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف) ولذلك ينصحنا الإمام الكاظم عليه السلام في وصيته لهشام:

«قُلْهُ (أي لإبليس) فَلْتَشْتَدَّ عِدَاؤُكَ، وَلَا يَكُفَّ عَنْكَ أَصْبَرَ عَلَى مَجَاهِدَتِهِ لِهَلَكَبِكَ مِنْكَ عَلَى صَبْرِكَ لِمَجَاهِدَتِهِ؛ فَإِنَّهُ أَوْفَى مِنْكَ رُكْنًا فِي قُوَّتِهِ وَأَقْلُ مِنْكَ ضَرَرًا فِي كَثْرَةِ شَرِّهِ. إِذَا أَنْتَ اعْتَصَمْتَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدَيْتَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام لما سُئِلَ عن أوجب الأعداء مجاهدة قال:

«أَقْرَبُهُمُ الْيَأْسَ وَأَعْدَاهُمْ لَكَ... وَمَنْ يُحَرِّضُ أَعْدَاءَكَ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِبْلِيسُ»<sup>(٢)</sup>.

السؤال: لماذا ترك الله تعالى الشيطان يعبد بعباده؟

الجواب: نعلم أن هذه الدنيا هي دار امتحان واختبار ولكي يتحقق الثواب والعقاب فلا بد من فتنة يفتن بها المؤمن لكي يستحق أحد الأمرين من الثواب أو العقاب وهذا هو عين العدل الإلهي كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَزِيهُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

السؤال: ما هي الطريقة المثلى للتخلص من فتن الشيطان؟

(١) تحف العقول: ص ٤٠٠. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٥، ح ٩٣٨٧.

(٢) تحف العقول: ص ٣٩٩. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٠، ح ٩٣٧٠.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢١.

الجواب : الأمر واضح لكل ذي لب وهو أن الالتجاء إلى الله تعالى والتمسك بحبله والاستعاذة به خير الطرق المنجية من الشيطان الرجيم كما في قوله تعالى :

﴿وَقُلْ رَبِّ اعُوْذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٧٧﴾ وَأَعُوْذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُوْنِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ اِنِّیْ وَضَعْتُهَا اُنْثٰی وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَیْسَ الذَّكَرُ کَالْاُنْثٰی

وَ اِنِّیْ سَمَّيْتُهَا مَرْیَمَ وَ اِنِّیْ اَعِیْذُهَا بِكَ وَذَرِیَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى :

﴿وَ اِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اِنَّهُ سَمِیْعٌ عَلِیْمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهذا ما أكدّه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

« اَحْمَدُ اللّٰهُ وَاسْتَعِيْنُهُ عَلَى مَدْحِ الشَّيْطَانِ وَمَزْجِرِهِ (مَزْجِرِهِ)، وَالْاِغْتِصَامُ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ »<sup>(٥)</sup>.

السؤال : من هو الذي ينجو من إبليس ؟

الجواب : لا ينجو منه إلا العباد الذين يخشون الله تعالى ويعبدونه كأنما يروونه

وهذا ما أشار إليه قوله تعالى :

(١) سورة المؤمنون، الآيتان : ٩٧ و ٩٨.

(٢) سورة النحل، الآية : ٩٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية : ٣٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية : ٢٠٠.

(٥) فُحج البلاغة : الخطبة ١٥١.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذه العبادة التي يجب أن يتصف بها من يريد النجاة من إبليس بينها الإمام

الصادق عليه السلام بقوله:

«قال إبليس: خُمسةُ (أشياء) لَيْسَ لي فِيهِنَّ حِيلَةٌ وَسَائِرُ النَّاسِ فِي قَبْضَتِي: مَنْ اغْتَصَمَ بِاللَّهِ عَنْ نِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَاتَّكَلَّ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَمَنْ كَثُرَتْ سَيِّئَاتُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَمَنْ رَضِيَ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ بِمَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجْنَعْ عَلَى الْمُصِيبَةِ حِينَ تُصِيبُهُ، وَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ وَلَمْ يَهْتَمَّ لِزَوْجِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وكما أشار الإمام الباقر عليه السلام إلى ضرورة الخوف من الله تعالى خوفا

حقيقيا بقوله:

«تَحَرَّزْ مِنْ إِبْلِيسَ بِالْخَوْفِ الصَّادِقِ»<sup>(٤)</sup>.

وهناك طريقة سهلة يتبعها العبد ليسلم من براثن إبليس أشار إليها الإمام أمير

المؤمنين عليه السلام بقوله:

«أَكْثِرِ الدُّعَاءَ تَسْلَمُ مِنْ سُورَةِ الشَّيْطَانِ»<sup>(٥)</sup>.

السؤال: إذا لم يكن لإبليس سلطانٌ على الذين آمنوا كما تصرح به الآية

الكريمة:

(١) سورة النحل، الآية: ٩٩.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٣) الخصال: ص ٢٨٥، ح ٣٧. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٨، ح ٩٤٠١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٦٤، ح ١. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٨، ح ٩٤٠٢.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٩، ح ٦٤. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٨، ح ٩٤٠٣.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

كيف نفسر تعرض بعض المؤمنين لأضرار إبليس؟

الجواب:

إن سلطة إبليس محصورة بالجانب المادي أي لا يستطيع أن يلحق الضرر إلا بالجنية المادية من الإنسان دون الجنية المعنوية، أي أن دينه وعقائده مصونة من قبل الله سبحانه وتعالى وهذا ما يصرح به الإمام الصادق عليه السلام:

«يُسَلِّطُ وَاللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِ عَلَى بَدَنِهِ وَلَا يُسَلِّطُ عَلَى دِينِهِ، قَدْ سُلِّطَ عَلَى أَثُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَوَّهَ خُلُقَهُ وَلَمْ يُسَلِّطْ عَلَى دِينِهِ»<sup>(٢)</sup>.

#### - وقفة تأمل -

أمرنا الله سبحانه أن نتدبر القرآن الكريم لكي نقف على روائعه الأدبية وحقائقه العلمية وبواطنه وأسراره الغيبية، وبما أننا غير معصومين من الخطأ أو الاشتباه لا بد أن نستعين بمن هو معصوم من ذلك لكي يدلنا على ما هو صائب وصحيح، ولذا عند تأملنا وتدبرنا لقوله تعالى:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

لا بد أن نستعين بقول الإمام الصادق عليه السلام لنقف على حدود سلطان الشيطان على الإنسان فيقول الإمام عليه السلام:

«يُسَلِّطُ وَاللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِ عَلَى بَدَنِهِ وَلَا يُسَلِّطُ عَلَى دِينِهِ، قَدْ سُلِّطَ عَلَى أَثُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَوَّهَ خُلُقَهُ وَلَمْ يُسَلِّطْ عَلَى دِينِهِ».

(١) سورة النحل، الآية: ٩٩.

(٢) الكافي: ج ٨، ص ٢٨٨، ح ٤٣٣. ميزان الحكمة: ج ٥، ص ١٩٢٩، ح ٩٤٠٥.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

الخطبة السادسة: وفيما يُذكر بنضائل أهل البيت عليهم السلام ويأمر باتباعهم ..... ٢٣٩

وبعد معرفة حدود سلطة الشيطان يتضح لنا أن الشيطان لا يتسلط إلا على الجانب المادي للمؤمن بإذن الله تعالى لحكمة يريد بها سبحانه، وأمّا الجانب المعنوي لا يصل إليه إبليس.

فلذا أقول: ... الخ.

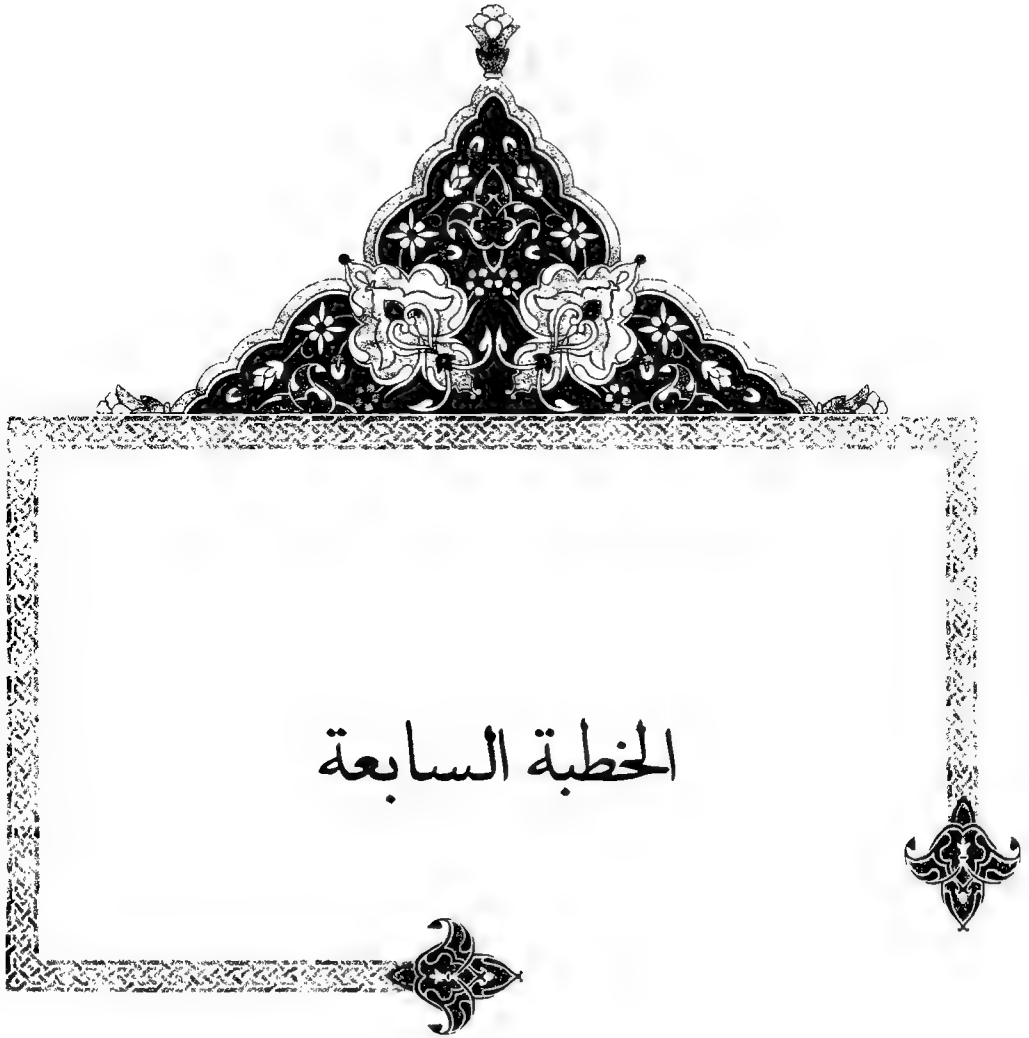
إن العباد على رتب متفاوتة في العبودية فمنهم من هو خطاء ومنهم من هو معصوم، والمعصومون فضل بعضهم على بعض كما في قوله تعالى:

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

فلا سلطة لإبليس على المعصومين مطلقاً، كما لا سلطة له إلا على بعض العباد الذين اتبعوه باختيارهم، فزاد في غوايتهم بتسلطه عليهم فصاروا أتباعاً له بل صار بعضهم من جنده الذين يستخدمهم لإغواء الناس، وهناك شرح مفصل موكول إلى كتب التفسير فراجع.







## الخطبة السابعة



وفيها يصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويوبّخ معاوية، ويستنكر عليه ظلمه، ويدحض أباطيله، ويحذّره سوء منقلبه.

### نص الخطبة

(أَمَّا بَعْدُ، يَا مُعَاوِيَةَ! فَلَنْ يُوَدِّيَ الْقَائِلُ وَإِنْ أَطُتْ فِي صِفَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَمِيعِ جُزْأٍ، وَقَدْ فَهَمْتُ مَا لَيْسَتْ بِهِ الْخَلْفَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ إِيجَازِ  
الصَّفَةِ وَالْتَّكُتُّبِ عَنْ اسْتِبْلَاحِ الْبَيْعَةِ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا مُعَاوِيَةَ! فَضَحَ الصَّبِيحُ فَحْمَةَ  
الدُّجَى وَبَهَرَتِ الشَّمْسُ أَنْوَارَ السُّرُجِ، وَلَقَدْ فَضَّلْتُ حَتَّى أَفْرَطْتُ، وَاسْتَأْثَرْتُ حَتَّى  
أَجْحَقْتُ، وَمَنْعْتُ حَتَّى بَخِلْتُ، وَجُرْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ، مَا بَذَلْتُ لِذِي حَقٍّ مِنْ أَمْرٍ حَقَّهُ  
بِنَصِيبٍ حَتَّى أَخَذَ الشَّيْطَانُ حَظَّهُ الْأَوْفَرَ، وَنَصِيبُهُ الْأَكْمَلَ، وَفَهَمْتُ مَا ذَكَرْتُهُ عَنْ  
يَزِيدٍ مِنْ اكْتِمَالِهِ وَسِيَاسَتِهِ لِأَمَّةٍ مُحَمَّدٍ، تُرِيدُ أَنْ تُؤْهِمَ النَّاسَ فِي يَزِيدٍ، كَأَنَّكَ تَصِفُ  
مَحْجُوبًا، أَوْ تَنْتَعْتَ غَائِبًا، أَوْ تُخْبِرُ عَمَّا كَانَ مِمَّا اخْتَوَيْتَهُ بِعِلْمٍ خَاصٍّ وَقَدْ دَلَّ يَزِيدٌ مِنْ  
نَفْسِهِ عَلَى مَوْقِعِ رَأْيِهِ، فَخَذْ لِيَزِيدَ فِيمَا أَخَذَ بِهِ مِنْ اسْتِغْرَائِهِ الْكِلَابَ الْمُهَارِشَةَ عِنْدَ

التحارش، والحمام السبق لأتربائهم، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول.

فَمَا اغْنَاكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ جَوْرَ هَذَا الْخَلْقِ بِأَكْثَرِ مِمَّا أَنْتَ لِأَقِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا بَرِحْتَ تُقَدِّرُ بَاطِلًا فِي جَوْرِ وَخَفَافٍ فِي ظُلْمٍ حَتَّى مَلَأْتَ الْأَسْقِيَةَ، وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا غَمَضَةٌ، فَتَقْدِمُ عَلَى عَمَلٍ مَحْفُوظٍ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ، وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ، وَرَأَيْتُكَ عَرَضْتَ بِنَا بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ، وَمَنْعَتْنَا عَنْ آبَائِنَا، وَلَقَدْ لَعَمْرُ اللَّهِ أَوْزَنَّا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَادَةً، وَجِئْتَ لَنَا بِمَا حَجَجْتُمْ بِهِ الْقَائِمَ عِنْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ، فَأَذَعَنْ لِلْحُجَّةِ بِذَلِكَ، وَرَدَّهُ الْإِيمَانُ إِلَى النُّصَبِ، فَرَكِبْتُمُ الْأَعَالِيلَ، وَفَعَلْتُمُ الْأَفَاعِيلَ، وَقُلْتُمْ: كَانَ وَيَكُونُ، حَتَّى أَتَاكَ الْأُمْرِيَا مُعَاوِيَةَ مِنْ طَرِيقٍ كَانَ قَصْدُهَا لِعَيْكَ، فَهَذَاكَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ، وَذَكَرْتَ قِيَادَةَ الرَّجُلِ الْقَوْمِ بِعَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَأْمِيَهُ لَهُ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلَعَمْرُؤُا بَنِ الْعَاصِرِ يَوْمَنْدٍ فَضِيلَةً بِصُحْبَةِ الرَّسُولِ وَيَبْعَثِهِ لَهُ، وَمَا صَارَ لِعَمْرُؤِ يَوْمَنْدٍ حَتَّى أَنْفَ الْقَوْمِ إِمْرَتَهُ، وَكَرَهُوا تَقْدِيمَهُ، وَعَدُّوا عَلَيْهِ أَفْعَالَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَا جَرَمَ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَا يَعْمَلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ غَيْرِي.

فَكَيْفَ تَحْتَاجُ بِالْمُنْسُوحِ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ فِي أَوْكَدِ الْأَحْوَالِ وَأَوْلَاهَا بِالْمُجْمَعِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّوَابِ؟ أَمْ كَيْفَ صَاحَبْتَ بِصَاحِبٍ تَابِعَ وَخَوَّلَكَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ فِي صُحْبَتِهِ، وَلَا يُعْتَمَدُ فِي دِينِهِ وَقَرَاتِهِ، وَتَتَخَطَّاهُمْ إِلَى مُسْرِفٍ مَفْتُونٍ، تُرِيدُ أَنْ تَلْمِزَ النَّاسَ شُبْهَةً يَسْعَدُ بِهَا الْبَاقِي فِي دُنْيَاهُ، وَتَشْقَى بِهَا فِي آخِرَتِكَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

## المعنى العام

(أما بعد، يا معاوية! فلن يؤدّي القابل وإن أطّيب في صفّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جميع جزأ، وقد فهنت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتكّيب عن استبلاغ البيعة، وهيّهات هيّهات يا معاوية! فضح الصبح فحة الدجى وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من أتمحقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهنت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لامة محمد، تريد أن توهّم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما اختوتته بعلم خاص وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرانه الكلاب المهارشة عند التحارّش، والحمام السئق لا تترابهن، والقينات ذوات المعارف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول).

أما بعد : أمر يقال في الخطبة.

يا معاوية : اسم لكلبة عوت، فلن يوصل الواصف وإن بالغ وأكثر في نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جزءاً من صفاته، وقد علمت وعرفت ما سترت به يزيد من اختصار النعت والتنحي عن إيصال البيعة، هيّهات هيّهات يا معاوية، كشف الصبح سواد الليل وظلمته، وأضاءت الشمس أنوار المصاييح، ولقد رجحت حتى جاوزت الحد، وخصصت نفسك دون غيرك حتى أوقعت الضرر الشديد بغيرك، وحرمت حتى حرصت أن لا تنفق، وظلمت حتى تعديت الحدود، وما أعطيت لصاحب حق حقه وحصته حتى أخذ الشيطان نصيبه الأكبر، وحصته الأكثر وعرفت ما ذكرته

عن يزيد من كماله وقابليته وإدارته وتدبيره لأمة محمد، تريد أن تشبه على الناس في يزيد، كأنك تنعت شخصا غير ظاهر، أو تصف غير حاضر، أو تخبر عن شخص أحطته بعلم خاص وقد أظهر يزيد من نفسه على مكانة عقله وقوة رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من تتبعه الكلاب المقاتلة عند التهيج، والحمام التي تسابق مثيلاقن، والجواري ذوات الدفوف والطبول وأنواع اللهو، تجده جديراً بذلك، واترك محاولة تجميله وإظهاره بالمظهر اللائق للخلافة.

﴿فَمَا اغْنَاكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ جَوْرَ هَذَا الْخَلْقِ بِأَكْثَرِ مِمَّا أَنْتَ لَاقِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا بَرِخْتَ تَقْدُرُ بِاطِلَالٍ فِي جُورٍ وَحَقَقًا فِي ظُلْمٍ حَتَّى مَلَأْتَ الْأَسْقِيَةَ، وَمَا يَبْنِيكَ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا غَمَضَةٌ، فَتَقْدِمُ عَلَى عَمَلٍ مَحْفُوظٍ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ. وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ، وَرَأَيْتُكَ عَرَضْتَ بِنَا بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ، وَمَنْعَتْنَا عَنْ آبَائِنَا، وَلَقَدْ لَعَنَ اللَّهُ أَوْرَثَنَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَادَهُ، وَجِئْتَ لَنَا بِهَا مَا حَجَجْتُمْ بِهِ الْقَائِمَ عِنْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ، فَأَذَعْنَا لِلْحُجَّةِ بِذَلِكَ، وَرَدَّ الْإِيمَانُ إِلَى النَّصْفِ، فَرَكِبْتُمُ الْأَعَالِيلَ، وَفَعَلْتُمُ الْأَفَاعِيلَ، وَقُلْتُمْ: كَانَ وَتَكُونُ، حَتَّى أَتَاكَ الْأَمْرُ بِمُعَاوِيَةَ مِنْ طَرِيقٍ كَانَ قَصْدُهَا لِبَعْدِكَ، فَهَنَّاكَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ، وَذَكَرْتَ قِيَادَةَ الرَّجُلِ الْقَوْمَ بِعَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَأْمِيؤُهُ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلَعَمْرُوبِ بْنِ الْعَاصِ يَوْمَئِذٍ فَضِيلَةٌ بِصُحْبَةِ الرَّسُولِ وَبَيْنَتِهِ لَهُ، وَمَا صَارَ لَعَمْرُوبِ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَنْفَقَ الْقَوْمُ أَمْرَتَهُ، وَكَرَهُوا تَقْدِيمَهُ، وَعَدُّوا عَلَيْهِ أَفْعَالَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَا جَرَمَ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَا يَفْعَلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ غَيْرِي).

وأنت غني عن أن تلقى الله تعالى بظلم هذه الأمة أكثر مما أنت فيه من الظلم، فيقسم الإمام عليه السلام بالله تعالى ويقول إنك ظللت تهيء ما هو غير صحيح أصلاً في ميل عن العدل، وغيطاً شديداً في ظلم، حتى ملأت آواني السقي كناية عن أكل

الحرام، وما يفصلك عن الموت إلا انطباق الجفن، فتأتي يوم القيامة مع عملك المحفوظ والموثق، ولا ملجأ ولا مفر حينئذ من قباحة الأعمال، ويخاطب الإمام عليه السلام معاوية قائلاً: إنك ظهرت بنا أي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماذا قال؟ ومع ذلك حجبنا عن وراثته أبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نسبنا إليه ولادة فسمانا أبنيه.

### - صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

لا يمكن للقلم أن يوصف كمال وجمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يمكن للعقل أن يدرك مقام ورتبة من كان قاب قوسين أو أدنى من ربه، لقد وصفه القرآن الكريم بصفة لا يحاط بها ولا يجدها أحد فقال عز من قائل:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

إلا أننا لا نستغني عن ذكر كمال وجمال وجلال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خلال ذكر ما ورد في حقه من الآيات الكريمة والروايات الشريفة وباختصار شديد لما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حضور وظهور ووضوح وبيان:

### الآيات الكريمة

١ - أية كريمة تؤكد أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو سفير الله تعالى وواسطة فيضه كما في قوله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ

(١) سورة القلم، الآية: ٤.



الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾.

٢- آية أخرى تبين صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم التي فضل بها على غيره من البشر كما في قوله تعالى :

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ﴾ (٢).

٣- آية ثالثة ترشد إلى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ليس إلهاً، بل هو بشر ركب فيه الغرائز والشهوات والعقل والروح إلا أنه رسمى وارتفع حتى صار حبيبا لربه وخليلا لخالقه عز وجل كما ورد ذلك في قوله تعالى :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٣).

٤- آية رابعة تشير إلى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم له من المؤهلات بما جعله شاهداً على الناس مطلقاً على أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، ثم مارس دوراً آخرأ ألا وهو دور من يدخل السرور على قلب البشر ودور من يزرع الخوف في ذلك القلب فقالت الآية :

﴿بَيِّنَاتٍ لِّتُنَبِّئَ النَّاسَ أَنْ أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤).

٥- آية خامسة دلت وأيدت على أن هذا الوجود المقدس الذي اسمه (محمد)

(١) سورة الفتح، الآية : ٢٩.

(٢) سورة التوبة، الآية : ١٢٨.

(٣) سورة الكهف، الآية : ١١٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية : ٤٥.

صلى الله عليه وآله وسلم هو الداعي بالحق إلى الله تعالى بدليل قوله (بإذنه) وهو النور الذي يستعان به في ظلمات الجهل والشرك والكفر فقالت :

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وهناك آيات كثيرة لا يسمح المقام بذكرها.

### رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصف نفسه

١- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

أَنَا أَشْبَهُ النَّاسَ بِأَدَمَ، وَإِبْرَاهِيمَ أَشْبَهُ النَّاسَ بِي خَلْقُهُ وَخُلُقُهُ، وَسَمَانِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ عَشْرَةَ أَسْمَاءٍ، وَبَيَّنَّ اللَّهُ وَصْفِي، وَبَشَّرَنِي عَلَى لِسَانِ كُلِّ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ، وَسَمَانِي وَبَشَّرَنِي فِي التَّوْرَةِ اسْمِي، وَبَشَّرَنِي فِي الْإِنْجِيلِ، وَعَلَّمَنِي كِتَابَهُ، وَرَفَعَنِي فِي سَمَانِهِ، وَشَقَّ لِي اسْمًا مِنْ أَسْمَانِهِ، فَسَمَانِي مُحَمَّدًا وَهُوَ مَحْمُودٌ، وَأَخْرَجَنِي فِي خَيْرِ قُرُونٍ مِنْ أُمَّتِي، وَجَعَلَ اسْمِي فِي التَّوْرَةِ أَحْيَدُ<sup>(٢)</sup>، فَبِالتَّوْحِيدِ حَرَّمَ لَجْسَادِ أُمَّتِي عَلَى النَّارِ.

وَسَمَانِي فِي الْإِنْجِيلِ أَحْمَدَ، فَأَنَا مَحْمُودٌ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَجَعَلَ أُمَّتِي الْحَامِدِينَ، وَجَعَلَ اسْمِي فِي الزُّبُورِ مَاحِي، مَحَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِي مِنَ الْأَرْضِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَجَعَلَ اسْمِي فِي الْقُرْآنِ مُحَمَّدًا، فَأَنَا مَحْمُودٌ فِي جَمِيعِ الْقِيَامَةِ<sup>(٣)</sup> فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ لَا يَشْتَعُ أَحَدٌ غَيْرِي.

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٤٦.

(٢) قال شارح الشفاء للقاضي عياض: أَحْيَدُ بضم الهززة، وفتح المهملة، وسكون التحتية، فдал مهملة، ونيل: بفتح الهززة، وسكون المهملة، وفتح التحتية، قال: سُمِّيَ أَحْيَدُ لِأَنِّي أَحْيَدُ بِأُمَّتِي عَنْ نَارِ جَهَنَّمَ، أَيْ أَعْدِلُ بِهِمْ، انتهى. بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٩٣، ح ٢٧.

(٣) في معاني الأخبار: ص ٥٠، ح ١، جميع أهل القيامة.

وَسَمَّانِي فِي الْقِيَامَةِ حَاشِرًا، يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَسَمَّانِي الْمَوْقِفَ أَوْقِفُ النَّاسَ  
بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسَمَّانِي الْعَاقِبَ، أَنَا عَقِبُ النَّبِيِّينَ لَيْسَ بَعْدِي رَسُولٌ،  
وَجَعَلَنِي رَسُولَ الرَّحْمَةِ وَرَسُولَ التَّوْبَةِ وَرَسُولَ الْمَلَا حِمِّ وَالْمُقْتَفِي<sup>(١)</sup>، قَفَّيْتُ النَّبِيِّينَ  
جَمَاعَةً، وَأَنَا الْمُقِيمُ الْكَامِلُ الْجَامِعُ.

وَمَنْ عَلَيَّ رَبِّي وَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ أَرْسَلْتُ كُلَّ رَسُولٍ إِلَى  
أُمَّتِهِ بِلِسَانِهَا، وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ مِنْ خَلْقِي، وَنَصَرْتُكَ بِالرُّعْبِ  
الَّذِي لَمْ أَنْصُرْ بِهِ أَحَدًا، وَأَخْلَلْتُ لَكَ الْغَنِيمَةَ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ، وَأَعْطَيْتُكَ  
لَكَ وَلَأُمَّتِكَ كَثْرًا مِنْ كُنُوزِ عَرْشِي: فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَخَاتِمَةَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ،  
وَجَعَلْتُ لَكَ وَلَأُمَّتِكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا مَسْجِدًا وَتُرَابَهَا طَهُورًا، وَأَعْطَيْتُ لَكَ  
وَلَأُمَّتِكَ التَّكْبِيرَ وَقَرَنْتُ ذِكْرَكَ بِذِكْرِي حَتَّى لَا يَذْكُرَنِي أَحَدٌ مِنْ  
أُمَّتِكَ إِلَّا ذَكَرَكَ مَعَ ذِكْرِي، فَطُوبَى لَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَأُمَّتِكَ<sup>(٢)</sup>.

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله يهودي عن وجه تسميته  
بمحمد وأحمد وأبي القاسم وبشير ونذير وداع قال :

«أَمَّا مُحَمَّدٌ فَإِنِّي مَحْمُودٌ فِي الْأَرْضِ، وَأَمَّا أَحْمَدُ فَإِنِّي مَحْمُودٌ فِي السَّمَاءِ وَأَمَّا أَبُو الْقَاسِمِ  
فإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْسِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قِسْمَةَ النَّارِ فَمَنْ كَفَرَ بِي مِنَ الْأَوَّلِينَ  
وَالْآخِرِينَ فَقِي النَّارِ وَيَقْسِمُ قِسْمَةَ الْجَنَّةِ فَمَنْ آمَنَ بِي وَأَقْرَبَنِي فِي الْجَنَّةِ.  
وَأَمَّا الدَّاعِي فَإِنِّي أَدْعُو النَّاسَ إِلَى دِينِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا النَّذِيرُ فَإِنِّي أَنْذِرُ النَّاسَ مِنْ  
عَصَانِي، وَأَمَّا الْبَشِيرُ فَإِنِّي أَبَشِّرُ بِالْجَنَّةِ مَنْ أَطَاعَنِي<sup>(٣)</sup>.

(١) في معاني الأخبار: ص ٥٠، ح ١، المتقفي.

(٢) علل الشرائع: ص ١٢٧، ح ٣. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤١٩٨ - ٤١٩٩، ح ١٩٧٤١.

(٣) معاني الأخبار: ص ٥٢، ح ٢. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤١٩٩، ح ١٩٧٤٢.

٣- قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

«أنا أديبُ اللهِ وَعَلِيٌّ أديبي»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال :

«قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هَلْ عَبَنْتَ وَثْنًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: فَهَلْ شَرِبْتَ خُمْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ أَنْ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ كُفْرٌ وَمَا كُنْتُ أَذْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ»<sup>(٢)</sup>.

فلا يسعني أن أعلق على ما ورد عنه في نفسه الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم.

#### أمير المؤمنين عليه السلام

وصف أمير المؤمنين أخاه صلى الله عليه وآله وسلم وصفا يدل على جمال

الظاهر بقوله :

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ اللَّوْنِ مُشْرِبًا خُمْرَةً، أَدْعَجَ الْعَيْنَ، سَبَطَ الشَّعْرَ، كَثَّ اللَّحْيَةَ، سَهَلَ الْخَدَّ، ذَا وَفَرَةٍ، دَقِيقَ الْمَسْرِتَةِ، كَانَ عُنْقُهُ يُبْرِقُ فِضَّةً، لَهُ شَعْرٌ مِنْ لَبَتِهِ إِلَى سُرَّتِهِ يَجْرِي كَالْقَضِيبِ، لَيْسَ فِي بَطْنِهِ وَلَا صَدْرِهِ شَعْرٌ غَيْرُهُ، شَتْنُ الْكَفِّ وَالْقَدَمِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ، وَإِذَا قَامَ كَأَنَّمَا يَنْقَلِعُ مِنْ صَخْرٍ، إِذَا التَفَتَ، التَفَتَ جَمِيعًا، كَانَ عَرْقُهُ فِي وَجْهِهِ الْوَلْوُلُ، وَلَرِيحُ عَرْقِهِ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ، وَلَا بِالْعَاجِزِ وَلَا اللَّئِيمِ، لَمَّا زَارَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) مكارم الأخلاق: ج ١، ص ٥١، ح ١٩. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٢٢١، ح ١٩٧٨٦.

(٢) كنز العمال: ٣٥٤٣٩. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٢٢٤، ح ١٩٨١٨.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٤١٠. ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٤٢٢٤، ح ١٩٨٢١.

ووصفه وصفا آخر يدل على كمال الباطن بقوله عليه السلام :

«طَيْبٌ دَوَّارٌ بِطَيْبِهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى (أَمْضَى) مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمِي، وَأَذَانٍ صُمِي، وَالسِّنَّةِ بُكْمِي، مُتَّبِعٌ بِذَوَانِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْخَيْرَةِ لَمْ يَسْتَضِيْنُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ النَّاقِبَةِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ»<sup>(١)</sup>.

## - بعض كمالاته

١- ذكر صاحب المناقب بعضاً من كمالات النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فقال :

(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْمَبْعُثِ مَوْصُوفاً بِعِشْرِينَ خِصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْأَنْبِيَاءِ، لَوْ أَنْفَرَدَ وَاحِدٌ بِأَحَدِهَا لَدَلَّ عَلَى جَلَالِهِ، فَكَيْفَ مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ؟! كَانَ نَبِيًّا أَمِينًا، صَادِقًا، حَادِقًا، أَصِيلًا، نَبِيلًا، مَكِينًا، فَصِيحًا، نَصِيحًا، عَاقِلًا، فَاضِلًا، عَابِدًا، زَاهِدًا، سَخِيًّا، كَمِيًّا، قَانِعًا، مُتَوَاضِعًا، حَلِيمًا، رَحِيمًا، غَيُورًا، صَبُورًا، مُوَافِقًا، مُرَافِقًا، لَمْ يُخَالِطْ مُنْجَمًا وَلَا كَاهِنًا، وَلَا عِيَّافًا)<sup>(٢)</sup>.

٢- ذكر صاحب الطبقات الكبرى عن عائشة لما سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ :

(كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَحَابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ)<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨ . ميزان الحكمة : ج ١٠ ، ص ٤٢٢٨ ، ح ١٩٨٣٥ . ذكر السيد عبد الله شير في كتابه (الأخلاق) وصفا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مأخوذاً من لسان الحديث فمن أراد المزيد فليراجع ، ص ٢٢ - ٢٥ .

(٢) المناقب لابن شهر آشوب : ج ١ ، ص ١٢٣ . ميزان الحكمة : ج ١٠ ، ص ٤٢٤٥ ، ح ١٩٨٩٧ .

(٣) الطبقات الكبرى : ج ١ ، ص ٣٦٥ . ميزان الحكمة : ج ١٠ ، ص ٤٢٤٥ ، ح ١٩٨٩٩ .

٣- ذكر صاحب الغارات عن إبراهيم بن محمد بن ولید علي عليه السلام قال :  
(كان علي عليه السلام إذا نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

«هُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، أَجْوَدُ النَّاسِ كَفًّا، وَأَجْرَأُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً  
وَأَوْفَى النَّاسِ ذِمَّةً، وَالْيَتَهُمُ غَرِيكَةً، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً، (مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةٍ هَابَةٍ، وَمَنْ  
خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمَّا رَأَى قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ)»<sup>١</sup>.

### معاوية

(أما بعد، يا معاوية! فلن يؤدّي القاتل وإن أطئب في صفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جميع جزأ، وقد فهمت ما ليست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتكيب عن استبلاغ البيعة، وهنات هنات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى وبهرت الشمس أنوار السرح، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظّه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محبوباً، أو تتعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتوته بعلم خاص وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرانه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأترايهن، والقيبات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع غنك ما تحاول).

قبل الخوض في شخصية معاوية لا بأس أن نشير إلى بعض العوامل المحيطة بهذه

(١) الغارات : ج ١، ص ٣٦٤. ميزان الحكمة : ج ١٠، ص ٤٢٦، ح ١٩٩٠٣.

الشخصية التي شقت الأمة شقتين، شق بقي ثابتا مرابطا على الحق صابرا على إيذاء أصحاب الباطل، مستيقظا لألا عيهم ومكائدهم، وشق انطلت عليه تلك الحيل والألاعيب فانساق وراء الباطل رغم وضوحه وترك الحق الذي لا ريب فيه. ومن العوامل التي كان لها الأثر الكبير في صنع هذه الشخصية القبيحة ما يلي:

### أولا: العامل التربوي

ورث معاوية من أبيه أبي سفيان الحقد والعداء للإسلام الذي أطاح بعروش المشركين وسيادة الجاهلية الأولى، وورث من أمه هند التحريض والدعوة إلى قتل النبي وبني هاشم بل إلى قتل جميع المسلمين، ونشأ معاوية بين أحضان أسرة رجالها جردوا سيوفهم وألبوا الرجال على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونساؤها حملت الخطب ودقت الدفوف للتحريض والمحاربة لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ونهجه.

ولكي نضع الأمور جلية بين يدي القارئ الكريم لا بد أن نعرض بعض الصور القبيحة لأسرة معاوية التي كان لها الأثر الأكبر على نشأته:

قال أبو سفيان: (يا بني أمية تلاقفوها تلقف الكرة، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار).

انطلق أبو سفيان إلى قبر سيد الشهداء حمزة، فركله برجله وقال: يا أبا عمار، إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يد غلماننا يتلعبون به<sup>(١)</sup>.

### هند

يكفيها عارا أنها آكلة الأكباد، والمحرضة على الإسلام.

(١) معاوية أمام محكمة الجزاء، الشيخ مهدي القرشي: ص ٢٩ - ٣٠.

**أم جميل**

هي حمالة الخطب التي لعنها القرآن الكريم وبقيت ملعونة إلى يوم يبعثون.

**الحكم بن أبي العاص**

يقول حبيب في حديث له مع مروان بن الحكم: (والله لقد ههمت بالإسلام غير مرة، كل ذلك يعوقني أبوك يقول: تضع شرفك، وتدع دين آبائك لدين محدث وتصيرنا بعار).

**أبو جهل**

يقول:

(تأزعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، حتى إذا تجانبا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه)<sup>(١)</sup>.

**عتبة والوليد**

قتلا بسيف الإسلام وتركنا هنذا ناقمة حاقدة على الإسلام وعلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

**ثانياً: العامل الاقتصادي**

كان للعامل الاقتصادي السقيم دور في بناء شخصية معاوية إذ كانت الحياة الاقتصادية قائمة على الربا والغزو الاستغلال، فللربا دور كبير في سيادة بعض الأسر القرشية والتي منها أسرة معاوية.

(١) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج ١٣، ص ١٢٥. الدر المنثور للسيوطي: ج ٤، ص ١٨٧.



فلذا جاء في التاريخ (أن معاوية باع سقاية من ذهب أو فضة بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن مثل هذا، إلا مثلاً بمثل، فقال معاوية: ما أرى بمثل هذا بأساً، فاستاء أبو الدرداء من جراته على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورده لحكم من أحكام الإسلام، فاندفع يقول: من يعذرني من معاوية أنا أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخبرني عن رأيه، لا ساكتك بأرض أنت بها، ثم ترك الشام وانصرف إلى يثرب<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: العامل الأخلاقي

من العوامل الرئيسية في تكوين شخصية الإنسان هو العامل الأخلاقي، فلقد كانت الحياة الأخلاقية في العصر الجاهلي لاسيما في مكة في غاية السوء والابتعاد عن الطهارة والفضيلة لانتشار المنكر والفحشاء وتعاطي الخمر وإباحة الزنى والعدوان والظلم وإلى غير ذلك من الفساد مما لا يخفى على أحد، وفي هذه الأجواء نشأ معاوية في أسرة لا تتورع عن مثل هذه الأمور كما هو مشهور عن أبي سفيان في تعاطيه الزنا مع سمية أم زياد وغيرها بل أن هناك روايات تاريخية تشير إلى زنا هند أم معاوية، وهذا مما لا يخفى على قارئ منصف للتاريخ<sup>(٢)</sup>.

بعد هذا العرض الذي قدمناه بين يدي القارئ الكريم والذي تظهر من خلاله خسة هذه الشخصية الفاسدة التي غيرت الإسلام وشوّهت صورته الناصعة نرغب في بيان رأي سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى لكي نزداد بصيرة في شخصية معاوية.

(١) حياة الإمام الحسن عليه السلام: ج ٢، ص ١٥٠. بحار الأنوار: ج ٣٤، ص ٣٨٣. السنن الكبرى للبيهقي: ج ٥، ص ٢٨٠.

(٢) معاوية أمام محكمة الجزاء، الشيخ مهدي القريشي: ص ٢٤٣.

## - القول القاصم

لا يختلف اثنان في كون محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يشك امرء في أن هذا الرسول الكريم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو قول الله سبحانه وتعالى وحكمه حكم الله تعالى ومدحه وذمه هو مدح الله تعالى وذمه، ومن نال ذماً من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لا شك في هلاكه وخلوده في نار جهنم، ولكي نقف على رأي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله في معاوية نطلع على ما يلي:

١ - رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان مقبلاً على حمار، ومعاوية يقوده، ويزيد ابنه يسوقه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لعن الله القائد والراكب والسائق»<sup>(١)</sup>.

٢ - أقبلت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرادت التزويج بمعاوية فنهاها صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك وقال لها:

«إنه صعلوك»<sup>(٢)</sup>.

٣ - قال صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه:

«إنه يطلع من هذا الفج رجل يحشر على غير ملتي، فتشوق إليه المسلمون، وإذا بمعاوية قد طلع منه»<sup>(٣)</sup>.

٤ - دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على معاوية وابن العاص فقال:

«اللهم اركسهم في الفتنة ركساً، اللهم دعهم إلى التاردعاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) معاوية أمام محكمة الجزاء، الشيخ مهدي القريشي: ص ١٨. تاريخ الطبري: ج ١١، ص ٣٥٧.

(٢) تاريخ الخميس: ج ٢، ص ٢٩٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج ١١، ص ٣٥٧.

(٤) معاوية أمام محكمة الجزاء، الشيخ مهدي القريشي: ص ١٨. وقعة صفين: ص ٢٤٦. مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ٤٢١.

٥- وهناك قول مشهور للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فيه :

«إذا رأيتم معاوية يخطب على منبى فاضربوا عنقه»<sup>(١)</sup>.

إلا أن، أهل التحريف والوضع حرّفوا الحديث إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (إنه مأمون أمين) ولا شك في سخافة هذا التحريف وما أسهل الرد عليهم وهو كما يلي :

ألف : إن شخصية معاوية ومساوئها تكذب أنه أمين مأمون.

باء : محاربهته لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تكذب هذا الحديث.

جيم : لا يوجد داع أو مناسبة لكي يمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاوية، كما أن هناك من الصحابة من هو مأمون حقاً وأمين صدقاً وقد خطب في الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأبي ذر أو عمار ولم يقل في حقهما شيئاً من ذلك.

دال : كيف يناقض قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعضه بعضاً، لقد تقدم ذم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاوية وهو ذم لا يقبل التغيير، فكيف يغير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قوله فيمتدح معاوية؟

### تدليس معاوية

قول الإمام الحسين عليه السلام :

«تريد أن تؤهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتوته يعلم خاص وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذه من استشرائه الكلاب المهازلة عند التحارش، والحمام السبق لإترابهن، والقيبات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي : ج ٣٣، ص ١٨٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي : ج ٤، ص ٣٢.

عَنْكَ مَا تُحَاوِلُ».

يدل دلالة صريحة على تدليس معاوية بإظهار يزيد بمظهر حسن لكي ينال بذلك رضا الناس ومن ثم ينتزع بيعتهم له، إلا أن هذا التدليس لا يرفع من مقام يزيد شيئاً لما في يزيد من خصال قبيحة وذنابل يندى منها جبين الإنسانية وهذا ما ورد في قول الإمام الحسين عليه السلام إذ يقول:

«وَقَدْ ذَلَّ يَزِيدٌ مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مَوْقِعِ رَأْيِهِ، فَخَذَّ لِيَزِيدَ فِيمَا أَخَذَ بِهِ مِنْ اسْتِغْفَارِهِ  
الْكِلَابِ الْمُهَارِشَةَ عِنْدَ التَّحَارُشِ، وَالْحَمَامِ السَّبْقَ لِاتِّرَابِهِنَّ، وَالْقَيْنَاتِ ذَوَاتِ  
الْمَعَارِفِ، وَضُرُوبِ الْمَلَاهِي، تَجِدُهُ نَاصِراً، وَدَعَّ عَنْكَ مَا تُحَاوِلُ».

يا لها من صفقة شديدة على فم معاوية الذي أراد تزكية يزيد وتزويقه، وبأله من قطع لسان لكل من تسول له نفسه أن يمتدح الفاسقين الظلمة يدلس على الناس حقيقتهم وقذارتهم.

### عمرو بن العاص

أراد معاوية أن يرفع من عمرو بن العاص ويعطيه شأناً فالتجأ إلى ذكر صحبته مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيعته له، إلا أن الإمام عليه السلام قطع عليه الطريق بذكر ما حصل من شكوى ضد هذا الوزغ فجاء رد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سريعاً إذ قال للأنصار:

«لَا جَرِمَ مَعْشَرَ الْمَاجِرِينَ لَا يَعْمَلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ غَيْرِي».

ولكي نرفد القارئ الكريم بحقيقة عمرو بن العاص لابد أن نطلع على هذه الشخصية الانتهازية المتذبذبة حسب مصالحها ومنافعها من خلال هذه الصور:

١- هذه الرواية التاريخية تبين أن عمرو بن العاص يبحث عن الدنيا وحب الظهور ولا يريد أن يكون أحد المسلمين بل يرى نفسه فوق ذلك.

(وقال جويرية بن أسماء : حدثني عبد الوهاب بن يحيى بن عبد الله بن الزبير: ثنا أشياخنا أن الفتنة وقعت، وما رجل من قريش له نباهة أعمى فيها من عمرو بن العاص، وقال: ما زال معتصماً بمكة ليس في شيء مما فيه الناس، حتى كانت وقعة الجمل، فلما فرغت بعث إلى ولديه عبد الله ومحمد، فقال: إني قد رأيت رأياً، ولستما باللذين ترداني عن رأيي، ولكن أشيراً عليّ، إني رأيت العرب صاروا عيرين يضطربان، وأنا طارح نفسي بين جداري مكة، ولست أَرْضَى بهذه المنزلّة، فإلى أي الفريقين أعمد؟ قال عبد الله: إن كنت لا بد فاعلا، فإلى عليّ، قال: إني إن أتيت عليّاً قال: إنما أنت رجل من المسلمين، وإن أتيت معاوية يخلطني بنفسه، ويشركني في أمره فأنتي معاوية)<sup>(١)</sup>.

٢- هذه الرواية فيها تصريح من عمرو بحب الدنيا والمصالح الخاصة.  
(ثم إنّ عمرأ قال: يا معاوية، أحرقت كبدي بقصصك، أترى أنا خالفنا عليّاً لفضل منا عليه، لا والله، إن هي إلا الدنيا نتكالب عليها، وأيم الله لتقطعن لي قطعة من دنياك، أو لأنا بذكك، قال: فأعطاء مصر، يعطي أهلها عطاءهم، وما بقي فله)<sup>(٢)</sup>.

٣- حوار يكشف خباثة عمرو بن العاص ودوره في فتنة عثمان.  
(قال جويرية بن أسماء أن عمروأ قال لابن عباس: يا بني هاشم، أما والله لقد تقلدتم لقتل عثمان قرم الإماماء العوارك، أطعتم فساق أهل العراق في عتبة، وأجزتموه مراق أهل مصر، وآوئتم قتلته، فقال ابن عباس: إنما تكلم لمعاوية، وإنما تكلم عن رأيك، وإن أحق الناس أن لا يتكلم في أمر عثمان لأنتما، أما أنت يا معاوية، فزيت له ما كان يصنع، حتى إذا حُصر طلب منك نصرك، فأبطأت عنه، وأحببت قتله وتربصت

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي: ج ٢، ص ٢٦٧.

(٢) المصدر السابق.

به، وأما أنت يا عمرو، فأضرمت المدينة عليه، وهربت إلى فلسطين تسأل عن أبنائه، فلما أتاكَ قتله أضافتك عداوة عليّ أن لحقت بمعاوية، فبعت دينك منه بمصر، فقال معاوية: حسبك يرحمك الله، عرضني لك عمرو، وعرض نفسه<sup>(١)</sup>.

٤- تصرّحه بأنه من العصاة الذين ماتوا بأوزارهم:

(قال الزهري: عن حميد بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو أن أباه قال حين احتضر: اللهم أمرت بأمور ونهيت عن أمور، تركنا كثيراً مما أمرت، ووقعنا في كثير مما نهيت)<sup>(٢)</sup>.

٥- عاقبة عمرو بن العاص سيئة كبدايته وهذا ما يظهر الحوار التالي:

(قال الطحاوي: ثنا المزني: سمعت الشافعي يقول: دخل ابن عباس على عمرو بن العاص وهو مريض، فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وقد أصلحت من دنيائي قليلاً، وأفسدت من ديني كثيراً، فلو كان ما أصلحت هو ما أفسدت لفزت، ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت)<sup>(٣)</sup>.

٦- عمرو ينجو بكشف عورته أمام سيد أهل الحياء والمعروف أمير المؤمنين عليه السلام.

(فلما سمع عمرو شعره قال: والله لو علمت أنّي أموتُ ألف موتةٍ لبارزتُ عليّاً في أوّل ما ألقاه، فلما بارزه طعنه عليّ فصرّعه، وأثّقه عمرو بعورته، فانصرف عليّ عنه.

وقال عليّ حين بدت له عورةُ عمرو فصرف وجهه عنه<sup>(٤)</sup>:

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي: ج ٢، ص ٢٦٨.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي: ج ٢، ص ٢٦٩.

(٣) تاريخ الإسلام، الذهبي: ج ٢، ص ٢٦٩.

(٤) وقعة صفين، نصير بن مزاحم المقرئ: ص ٤٢٤.

ضربي ثبى الأبطال في المشاغِبِ<sup>(١)</sup>      ضرب الغلام البطل الملاعب  
أين الضراب في العجاج النائب      حين احمرار الحديق الثواقب  
بالسيف في تهته الكنائس<sup>(٢)</sup>      والصبر فيه الحمد للعواقب

وهناك الكثير من الصور القبيحة التي تبين شخصية عمرو بن العاص تركناها للاختصار.

### عاقبة الظالمين

قول الإمام الحسين عليه السلام:

﴿فَمَا أَغْنَاكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ جَوْزَ هَذَا الْخَلْقِ بِأَكْثَرِ مِمَّا أَنْتَ لَاقِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا بَرِحْتَ تَقْدُرُ بِاطِلًا فِي جَوْزٍ، وَحَقًّا فِي ظُلْمٍ، حَتَّى مَلَأْتَ الْأَسْقِيَةَ، وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا غَمَضَةٌ، فَتَقْدِمَ عَلَى عَمَلٍ مَحْفُوظٍ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ، وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ. وَرَأَيْتُكَ عَرَضْتَ بِنَا بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ، وَمَنْعَتَنَا عَنْ آبَائِنَا، وَلَقَدْ لَعَنَ اللَّهُ أَوْثَرَنَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَادَهُ، وَجِئْتَ لَنَا بِمَا حَجَجْتُمْ بِهِ الْقَائِمَ عِنْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ، فَأَذْنُ عَنْ لِلْحُجَّةِ بِذَلِكَ، وَزَدَهُ الْإِيمَانَ إِلَى النُّصْفِ، فَرَكِبْتُمُ الْأَعَابِلَ، وَقُلْتُمْ: كَانَ وَيَكُونُ، حَتَّى أَتَاكَ الْأَمْرُ بِمُعَاوِيَةَ مِنْ طَرِيقٍ كَانَ قَصْدُهَا لِعَيْرِكَ، فَهَنَّاكَ فَاعْتَبَرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ، وَذَكَرْتَ قِيَادَةَ الرَّجُلِ الْقَوْمَ بِعَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَأْمِيَهُ لَهُ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلِعَمْرُوبِ بْنِ الْعَاصِ يُؤْمِنُ بِفَضِيلَةِ صُحْبَةِ الرَّسُولِ وَيَتَّبِعُهُ لَهُ، وَمَا صَارَ لِعَمْرٍو يُؤْمِنُ بِ

(١) الثبة: الجماعة، والعصبة من الفرسان. وثبى: هي تبين جمع ثبة، مع الجمع الملحق بالسالم، كميزين وعضين، وحذفت النون للإضافة: وفي الأصل: (ضرب ثبا)، والوجه ما أثبت.

(٢) التهته: مصدر قولهم تهته في الشيء - بالبناء للمنعول: أي ردد فيه، وقد تكون: (تهته) بنونين، وهو الكف والزجر.

حَتَّى أَنْفِ الْقَوْمِ امْرَأَتَهُ، وَكَرَهُوا تَقْدِيئَهُ، وَعَدُّوا عَلَيْهِ أَفْعَالَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَالِهِ وَسَلَّمَ: لَا جَرَمَ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَا يَعْمَلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ غَيْرِي.

فَكَيْفَ تَحْتَجُّ بِالْمَنْسُوحِ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ فِي أَوْكَدِ الْأَحْوَالِ (الأحكام)  
وَأَوَّلَاهَا بِالْمُجْمَعِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّوَابِ؟ أَمْ كَيْفَ صَاحَبَتْ بِصَاحِبِ تَابِعٍ وَخَوَلَتْ  
مَنْ لَا يُؤْمِنُ فِي صُحْبَتِهِ، وَلَا يُعْتَمَدُ فِي دِينِهِ وَقَرَابَتِهِ، وَتَخْطَأُهُمْ إِلَى مُسْرِفٍ مُفْتَوِّرٍ،  
تُرِيدُ أَنْ تَلْبِسَ النَّاسَ شُبْهَةً يَسْعَدُ بِهَا الْبَاقِي فِي دُنْيَاهُ، وَتَشْقَى بِهَا فِي آخِرَتِكَ، إِنَّ  
هَذَا هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ).

الظلم كلمة واضحة المفهوم والمعنى نظريا وعمليا لكثرة من يتعاطها ولكثرة  
وقوعها يوميا، فلذا لا حاجة لنا في بيان معناها إلا أننا لابد أن نبين عاقبة الظلم وعاقبة  
الظالمين من خلال الآيات الكريمة والروايات الشريفة الآتية:

١- قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي  
الَّذِي يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخَيِّئُ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنْ  
الْمَشْرِقِ فَأَتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

يشير إلى أن الظالم لا ينال شيئا من هدى الله تعالى وتوفيقاته بل يبقى في عماء  
وغيه.

٢- قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ  
الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.



يشير إلى أن الظالمين حرموا من محبة الله تعالى الذي بيده كل شيء ومنه الخير الحقيقي والفوز الصادق.

٣- قوله تعالى :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

يشير بصراحة إلى عاقبة الظالمين التي هي الخسران المبين وإن كانوا بحسب الظاهر فائزين.

٤- قوله تعالى :

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِلَى الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

يشير إلى أن الظالمين في شقاق بعيد.

٥- قوله تعالى :

﴿وَقِيلَ يَتَازَرُؤْا بِلْعَىٰ مَاءٍ لِّكَ وَيَسْمَأَهُ أَقْلَعِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُئِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

### - آثار الظلم في الدنيا

ورد في الروايات والأحاديث الشريفة ما يشير إلى آثار الظلم وما يحل بالظالمين في الحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة نذكر منها ما يلي :

١- الظلم يوجب الخسران وضياع الجهد سدى لقول أمير المؤمنين عليه السلام :

(١) سورة الأنعام الآية : ٢١.

(٢) سورة الحج، الآية : ٥٣.

(٣) سورة هود، الآية : ٤٤.

«الظُّلْمُ فِي الدُّنْيَا بَوَارٌ، وَفِي الآخِرَةِ دَمَارٌ»<sup>(١)</sup>.

٢- الظلم يؤدي إلى الانزلاق إلى الهاوية والوقوع في الباطل ويزيل العطاء الإلهي ويقضي على الأمم مهما كانت قوية وشديدة كما في قول الإمام علي عليه السلام:

«الظُّلْمُ يُزِيلُ الْقَدَمَ، وَيَسْلُبُ النِّعَمَ وَيُهْلِكُ الْأُمَّةَ»<sup>(٢)</sup>.

٣- الظلم يؤدي إلى مقت الناس وكرهيتهم ولعنهم لأيام الظالم ولياليه كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَالظُّلْمَ؛ فَمَنْ ظَلَمَ كَرِهَتْ أَيَّامُهُ»<sup>(٣)</sup>.

٤- يؤدي الظلم إلى فساد القلوب وقساوتها كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ؛ فَإِنَّهُ يُخْرِبُ قُلُوبَكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

٥- يوجب الظلم ارتفاع النعم ونزول النقم بالظالم فلا يهنأ ولا يستقر كما ورد ذلك في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ (الْمُظْلُومِينَ)، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ»<sup>(٥)</sup>.

٦- يؤدي إلى قصر العمر وسرعة الموت كما صرح بذلك سيد المتقين عليه السلام بقوله:

(١) غرر الحكم: ١٧٠٧. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٤، ح ١١٣٧٤.

(٢) غرر الحكم: ١٧٣٤. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٤، ح ١١٣٧٥.

(٣) غرر الحكم: ٢٦٣٨. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٥، ح ١١٣٨٨.

(٤) كنز العمال: ٧٦٣٩. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٦، ح ١١٣٩٢.

(٥) نهج البلاغة: الكتاب ٥٢. غرر الحكم: ٧٥٢٣. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٦، ح ١١٣٩٥.

«مَنْ ظَلَمَ قُصِمَ عُمرُهُ»<sup>(١)</sup>.

٧ - الظلم يكون مرآة عاكسة لعيوب الظالم فيفتضح عند تتبع عيوبه وهذا ما أكدّه الإمام علي عليه السلام بقوله:

«إِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُتَغَانِ الْمَرْءُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَبُيُوتَانِ حُلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعْبِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

٨ - الظلم يوجب لعنة الله تعالى للظالم في حالات عبادة الظالم على وجه الخصوص كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ: يَا أَخَا الْمُرْسَلِينَ، يَا أَخَا الْمُتَذَرِّينَ، أَنْذِرْ قَوْمَكَ أَنْ لَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بَيْتِي إِلَّا بِقُلُوبٍ سَلِيمَةٍ وَالسُّنَنِ صَادِقَةٍ، وَأَيْدٍ نَقِيَّةٍ، وَفُرُوجٍ طَاهِرَةٍ، وَلَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بَيْتِي وَلَا أَحَدٌ مِنْ عِبَادِي عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ظُلَامَةٌ فَأَبْنِي الْعَنَةُ مَا دَامَ قَانَمَا بَيْنَ يَدَيَّ بَصَلِّي حَتَّى يَرُدَّ تِلْكَ الظُّلَامَةُ إِلَى أَهْلِهَا»<sup>(٣)</sup>.

### - آثار الظلم في الآخرة

١ - إذا حشر الله تعالى عباده سيحشر منهم على نورهم وفي نورهم فيصرون فلا يكونوا من العمى، وهناك من يحشر في ظلمة لا يرى الحقيقة فلذا حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الظلم لأنه يؤدي إلى العمى والظلمة فقال لِرَجُلٍ يُحِبُّ أَنْ يُحْشَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّورِ:

«اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّهُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) غرر الحكم: ٧٩٤٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٦، ح ١١٣٩٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٧، ص ١٢.

(٣) كنز العمال: ٤٣٦٠٠. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٤٣ - ٢٣٤٤، ح ١١٤٤٣.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٢٣٢، ح ١١. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٧، ح ١١٤٠٦.

«لَا تَظْلِمُ أَحَدًا، تُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

٢- عند الحساب ووضع الموازين ونشر الصحف تظهر ثلاث حالات من الظلم، ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم يغفر وهذا ما أكدته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقول:

«الدَّوَّارِينُ عِنْدَ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: دِيْوَانٌ لَا يَعْْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيْوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيْوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، فَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَالشِّرْكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِإِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما الديوان الذي لا يعبا الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء الله. وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة»<sup>(٣)</sup>.

٣- يؤكد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن ظلم الناس له عاقبة وخيمة لا يتحملها الإنسان كما جاء ذلك عنه عليه السلام بقوله:

أما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص هناك شديد، ليس هو جرحاً بالمدى، ولا ضرباً بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٣٢، ح ١١. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٧، ح ١١٤٠٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٣) ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٩، ح ١١٤١٤. مسند أحمد: ج ٦، ص ٢٤٠. مستدرک الحاكم: ج ٤، ص ٥٧٦.

(٤) ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٣٩ - ٢٣٤٠. نهج البلاغة: ج ٢، ص ٩٥. مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ١٠٤.

٤- يعيش الظالم يوم القيامة حسرة شديدة وندامة مرة تصل إلى حد أنه يعبر عنها بفعل حسي كما ورد ذلك في قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾<sup>(١)</sup>.

وأكدته أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«لِلظَّالِمِ غَدَا يُكْفِيهِ غَضُّ يَدَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٩٧، ح ١٨. ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٢٣٤٤، ح ١١٤٤٦.

## المحتويات

٥	مقدمة الشعبة الدراسات والبحوث
٧	مقدمة المؤلف

## الخطبة الأولى: في التوحيد

١١	نص الخطبة
١٢	المعنى العام
١٥	التحذير من الفكر المنحرف
١٦	التشبه بين المارقين وبين الكافرين
١٨	ما هو التشبيه؟
٢١	التشبيه محال عقلاً
٢٢	التشبيه لا يصح ولا يجوز في القرآن الكريم
٢٥	التشبيه لا يجوز ولا يصح تقلاً في السنة النبوية
٣٢	هل أن الله تعالى شيء؟
٣٦	السميع البصير اسمان من أسمائه تعالى
٣٧	الوصفان في القرآن الكريم
٣٧	السميع
٣٩	البصير
٤٣	الوصفان في حديث أهل البيت عليهم السلام
٤٣	السميع
٤٦	سمعه لا كسمعنا
٤٧	البصير
٥٣	هل هما من صفات الذات؟

٥٣	..... في السمع
٥٤	..... البصر
٥٥	..... سؤال مهم
٥٥	..... ألف
٥٦	..... باء
٥٧	..... لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار
٥٧	..... امتناع الرؤية
٥٨	..... الآيات الكريمة
٥٩	..... الأحاديث الشريفة
٦٤	..... الرؤية القلبية
٦٧	..... ما هو سبب شبهة الرؤية؟
٧٠	..... معنى الإدراك الإلهي
٧١	..... وهو اللطيف الخبير
٧١	..... اللطيف
٧٣	..... الخبير
٧٤	..... استخلص الوجدانية والجبروت
٧٩	..... معنى الجبروت
٨٢	..... المشيئة والإرادة
٨٤	..... حقيقة الإرادة الإلهية
٨٦	..... أسئلة مهمة في الإرادة
٩٢	..... قدرة الله تعالى
٩٣	..... ألف: دليل الفطرة
٩٤	..... باء: دليل النظام في الخلقة
٩٥	..... جيم: قدرة المخلوق دليل على قدرة الخالق
١٠٠	..... أسئلة في القدرة
١٠٨	..... (وهو الواحد الصمد)
١٠٨	..... معنى الواحد
١٠٩	..... معنى الصمد
١١٢	..... التصور والتصديق
١١٣	..... الوهيات

## الخطبة الثانية

### وفيها يوصي بتقوى الله، وينذر من عقابه

نص الخطبة .....	١٢١
المعنى العام .....	١٢٢
بحث أخلاقي .....	١٢٤
التقوى ميزان القرب الإلهي .....	١٢٤
آثار التقوى في الدنيا .....	١٢٧
آثار التقوى في الآخرة .....	١٣٠
التقوى ضرورة لا بد منها .....	١٣١
رفع التوهم .....	١٣٣
مسألة: منزلة المتقين وصفاتهم .....	١٣٤
الطرق الموصلة إلى التقوى .....	١٣٩
ما يمنع التقوى .....	١٤١
أسئلة مهمة .....	١٤٢
بحث أخلاقي .....	١٤٤
النصيحة علامة الحب .....	١٤٤
النصيحة لمن؟ .....	١٤٥
فوائد .....	١٤٧
- لا تنسى نفسك .....	١٤٨
- أسئلة مهمة .....	١٤٩
- وقفة وتأمل .....	١٥٢
بحث عقائدي .....	١٥٣
الحياة البرزخية .....	١٥٣
أحوال البرزخ .....	١٥٤
أسئلة مهمة .....	١٥٩
تذكير .....	١٦٩



## الخطبة الثالثة

### في مكارم الأخلاق

نص الخطبة .....	١٧٧
المعنى العام .....	١٧٨
بحث أخلاقي .....	١٨٠
صنع المعروف .....	١٨٠
لمن يبذل المعروف؟ .....	١٨٤
إشكال وتوجيه .....	١٨٦
آثار فعل المعروف .....	١٨٩
الآثار في الآخرة .....	١٩٠
فوائد .....	١٩٢
صفات أهل الفضل .....	١٩٤

## الخطبة الرابعة

### في مكارم الأخلاق

نص الخطبة .....	١٩٩
بحث أخلاقي .....	١٩٩
مكارم الأخلاق شيمة المؤمنين .....	١٩٩
الخلق وعاء الدين .....	٢٠٠
مكارم الأخلاق في نظر أهل البيت عليهم السلام .....	٢٠٢
- نصائح .....	٢٠٤
أسئلة مهمة .....	٢٠٦
ثمرات حسن الخلق .....	٢٠٨

٢٠٩.....	- سوء الخلق في نظر أهل البيت عليهم السلام
٢١٠.....	- آثار سوء الخلق
٢١١.....	- الحلم
٢١٢.....	- بحث عقائدي
٢١٢.....	- غضب وحلم الله تعالى
٢١٧.....	- الحلم في نظر أهل البيت عليهم السلام
٢١٨.....	- آثار الحلم
٢١٩.....	- أسئلة مهمة
٢٢١.....	- الوفاء
٢٢٣.....	- سؤال مهم
٢٢٣.....	- وقفة
٢٢٥.....	- نصيحة معصومية
٢٢٥.....	- الاستكبار
٢٢٧.....	- فوائد
٢٣٠.....	- السفه
٢٣١.....	- أسئلة مهمة
٢٣٢.....	- بحث عقائدي
٢٣٢.....	- الغلو
٢٣٣.....	- الإمام الحسين عليه السلام يحذر من الغلو
٢٣٤.....	- الشيعة براء من الغلو
٢٣٥.....	- سؤال مهم
٢٣٧.....	- بحث أخلاقي
٢٣٧.....	- الفسق
٢٣٩.....	- الفسق والفساق في نظر أهل البيت عليهم السلام
٢٤٠.....	- آثار الفسق

## الخطبة الخامسة

### وفيها يذمّ الدّنيا ويحذّر منها

٢٤٥	نص الخطبة
٢٤٥	المعنى العام
٢٤٦	بحث أخلاقي
٢٤٦	ذم الدنيا
٢٤٨	أسئلة مهمة
٢٥٩	- نصيحة معصومية
٢٦٣	صور حوارية ومواعظ
٢٦٤	الصورة الثانية
٢٦٦	الصورة الثالثة
٢٦٧	الصورة الرابعة
٢٦٨	الصورة الخامسة
٢٦٨	بحث عقائدي
٢٦٨	الرضا بقضاء الله تعالى
٢٦٩	أسئلة مهمة
٢٧٤	- نصيحة يجب أن تسمعها
٢٧٤	- التزود بالأعمال الصالحة
٢٧٥	- العمل مفتاح السعادة
٢٧٦	آثار وثمرات العمل الصالح في الدنيا
٢٧٧	- آثار العمل الصالح في الآخرة
٢٧٩	- نصائح
٢٨١	- أسئلة مهمة
٢٨٨	- نصائح ضرورية

## الخطبة السادسة

وفيهما يُذكر بفضل أهل البيت عليهم السلام ويأمر باتّباعهم

نص الخطبة .....	٢٩١
- فضل أهل البيت عليهم السلام .....	٢٩٤
- فضلهم في القرآن الكريم .....	٢٩٥
- فضلهم عليهم السلام في السنة النبوية .....	٣٠٢
- بحث عقائدي .....	٣٠٥
- العدل الثاني .....	٣٠٥
١- صحيح الترمذي .....	٣١٢
٢- القاموس المحيط .....	٣١٢
٣- مسند أحمد .....	٣١٣
٤- الطبقات الكبرى لابن سعد .....	٣١٣
٥- المعجم الكبير للطبراني .....	٣١٣
٦- جامع الأصول .....	٣١٤
٧- مسند عبد بن حميد .....	٣١٥
٨- الدر المنثور .....	٣١٦
٩- الجامع الصغير .....	٣١٦
١٠- مصنف ابن أبي شيبة .....	٣١٦
١١- المستدرک على الصحيحين .....	٣١٧
١٢- كتاب السنة .....	٣١٧
١٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .....	٣١٨
الجامع الصغير بشرح المناوي .....	٣١٨
فيض القدير .....	٣٢٠
رواة حديث الثقلين (الصحابه) .....	٣٢٢
رواة حديث الثقلين (التابعين) .....	٣٢٣
طاعة الشيطان .....	٣٢٥
- آثار طاعة الشيطان .....	٣٢٩
- أسئلة مهمة .....	٣٢٢
- وقفة تأمل .....	٣٢٨

## الخطبة السابعة

نص الخطبة .....	٣٤٣
المعنى العام .....	٣٤٥
– صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم .....	٣٤٧
الآيات الكريمة .....	٣٤٧
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصف نفسه .....	٣٤٩
أمير المؤمنين عليه السلام .....	٣٥١
– بعض كمالاته .....	٣٥٢
معاوية .....	٣٥٣
أولا : العامل التربوي .....	٣٥٤
هند .....	٣٥٤
أم جميل .....	٣٥٥
الحكم بن أبي العاص .....	٣٥٥
أبو جهل .....	٣٥٥
عتبة والوليد .....	٣٥٥
ثانيا : العامل الاقتصادي .....	٣٥٥
ثالثا : العامل الأخلاقي .....	٣٥٦
– القول القاصم .....	٣٥٧
تدليس معاوية .....	٣٥٨
عمرو بن العاص .....	٣٥٩
عاقبة الظالمين .....	٣٦٢
– آثار الظلم في الدنيا .....	٣٦٤
– آثار الظلم في الآخرة .....	٣٦٦